مبادرة

القراءة بالمجان

الكتاب: حديث الجدران
الكاتب: كتاب المعتكف الكتابي
رقم الإيداع: ٢٠١٨/ ٢٦٥٤٨
ISBN: 978-977-800-095-5
تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي
تدقيق لغوي- تنسيق داخلي: سارة صلاح

مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056
Email: layanpub@gmail.com

لبان للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

حديث الجدران

قصص

كُتَّاب المعتكف الكتابي

لبان
للنشر
والتوزيع

الفهرس

عَبْرَةٌ وعِبْرَة 9
بروفة الموت 20
الحياة كلمة مكتوبة 25
أتظاهر بالجنون 29
حديـــث الجدران 35
إشـــارة مرور 39
كنبـــــة وفاء 43
الكأس المكسورة 47
هدية غالية 53
تناسانا.. فنسيناه 59
هي من دفعت الثمن 63
أريدك كما أنت 71
المرة التانية 75
الموت والحياة 78
بركاتك يا شيخ جمعة 81
حبي نفسك الله يخليكي 84
خف القدم ترزق 87
زجاجة عطر 90
أم أحمد بتاعة البوفيه 93
البقية في حياتك 96

فراشة صغيرة 99
التغيير..... 102
وسط البلد وجمال وسط البلد..... 105
واحد.. هايبر..... 115
الإنسان 115
الأول 118
ربما نلتقي! 126
قلب الأمل..... 129
إطلالة 137
فاعل خير 140
اسمي مريم 144
في اتجاه البحر..... 147
مَن أنا؟ 149
جزيرة المتفذلكين..... 154
العبور 157
عمارات الكهربا 161
أين أمي؟ 164
أين درش؟..... 167
الهَزْم 169
الجميز تخين 172
اقترفت حبك عمدًا..... 174
لحظات عصيبة 178
بنت القرية 180
دوران..... 181

كأني..... 182
ذراع مجرة 183
القديس 184
حكاية سارة الراوي 189
لعبة الحياة! 201
امتلاك 206
غفران..... 213
الكلب «مشمش» 218
المقهى..... 221

عَبْرَةٌ وعِبْرَة

بقلم: عصام الصابري

بينـما كان جالسًـا تحـت قدميهـا وعينـاه تتابعـان نبضهـا عـبر شاشـة معلَّقـة عنـد رأسـها، دخـل الطبيـب يسـبقه ظلُّـه عـبر بـاب الغرفـة.

همس بصوت مرتعش:

- هل لي بالتحدث إليك خارجًا؟

شـخص ببـصره في أختـه القابعـة عـلى كـرسي في الزاويـة ترتِّـل آيـات مـن الذكـر الحكيـم، واسـتجمع قـواه وانتصـب واقفًـا يتبـع الطبيـب عـبر بـاب الغرفـة.

التفت إليه الطبيب مطرقًا برأسه وقال:

- آسف، توقَّفت كل وظائف الجسم عن العمل.

- وهذا النبض؟ وهذا الشهيق والزفير الذي تظهره الشاشات؟

- كل ذلـك صناعـي، فالكبـد قـد توقـف وكذلـك الـكلى والرئتـان، والمـخ مـا عـاد يصـدر إشـارات، وحدقـة العـين جامـدة لا تسـتجيب للضـوء.

واسترسل الطبيب قائلًا:

– انتظرنا ثلاثة أيام دون جدوى وجسمها قد تشبع بالسموم، ونحن في مثل هذا الوضع نستأذنك الموافقة على رفع الأجهزة المساعدة من عليها لتستريح من عنائها.

وهو يستمع إلى هذه الكلمات الجامدة التي تعوَّد الأطباء على إلقائها، وعقله يحضر مرة ويغيب مرات عبر أكثر من عقدين ونصف من الزمن كانت مليئة بالحب والكفاح، فهي أم لست زهرات تفتَّقن من غصنها ملأن حياتهما عبقًا ونضارة، محدثًا نفسه: «وهل أنا مخوَّل في أن أسلبها الحياة بجرَّة قلم؟ وهل أسامح نفسي وأتعايش مع حياة مجهولة المعالم؟ وهل أستطيع أن أرفع عيني في بناتي إن فعلت؟ والأهم، هل كانت ستفعل ذلك بي إن انعكست الأدوار؟»

أسئلة تحتاج إلى إجابات منه ليحرك أطراف يده على ورق أعطاه له ذلك الطبيب عبر القلم.

***

لحظات كأنّها الموت، يمر فيها الشريط بمحطات قديمة حديثة.

كيف يفعل وهو منذ أيام ثلاثة فقط راودته بلطف وقد أرهقها الألم حتى لا تكاد تسمعها إلا همسًا «وين راسك»، فدنى وتدنَّى حتى لامس خدُّه شفتيها، حاولت جاهدة وضع يدها حول رقبته عبثًا، فرفعها لها حتى نالت مبتغاها، قبَّلته وهمست: «نحبك يا عصيم»، ثم ذهبت في نوم عميق، وما زال في الانتظار.

كيف يفعل وقد كان يدندن عند رأسها بأبيات بلهجته العامِّية ودموعه تتساقط على خدِّيها:

ادَّلَّعي..

كيف ما تبِّي عليَّ تدَّلَّعي..

بس انهضي..

وفي من جديد اطَّلَّعي..

ما زال في المشوار فاضل نصُّه..

وما زلت نقرالك عقاب القصة..

وما زاااال..

تعطي البنات ويمتلا حوشك عيال..

غير ركزي..

نعكِّز عليك وانتِ عليَّ اتعكزي..

أنا عارفُه عزمك قوي وتنوضي..

الله والنبي ما تكسريلي حوضي..

وكان عالدلع..

نعطيك منُّه فوق فوق حد الشبع..

وادَّلعي..

!!!!!!!

استجمع قواه ودخل عليها ودنى منها وشرع في مخاطبتها بيقين أن الله سيبلغها كلماته:

– حبيبتي، استمعي إليَّ جيدًا، طلب مني الطبيب أن أوافق على نزع ما علق بك من أجهزة مساعدة، وقد استخرت الله وعزمت على التوقيع بشرط أن يتركوا جهاز التنفس يعمل، ويقيني في الله أنه هو من أمات وأحيا، وسأرقيك بآيات الإحياء وأستودعك عند رب الأرض والسماء، فوالذي جمع بيننا ما سألته يومًا فخذلني.

بهذه الكلمات دندن في أذنها وأردف بتلاوة بعض آي الذكر الحكيم

ويده على رأسها، ثم قبَّل خدها ويدها وانحدر إلى رجلها فقبلها ودموعه تسبقه، وانسحب من الغرفة يمشي القهقرى وعيناه عليها، فإذا بالطبيب يربت على كتفه وبيده بعض الوريقات، فأخذها ويداه ترتعدان بالكاد أمسك بالقلم، أغمض عينيه لبرهة وزفر زفرة كادت روحه تخرج معها، ووقَّع ومضى بضع خطوات وخرَّ على ركبتيه؛ فالحمل ثقيل، ورغم يقينه وتسليمه بأمر الله إلا أن بشريته تغلب عليه. بكى برهة من الوقت وغادر مطرقًا رأسه ممسكًا بسبحته التي ربط بطرفها دبلتها التي كانت بإصبعها مردِّدا: «يا ودوود، يا ودوود، يا ودوود.»

***

في ركن شرفة بأحد أحياء عمَّان تكوَّر على كرسيه يصارع تزاحم الأحداث في رأسه المثقل محاولًا إسكات صدى كلمات ألقاها الطبيب عليه، «سيستغرق الأمر بضع سويعات وينتهي»، وفي كل مرة يفزعه رنين هاتفه فينتفض واقفًا ولسان حاله يلهج: «اللهم سلِّم، سلِّم»، فتأتيه أصوات أحبَّة على الطرف الآخر مواسيةً باكية داعية لها. أُنهكت قواه ولم يعد قادرًا على ترديد عبارات رتيبة التكرار، اشتد سواد الليل واشتدت معه عزيمته وبات يفكر بمنطق الواقع وما يمليه عليه الوضع من ترتيبات لما هو متوقع، وفجأة انتصب واقفًا واضعًا كلتا يديه على رأسه؛ فقد ترك أصغر ابنتيه في بلد غير البلد وهما على ذات جواز سفر أمهما، كيف لم ينتبه؟ يؤنب نفسه ليعود فيواسيها: «أنَّى لك أن تعلم أن كل هذا سينتهي بهذه السرعة، فقد اشتكت من رأسها ثلاثة أيام فقط ولم يكن في جيبك غير ورقة يتيمة مكتوب عليها ١٠٠$، من سخر لك تذاكر السفر ومصاريف بيت في غربة مغلق على ٦ بنات وحدهن؟ ألم تسلم أمرك لربٍّك منذ أن كتب عليك الهجرة فلم يخذلك؟ احذر من الاتكال على نفسك!»

انتصب فتوضأ وصلى وأمسك بمسبحته وأصابعه تتحسس دبلتها المتدلية منها وانتبه: لقد مرَّت سبع ساعات!!!!

فخرج مسرعًا إليها تعلوه سكينة غريبة، لم يشعر أي الدروب سلك حتى أزاح الستار عن باب غرفتها. السكون يعم المكان إلا من أصوات الأجهزة، القلب ما زال ينبض وكيس البول يكاد أن يمتلئ، فالتفت إلى الممرضة التي بادرته بابتسامة وإيماءة برأسها توحي بالتعجُّب وأردفت قائلة: «لا أدري ما حدث، فهذه ثالث مرة أفرغ كيس البول وكأنِّي بالكلى قد عادت للعمل، وقد استدعيت طبيبها وهو في طريقه إلى هنا.»

وما هي إلا لحظات حتى دخل الطبيب فألقى التحية وباشر بإغلاق الستائر وأطفأ الأنوار وأمسك بمصباح وأخذ يمرره على حدقة العين، وفجأة صرخ: «واااااو، واااو» ثم استدرك: «لا إله إلا الله»، فعل ذلك مرارًا حتى أدمعت عيناه.

كل هذا وهو يراقب الطبيب متسمِّرًا في مكانه ينظر من خلال دموعه ولسانه يلهج: «الحمد لله الذي أحياها بعد ما أماتها وإليه النشور.»

***

مرَّ على ذلك الوضع ثلاثة أيام، ترقَّب لقدرة الله وسط عجز الطبيب عن أي تفسير غير سبحان من أحيا العظام وهي رميم، الكبد والكلى أزالت كل ما خزَّنه الجسم من سموم، وذلك الجسم الذي كان كالبالون قد ذهب كل ما به من انتفاخ، ونتائج التحاليل تنبئ أن لا أثر لذلك الفيروس اللعين، لا شيء سوى سمَّاعات بأذنيها ترتِّل القرآن وذاك الخرطوم بحلقها متصل بجهاز تنفس اصطناعي. وفي صباح اليوم الرابع دخل كعادته عليها وإذ بها شاخصةً ببصرها في سقف الغرفة، «يا الله ما أعظم فضلك، ها هي تفتح عينيها، وإن كانت فاقدة

الإحساس بكل أطراف جسدها. لا يهم، المهم أنها هنا.» كان يحدث نفسه والدمع قد بلل جبينها الملتصق بشفتيه.

وبينما هو جالس بقربها وكما هي العادة مرور الأطباء كل صباح، غير أن هذه المرَّة ليست كسابقاتها، فقد باتت غرفتها مزارًا لكل طاقم المستشفى دون استثناء، خروج عن المألوف في كل شيء، حتى تكاليف العلاج التي لا قِبل له بها سخَّرها له الله من حيث لا يدري، فكانت تأتيه رسائل بأرقام حوالات لا يعلم مرسليها حتى يعيد الاتصال بأصحابها، كيف لا وهو ابن مدينة ربَّت وتربَّت على صنائع المعروف فنضحت على كل من قطنها. ناهيك عن دعوات صالحات في ظهر الغيب.

مرَّ أكثر من أسبوعين وهي على وضعها دون حراك وبدأ الخوف من مضاعفات ذاك الخرطوم المستقر في قصبتها عبر الفم، فقرروا أن يصنعوا لها فتحة أسفل الرقبة للتنفس وكل الخشية كانت من الاستفاقة من التخدير ولكن لا خيار بديل، وكان لطف الله ورحمته هو السائد ومرت بسلام. دخل عليها فاستنار وجهها بابتسامة صفَّق لها كل من حضر وحرَّكت شفتيها بالحمد لله لأول مرة، وإن كانت بلا صوت فالله يسمعها، وبات التواصل معها أسهل بكثير. وقرر الطبيب تجربة رئتيها أن بدأ ينقص جهاز التنفس رويدًا رويدًا إلى أن أطفأه وانتظر قرابة الربع ساعة وهي تتنفس بكل سلاسة.

وبدأ مشوار العلاج الطبيعي، وكان المختص إذا بدأ الجلسة يأمر بإخلاء الغرفة. لأيام ثلاثة لم تستجب له بشيء الأمر الذي أصابه بنوع من الإحباط، فأخبرته الممرضة عن تواصلها مع زوجها، فاستدعاه طالبًا منه حضور الجلسة لعلها تستجيب له. فدخل وأمسك يدها ونظر في عينيها برهة من الوقت حتى سال الدمع من كليهما وقال: «لن أمشي معك في الطرقات وأنت على كرسي، ولن أعود إلا ويدك في يدي»، فتعاهدا على ذلك، وبإصرار عجيب بدأت الحياة تدب في تلك الأطراف يومًا بعد

يـوم. ونظـرًا للتكلفـة العاليـة لغرفـة العنايـة، وبعـد استشـارة الطبيـب، قـرَّر إخراجهـا إلى البيـت ورضـخ لـكل الـشروط: فجهَّـز لهـا غرفـة بـكل مـا تحتـاج مـن أجهـزة ومعـدات عـبر شركـة متخصصـة، وأحـضر لهـا طاقـم تمريـض يتناوبـون عليهـا طـوال اليـوم. تجربـة جديـدة وعـالم غريـب عليـه ومسـؤولية قـرار اتخـذه بإخراجهـا. أيـام تمـر مليئـة بـآلام المثابـرة ودمـوع الفـرح بـكل تقـدَّم يحرزانـه، فـأراد أن يكافئهـا فأرسـل في طلـب ابنتهـما الكـبرى للقـدوم.

***

البنت الكبرى

حكمـت ظـروف الحيـاة عـلى أسرتهـا أن تكـون في مهجـرٍ عـن الوطـن، فكانـت نسـخة عـن أبيهـا وبجـدارة، وصقلتهـا المسـاحة التـي منحهـا إيَّاهـا، فكانـت أول تجربـة لهـا في السـفر وحيـدة وكذلـك أول ركـوب لطائـرة، فامتزجـت مشـاعرها بخـوف طبيعـي مـن كل مـا هـو جديـد، غـير أن الهـدف كان أكـبر مـن أي عوائـق قـد تعترضهـا، وخاضـت التجربـة بثبـات وجلـد، حتـى لاح لهـا مـن بعيـد وجـه أبيهـا فأخـذت تجـري نحـوه غـير عابئـة بمـن حولهـا حتـى ارتمـت في حضنـه كطفلـة خرجـت لتوَّهـا مـن أول يـوم مـدرسي. حضـن وبـكاء وأسـئلة وإجابـات في آن واحـد، طبطـب عليهـا واحتواهـا كعادتـه وبـات يهيئهـا لمـا ينتظرهـا وكيفيـة التعامـل معـه ومـا الممنـوع والمسـموح، وكيـف أنَّـه قـرر الاسـتغناء عـن طاقـم التمريـض إلا مـن واحـدة، الأمـر الـذي يحتـم عليهـا تحمُّـل عـبء نفـسي شـديد في التعامـل مـع مـن تحـب بطريقـة قـد تؤلمـه.

كان قـد أجلسـها عـلى كـرسي وقـد مشـط شـعرها ضفيرتـين قبـل خروجه فبـدت كطفلـة تنتظـر شروق يـوم عيـد، وكان اللقـاء الـذي أبى إلا أن يبـدِّل الأدوار بـين أم وابنتهـا.

***

أسبغ تواجد ابنتها ونفحات شهر رمضان دفئًا على المكان، وشد من عزيمتها فباتت أكثر إصرارًا وتشبثًا بالحياة، فزهدت في كرسيِّها ذي العجلات وخاضت مشقَّة تعلم المشي من جديد ونجحت. وازداد تشوُّقها لكل ما أفقدها المرض من نعم قلَّ من يؤدِّي شكرها، فأصرَّت على نزع الخرطوم البالغ معدتها عبر أنفها رغم أن طبيبها قد حذَّر من ذلك لعدم مقدرتها السيطرة على البلعوم، وبعيون يملؤها الرجاء رضخ لطلبها فكانت أول جرعة ماء تتلذذ بطعمها منذ شهرين فابتلعتها بحذر وحرص شديدين لتثبت له أنها قادرة. انتظر حتى الصباح واتصل بطبيب التغذية الذي استشاط غضبًا وأمر بإعادة الخرطوم لأسبوعين آخرين، وهنا، وليقينه بعزيمة زوجته، رفض أمر الطبيب وطلب مقابلته مهددًا بمراجعة غيره فكان له ما أراد. لم يرها طبيب التغذية منذ أن كانت لا تملك من أمرها شيئًا، وحين دخلا عليه المستشفى لإجراء تجربة البلع تحت التصوير سلَّم عليه بوجه متجهِّم وبادره بالسؤال: «أين زوجتك؟» فاحتواه بابتسامة واثقة مشيرًا إليها بعينيه: «تلك التي تقف إلى جوارك»، تسمَّر في مكانه لبرهة غير مصدق ما يرى، ثم بادر بالتجربة بسوائل ثم بمواد أكثر صلابة، فابتلعتها بكل سلاسة فأُسقط في يده ولم يجد بدًّا من الاعتذار لهما عمَّا بدر منه.

استمرت على ذلك الوضع لبضعة أيّام وهو يحاول التواصل مع طبيبها دون جدوى، فهو يمر بوضع نفسي شديد الصعوبة ولم يأتِ لعيادته منذ أكثر من أسبوع بسبب تواجد والده في العناية الفائقة، وهنا قررا اقتحام خصوصيته فيها.

(موعظة)

بينما كان الطبيب داخل غرفة العناية لاحت له عبر زجاج الغرفة مع زوجها وقد بلغ منه الحزن مبلغه، غير أنه انتفض من مكانه وهرع خارجًا لاستقبالهما مكبرًا ومهللًا فلم يتوقع هذا التحسن الكبير الذي طرأ عليها، فلم يتمالك نفسه من البكاء وأشار إليها أن الذي يرقد هو والده. يا الله، فمنذ خمسين ليلة (في ذات المكان)..

زوجته تحتضر وهو قابع عند قدميها والطبيب يواسيه. ويقول:

«عدت إلى البيت مهمومًا فسألني أبواي فقصصت عليهم كيف أن زوجتك جاءتني تمشي على قدميها وها هي تحتضر دون أن أستطيع لها شيئًا، فأخذا يتضرَّعان لله أن يشفيها وكأنَّها ابنتهما.

وها هي اليوم واقفة على قدميها رافعة أكفها تبكي تضرعًا لله أن يشفي رجلًا ثمانينيًّا يحتضر»، وقد كان المكان يعج بكل أطقم العناية يتهامس بعضهم لبعض مستغربًا نجاتها، فأبكت كل من حضرها.

تمالك الطبيب نفسه في ذاك الجو المشحون بالشجن وقال له: «أعتقد أن زوجتك ما عادت تحتاج وصلة التنفس التي بأسفل رقبتها، يمكنكم إزالتها، وناوله ورقة قد كتب فيها علاجًا ثم عانقه بقوَّة وانصرف.

***

رغم صعوبة المشي إلا أنها كانت بالكاد تمس الأرض بقدميها، فراشةً خرجت من شرنقتها للتو؛ استعادت القدرة على السير، وتذوَّقت طعم الأكل، ولم يبقَ إلا سماع صوتها الذي اشتاقت كما الجميع لسماعه.

أجلسها على السرير وطلب منها السعل إذا ما بلغ الرقم ثلاثة في العد، استجمع قواه وشاح بوجهه عنها وبدأ في العدِّ، واحد اثنان ثلاثة، سعلت فسحب تلك الوصلة أسفل العنق حتى استقرَّت في يده، أشرق وجهها واغرورقت عيناهما فرحًا فسارع في وضع قطعة من الشاش عليها، فهمست بصوت طفولي رقيق خافت ملأ المكان بهجة: «عصام، نسيبه، الحمد لله رب العالمين.»

قبَّل رأسها فجبينها فخدها ويديها، وبينما هي بين ذراعيه همس في أذنها: «بعد غدٍ عيد الفطر، فهل نجعل فرحة البنات فرحتين فندخل عليهن فجأة ليلة العيد؟»

فضمَّته إليه بشدة من المفاجأة.

لم تمهل صوتها طويلًا حتى أخذت بطرح الأسئلة عمَّا حدث لها من البداية، فمنذ أن أصابتها حرارة مرتفعة في بيتها بالقاهرة منذ شهرين لا تتذكر شيئًا.

أجلسها على الأريكة وجلس بين يديها، اختلطت كلماته بدموعه وهو يعود بالذاكرة إلى معاناة ليست بالبعيدة، وهي ممسكة بكلتا يديه: «أتذكرين حين مرضت صغيرتنا بالجدري المائي واستفردت أنت بعلاجها وملازمتها؟

هنا تسلل إليك هذا اللعين وربض في جسمك حتى تمكن من خلايا المخ فطوَّر من نفسه دون إنذار حتى بلغ السحايا، وأخذت أركض بكِ بين مصحات القاهرة دون جدوى، فقررت السفر إلى عمَّان، وما هي إلا أيام ثلاثة هناك حتى غبت عن عالمنا جسدًا متشبثًا بالحياة عبر أجهزة. ولكن إرادة الله كانت هي الأقوى، وها أنت بيننا شاهدة على ذلك.» وأراها بعضًا من الصور التي كان قد التقطها لها وبعثها لبناتها

أولًا بـأول. طلبـت هاتفهـا وسـجَّلت مقطعًـا بصوتهـا تشـكر فيـه الجميـع وبعثتـه لهـم.

***

أفطـرت بناتـه عنـد عمهـن آخـر أيـام رمضـان، وبينـما كـنَّ جالسـات فتـح البـاب فظننـه العـم، وإذ بهـا تدخـل عليهـن في مشـهد لا تجـد الحـروف إليـه سـبيلًا.

بروفة الموت

بقلم: هشام عمر

٢٠١٨/١١/٢٥

ظلام دامس.. وصمت مهيب..

أهذا قبري؟.. أهكذا تكون النهاية؟؟

مستحيل..

عشت عمري كلَّه أحسن الظن بالله وأرجو حسن الخاتمة..

هل كنت واهمًا.. مستدرجًا؟

لا وربي.. لا يمكن أبدًا.

وما هذه الأصوات؟

منكر ونكير.. بهذه السرعة وصلتما؟

أين هو البرق الخاطف.. بل أين هو الرعد القاصف؟

تلك أصوات حانية.. ولكنها حزينة باكية.

أهؤلاء صغار الملائكة؟ جاؤوا يشهدون حسابي.. نجاتي أو عذابي؟

ولكن هل تبكي الملائكة ولو كانوا صغارًا؟

وهل في الملائكة صغار؟

توقف. أرجوك. توقف.. لا تضع شيئًا في أنفي!

بصل؟! نعم هو بصل.. وما علاقة البصل بالموت؟ لم أعرف من قبل أنه يُستعمل في الحياة الأخرى!

– إنه يتنفس.. الحمد لله!

قالها الصوت الحاني الباكي.

وبدأت أرى ملامح وجهه الرائق الودود.

شاحبًا - على غير عادته - ذهب الدم منه من شدة الخوف ومن هول المفاجأة.

ولدي.. أصغر الأبناء.

لم أرك تبكي من قبل أيها الغالي.

هل حقًّا أفزعتك الفكرة.. فكرة موت أبيك؟

أتدري يا ولدي كم فَرِحْتُ بهذا الفزع وهذا القلق؟

تتساءل.. أيفرح الآباء من بكاء أبنائهم؟ نعم يا حبيبي.. إذا كانوا يبكونهم.

ومَن هذا الحبيب أيضًا؟

ولدي.. أكبر الأولاد.

أما أنت يا حبة القلب.. فأنا أذكر جيدًا متى رأيتك تبكي قبل هذا.

مرتان.. كلتاهما بسببي.

مرتـان.. دعـوت اللـه مـرارًا أن يمحـي آثارهـما مـن لوحـي المحفـوظ وكتـابي المرقـوم.

أذكرهما لأنهما أعظم ذنوبي.. وكل ذنوبي عظيمة.

تبت منهما آلاف المرات.. فهل تاب الله عليَّ؟

وكـما يقولـون.. أدفـع نصـف عمـري وأنظـر في كتـابي مـرة.. وأراهـما مُحيـا.. فأهـدأ وأسـتريح.

أين ثالثتكما.. ابنتي.. ما لي لا أراها؟

نعم.. تذكرت.

لقـد تزوَّجْـتِ بالأمـس. رحَلـتِ يـا قـرةَ العـين.. أخـذك غريمـي اللـدود.. سـلمته إيـاك بالعقـد المقـدس.

مهلًا..

أصـار لـك بيـت غـير قلبـي.. ومهـد غـير حجـري.. ومـلاذ غـير رمـوش عينـي؟

رحماك يا ربي. أليس ذاك مبتغى كل الآباء؟!

اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك..

هكذا قال المصريون العباقرة.

مـا لي أراني ثائـرًا؟ لم أكـن مسـتعدًّا بعـد لخـروج روحـي مـن جسـدي قبـل الأوان.. وأنـت روحـي يـا حبيبتـي..

إذًا مَن تلك الباكية التي تسمرت بالحائط قريبة من باب الغرفة؟

ما لي أراها فزعة.. خائفة..

لكنها لا تحاول أن تأتي إليَّ.. أو تبكي نائحةً بين يدي؟

– آخ يا سبعي.. عيني عليك يا جملي.. يا ميت ونفسك في البسبوسة اللي بعملها لك بإيدي!

أين هذا الصياح.. وهذا التعديد.. الذي سمعته في صوان مسجد عمر مكرم عند وفاة والد زميلتي هبة؟

وبسبب صديق عمري خالد المنشاوي وتعليقاته.. انقلب المأتم يومها إلى مسرحية لعادل إمام.

حتى العمة التي كانت تنعى أخاها.. اختلط ضحكها ببكائها في مشهد عبثي يلخص كل شيء..

الرجل مات.. ولا بواكي له.. إنما كلام أجوف للمجاملة سقط فورًا تحت تتابع النكات من خالد صديقي.

اقتربي أيتها الحبيبة.. ابكيني ولا تخجلي..

فأنت المشكلة والحل.. أنت السم والترياق.. أنت العسل والبصل..

البصل؟!

أنت إذًا صاحبة الفكرة.. أن يضع ولدي البصل في أنفي كي أفيق من إغماءتي وأعود من موتتي!

أين ذهبت الكولونيا؟! لهذه الدرجة ارتبكتِ.. لهذه الدرجة اضطربتِ؟

تعالي إليَّ.. فأنا في حاجة إلى عناقك كي أستكمل إفاقتي.. في حاجة إلى دفئك أكثر من حاجتي إلى كبريائك.

عناقك الآن ليس ضعفًا. لكنه حب.

وإني في أشد الحاجة إلى هذا الحب.

آه.. الآن تذكرت!

كان آخر ما فعلت أنني وقفت أصلي ركعتي قضاء الحاجة راجيًا الله تبارك وتعالي ألا يُهْدَم هذا البيت الذي شيدته معك.

وعند السجود لم أدرِ ما حدث.. ولا أذكر كم مكثت.

كان الميعاد المحدد بعد ذهاب ابنتي إلى بيتها.. وقد ذهبت أمس.

تراني لم أقدر على تنفيذ تهديدي..

أم أنني أدركت أن هذا لو حدث فستكون نهايتي؟

البروفة كانت دفاعًا عن النفس.. دفاعًا عن البيت.. دفاعًا عن الحب.

وشكرًا للبصل.

تمت

الحياة كلمة مكتوبة

بقلم: أمونيوس سعد

في يوم من أيام الضنك - تلك الأيام التي كنت أسير فيها أكثر ما أركب - أترك نفسي لقدمي، أسير.. أفكر.. أو لا أفكر.. أشغل ذهني أو لا يشغلني شيء.. باحثًا عن العلة والهدف والجدوى من هذه الحياة. كنت خارجًا من الكلية، جاءني صوت على الهاتف المحمول من أحد أصدقائي يخبرني أن صديقة لنا بعملية جراحية وهي الآن موجودة بالقصر العيني وقد اجتمعت الشلة لتزورها وأمامهم ساعة ويكونون هناك. خفق قلبي لحظات واتسعت عيني وسرحت بخلدي؛ إذ هي الصديقة التي أحبها.. ربما لا تعرف ولم أعترف يومًا لها بذلك، ولكني الآن مرتبك أخشى عليها.. قطع أفكاري صوته: «هيه إنت قفلت ولا إيه؟» قلت له: «لا.. معك..إنني سأسبقكم»، وأغلقت الهاتف.

وجريت كالملسوع ألتهم الطريق الأسفلتي بقدمي.. لا أعرف لماذا لم أركب، كنت أشعر أن عليَّ أن أجري، أن أسرع، أخشى أن يخطف الموت مني محبوبتي. سرت وسارت معي عقارب الساعة وصارت معي أفكاري تلاحقني كل دقيقة، عبرت بالجامعة وكوبري الجامعة، ثم جامع محمد

علي وطب الأسنان، كلية الصيدلة، ثم القصر العيني.. وحينما أردفت إلى غرفة المحبوبة وجدت الشلة واقفة، قلت: «هي فين؟»

أشاروا على سرير يحيطه ستار أخضر، فتحت الستار، لأرى أمامي جسدًا مسجَّى على السرير مغطى بملاءة.. قلت في هدوء:

- ألف سلامة عليكِ..

- الله يسلمك.. قالتها بصوت ضعيف مع ابتسامة بسيطة خارجة من ثغر ووجه شاحبين واهنين يكسوهما المرض.

- تقومي بالسلامة بإذن الله.

- بدعائكم، أشكرك على مجيتك دي.

ابتسمت وقلت: «هسيبك تستريحي»، وخرجت مسرعًا دون أن أسلم على أحد، ولكن لم يعد القلب كسابق عهده.

تغير حالي، شعرت بقلبي ينقبض، سار الاشمئزاز في نفسي، قرفت من منظرها وهي ملقية على السرير، ضعيفة واهنة، ليس لها قيمة ولا معنى. لا أعرف كيف فكرت في هذا؟ ألم أكن أحبها؟ لماذا لم أحنُ عليها، ولماذا سار الاشمئزاز من منظرها؟ ألأنها ضعيفة؟ أحببتها قوية ورفضت ضعفها؟ قرفت من وجهها الشاحب؟ هل خدعك منظر المساحيق والألوان الباهية أيها الندل الجبان؟! لا، إنني لست جبانًا وأنا أحبها.. لا، لا تحبها، أنت تحب نفسك، أنت أحببت صورة ولا إنسانًا.

وبينما أنا في هذا الصراع النفسي الرهيب أهرع وأجري وأتنفس بقوة حتى خانتني قدمي فوقفت على الكوبري أنظر النيل وماءه الصامت الذي يتحرك في هدوء ودارت الأفكار في ذهني..

هل أتركها الآن؟ وبإرادتي؟ أعلم إن تركتها سأنعم بالراحة، بصفاء

الذهـن وانسـيابية كاملـة وسـمو النفـس وحـلاوة الـروح، سأسـير في هـذا الصـف الملائـكي يسـبح جسـدي وتسـبح نفـسي في بحـور الشـعر راقصًـا عـلى أنغـام موسـيقى الخلـود. أظننـي إن تركـت الحيـاة ملكـت الأفئـدة.. أكـون حـرًا دون قيـد.

إن تركتهـا سـأتخلص مـن هـذا الـصراع الداخـلي.. أنـا أشـمئز مـن نفسي.. كنـت أحبهـا وهـي قويـة وجميلـة، ولمـا رأيتهـا واهنـة شـاحبة كرهتهـا نفـسي.. يـا لحقـارتي، يـا لقـذارتي! لم أكـن أعـرف أبـدًا أننـي هكـذا. أخرجـت ورقـة مـن جيبـي كتبـت عليهـا هـذه الكلـمات:

- الزمـن نتـاج النظـام الكـوني، والتاريـخ هـو النتيجـة الطبيعيـة لسـير الزمـن.

- الجـروح قطـع طـولي محفـور لمـا يسـطره التاريـخ، والآلام هـي النتيجـة الطبيعيـة لجـروح القلوب.

- الزمـن مولـود متمـرد جـاء لينـشر آلامًـا بـين البـشر، لم يقبـل الأدب أو التأديـب.

- عجبت لزمن ضاق به الحال، فما بقي ولا بقي أحد على حال.

- الألم هو العلامة المضيئة في التاريخ، ويجب إيقاف هذا الأخير.

طبقـت الورقـة ووضعتهـا في جيبـي وألقيـت بالقلـم عـلى صفحـات النيـل، وصعـدت عـلى السـور لألقـي بنفـسي بـين أحضـان ذلـك العريـق، وبسـطت يـدي كأني سـألتقي بحضـن المحبـوب وأنـا أغمـض عينـي التـي تنسـاب منهـا الدمـوع، ويخفـق قلبـي بقـوة حتـى كاد يخـرج مـن ضلوعـي، وتتلاحـق الأنفـاس في سـباق مسـتمر.. لم أرَ أمـام عينـي سـوى صـورة غرفتـي بمنـزلي والركـن الـذي دومًـا أكتـب فيـه تحـت ذلـك المصبـاح المـضيء، غرفتـي كانـت دومًـا بالنسـبة لي عشـقي غـير المتناهـي؛

ففيها كتبي ومكتبتي ومعبدي ومرقدي، دائمًا هادئة لا صوت فيها سوى جرة قلمي يهتك عذرية الأوراق البيضاء، وصوت أنفاسي يملأ المكان بتسارع نبضات قلبي تسري تلك النشوة التي تغذي عقلي.. رأيتني في غرفتي أكتب «الحياة».

وهنا فتحت عيني فجأة، يبدو أن الناس تجمهرت من خلفي وأحدهم مسك بقدمي وأسقطني أرضًا لأجد نفسي تحت الأقدام والناس حولي يقولون الكثير وهمهمات، حتى أقامني رجل عجوز يبدو قديم الأيام، أعطاني ورقة تبدو هي التي كتبتها، كان صوته هادئًا وكأن جميع الضوضاء سكتت فلا أسمع سوى كلماته: «كنت أراقبك، خذ كلماتك انشرها للعالم، الحياة كلمة مكتوبة لها فعل الخلود، لا تخسرها.. أنت وُلدت من جديد.»

أخذت الورقة، ومشيت بعدما ربَّت الرجل على كتفي.. ظللت أفكر فيما قاله وما كتبت.. حقًّا إن الحياة كلمة مكتوبة لها فعل الخلود.

أتظاهر بالجنون

بقلم: أمونيوس سعد

أحببت امرأة، ولأجل قربها تظاهرت بالجنون.. فجلست على مقعد خشبي بمقهى أمام شرفتها التي تطل منها في هذا الوقت من غروب الشمس، أنتظر أن يأتي الطبيب إلى عيادته في البيت المجاور لمنزلها.. فكنت أعمل مندوب دعاية لإحدى شركات الأدوية، آتي إليه مجاملًا بالهدايا والسفريات وغيره حتى لا يقطع كتابة دوائنا في روشتته التي يكتبها لمرضاه.. وكان يأتي دومًا في السادسة مساء وآتي أنا في الخامسة هذه الساعة أحتسي فنجان القهوة وأنتظر الطبيب وأنظر الجمال المعهود.

أتذكر تلك المرة الأولى التي أتيت إلى منطقة العسال بشبرا لأسأل عن طبيب القلب المعروف هنا، وحينما دلوني أهل المنطقة على عيادته كانت هي واقفة تنشر الملابس من الشرفة التي تلاصق العيادة بالدور الأول، وبينما أنا أتحدث مع أهل المنطقة يبدو أنها لم تعصر الملابس جيدًا فكان سيل من قطرات الماء تساقط على رأسي وابتل قميصي، فظننت السماء تمطر، ولكنها لا تمطر أبدًا في هذا الوقت من شهر

سبتمبر إذ كانت الشمس ما زالت ساطعة، لم آخذ ثواني في التفكير بهذا حتى أدركت أن هناك خطأ ما حاصل، فرجعت إلى الوراء ناظرًا لأعلى أبحث متلفتًا هنا وهناك، وما كنت لأدرك شيئًا حتى تغنَّى هذا الصوت الجميل بنغمات مطربة وكأنها أغنية تُعزف على عود بكلمات رقيقة: «آسفة يا سي الأستاذ، ماعصرتش الهدوم كويس»، قالتها بخجل بابتسامة صغيرة ودلع أنثوي يعتصر أوصال قلبي ويسدي قشعريرة ببدني.

هذا وما زالت قطرات الماء تتساقط برائحة المسحوق المعروف، وأدركت هي فقالت: «يووه، يقطعني يا سي الأستاذ»، ورفعت الملابس، فقلت: «لا مافيش حاجة حصل خير»، وتراجعت. قال الرجل متهكمًا:

– تعيش وتاخد غيرها يا جميل. اقعد بقى استريح على القهوة دي لغاية ما الدكتور يجي.

طلعة البدر في ليلة التمام، نسيم البحر على شاطئ الحب، حرارة الشمس في لهيب القلب، قطرات الندى على أرض العشق، جمال الأسلة في وادي الحنين.. كنت أفكر في هذه الكلمات وأنا جالس على المقعد الخشبي بعد ما رأيت من جمال يكاد ينطق من الشرفة، فقدم القهوجي فنجان القهوة يقول:

– اتفضل يا أستاذ القهوة، معلش هو القميص لسة مبلول، ولا يهمك دلوقتي ينشف.

– هي مين الست اللي كانت في البلكونة؟

– دي الست سنية، اوعى تاخد على خاطرك منها، دي يتيمة، أبوها اتوفى بعد ما جوِّزها للحاج سردينة بشهر واحد، والحاج جاتله أزمه قلبية بعد سنتين جواز شافت فيهم المرار، وفي غيبوبة بقاله ٦ أشهر في المستشفى.

كانت قشعريرة باردة تنتابني كل ثلاث دقائق بسبب القميص المبلول ويشاهد ذلك القادمون إلى المقهى متعجبين، فأمامهم رجل يهتز جسده كل دقائق، يظنونني مجنونًا أو أتظاهر بذلك.

أتى الطبيب متأخرًا السابعة مساء، صعدت إلى عيادته وجلست أنتظر دوري الذي لم يأتِ قط، فاعتذر لي الممرض عن ذلك لأن المرضى كثيرون جدًّا هذا اليوم وأن الطبيب لن يستطيع اليوم مقابلتي. كان الرجل في قمة الاحترام والأدب، خرجت آسفًا، فتح لي الباب لأخرج ويبدو أن هناك بابًا آخر في الشقة أمام العيادة فُتح في نفس الوقت، سرت لأنزل على السلم لأجد أمامي عودًا ممشوطًا في دلال مسطور.. إنها سنية. نظرنا إلى بعض برهة دق فيها قلبي يتسارع بنهم وشيء من السرور يسري في جسدي.. ابتسمت بقوة، فأنا في قمة السعادة والنشوة..

قالت: «بعتذر منك تاني يا سي الأستاذ، ماتآخذنيش يعني»، قلت في ارتباك: «ولا يهمك يا ست الكل ماحصلش حاجة، فُتك بعافية»، قالتها ونزلت هي على السلم تحدث صوت متناغمًا بحذائها على درجاته - دلال مسموع يعزف على سلم موسيقي أغنية عشق تدور في خلد حالم ولهان.

أعود لراحتي وراحتي لا تعود إليَّ..

يقفر المسكن بوحشته والوحش يمر مقفرًا..

الحب ظلال المحبوب فارقني المحبوب وما بقيت ظلال..

لسان العشاق يترنم ولساني عاشق يتألم، وإن كتبت فماذا أقول والقول عندك أنتِ مسطور..

أحبك، وإن طالت الأيام وغابت فلن يغيب حبي حتى وإن طالت..

راسل أنا إليك الحب والحب منك إليَّ رسول..

يتكرر هذا كل الأسبوع دون أن أقابل الطبيب ما بين عذر وزحام شديد، القهوة والمقهى، العسال والغسيل، الشرفة والجمال، القشعريرة كل دقائق.. أتظاهر بالجنون.. تلهبني طلعتها، يشجيني دلالها على السلم الموسيقي، نوتة تلحن أغنية عشق لا تبرح ذهني.

وفي اليوم المشؤوم أتيت متأخرًا عن موعدي في الثامنه أرى المنطقه كلها تراب وغبار وسيارات نقل وحفارات، ومنازل بدهان جديد وأخرى مهدومة.. بيتها غير موجود، حطام وساقط.. والقهوة غير موجودة.. وحطام كل شيء في الشارع. ظننته زلزالًا، ولكن بيت الطبيب قائم. قال الناس يتم تطوير المنطقة وإزالة البيوت غير المرخصة. جن جنوني، أين الجميلة؟ أين سنيتي؟ كاد عقلي يطير، دموعي تنزل رغمًا عني، تائه ومحتار.. طلعت مسرعًا إلى عيادة الطبيب، قال لي الممرض: «معلش الدكتور مش هيقابل مناديب النهاردة-» قاطعته بقوة ولهفة: «أنا مش جاي مندوب أنا جاي مريض، اقطع لي تذكرة»، وأثناء دهشتي ودهشة الحاضرين أردفت إلى غرفة الطبيب غير مبالٍ بالجلوس وصرخ الممرض خلفي قائلًا: «مايصحش يا دكتور كده»، هب الطبيب واقفًا قائلًا:

- ما لك يا بني؟

قلت: «الحقني يا دكتور قلبي موجوع!»

- أيوة، فيه ميعاد كشف؟

- حالتي لا تحتمل الانتظار.

- بس أنا شايفك كويس!

- أنا موجوع بالحب.

- يا بني أنا طبيب قلب ولست طبيب حب.

- ما الحب في القلب يا دكتور!

استشاط الطبيب غضبًا ويبدو أن صبره نفذ وصرخ: «طلعوا البني آدم ده برة!»

عليت صوتي وقلت: «دوائي عندك يا دكتور»، وجن جنوني وازداد صراخي: «داوِني بدوائك أيها الطبيب، ماتسيبنيش متعذب».

جذبني الممرض إلى الخارج والتفت الكل حولي متصعبًا على حالي وربت أحدهم على كتفي وأنا أصرخ كالمجنون: «أين هي، أين المحبوبة؟ أين أخذتموها؟ أعطوني دواء إن كنتم لا تأتون بها إليَّ»، تركوني أجر قدمي خارج العيادة أبكي مكتئبًا حزينًا مطأطئ الرأس هذيل الجسد تتساقط دموعي، وعند السلم سمعت صوت باب الشقة وسواد يظهر كعمود روح ليلة مظلمة تغشى المكان، وكأنما طير مد جناحه يمينًا إلى قبس النور، فتبينت فإذا امرأة واقفة، وحينما أضاء رأيتها بكامل هيئتها.. إنها السيدة سنية واقفة. تحيرت لحظات.. وقفت جامدًا أفكر.. أدركت أني مخطئ، فالبيت المزال ليس منزلها وإن شقتها تجاور الطبيب في نفس البيت، عكس ما كنت أظن أن منزلها يجاور بيت الطبيب.. على الرغم من أني كل يوم أراها تخرج من الشقة في نفس المنزل. ويحي، هل أنا مجنون؟ هل خرب عقلي؟ تسللت نشوة داخلي وهدأ قلبي.. كادت أن تنطق حتى سمعت من داخل شقتها صوتًا متحشرجًا قبيحًا: «مين يا سنية؟» فسكتت، فعاد ثانية بصوت أعلى: «مين يا سنية؟»

وأثناء اندهاشي سألت نفس السؤال مشيرًا إلى نفس الصوت: «هو مين يا سنية؟» فأجابت إجابة واحدة فقط لكلينا: «ده الدكتور يا حاج سردينة.»

هـذا الأخـير خـرج بكلسـونه وشـعره الأشـعث وذقنـه الطويل وانكماشـة وجهـه.. قـد أفـاق مـن غيبوبتـه ولم يمـت.

كـسرت دهشـتي بضحكـة عاليـة مدويـة بقهقهـات مصحوبـة بآهـات، ورفعـت يـدي وأنـا أتمايـل بجسـدي وأقفـز بقدمـي كالقـرود، أرقـص وأتهلـل بجنـون ضاحـكًا، والجميـع خـرج يشـاهد رجـلًا لا حـول لـه ولا قـوة.. أهـرع إلى السـلم لأجـري لآخـر الشـارع مهـرولًا وتركـت منطقـة العسـال دون رجعـة.

يا طبيب الحب عندك دواء يشفي ذاك الذي يدمي من صدري؟

ما من ترياق لديك ينهي تلك الآلام؟

ليس على المرء لوم فيما يفعل إن كان يحب أو لا يحب..

إنك لا تستطيع أن تقاوم الحب إذا جاء وإذا ذهب..

نصبـت محكمـة الظلـم في سـاحة العشـق كانـت هـي الجـلاد والقـدر قـاضٍ والسـجان فكـري..

حبستني أفكاري فجننت بها وهام فكري طائشًا عنها..

ولكي أراها ليس لي حيلة سوى أن أتظاهر بالجنون.

حديـــــث الجدران

بقلم: رانيا بيومي

الجـدران صامتـة.. ولـو تحدثـت لقالـت الكثـير والكثـير.. تحتفـي كل صبـاح بمـن يدخلـون عـبر بوابتهـا.. تدقـق كثـيرًا في ملامحهـم حيـث تبـدو الابتسـامة عـلى وجـوه البعـض منهـم وهـم يلقـون تحيـة الصبـاح عـلى فـرد الأمـن الواقـف أمـام مدخـل المبنـى الكبـير.

تسـتقبلهم الجـدران كل صبـاح وتودعهـم عـصرًا وهـي واقفـة، صامتـة، سـاكنة، شـامخة.. شـاهدة عـلى كل فـرد فيهـم.. متأملـة أفعالهـم كل يـوم.. تُـرى، هـل آثـرت الجـدران الصمـت مـن كـثرة مـا شـاهدته واحتوتـه بـين أحضانهـا الأسـمنتية؟ أتنطـق يومًـا فيكـون نطقهـا عـدلًا، أم أنهـا سـتظل صامتـة أبـد العمـر، كاتمـة لـلأسرار، مختزنـة بداخلهـا بواطـن الأمـور؟

تعلـم تلـك الجـدران عـن زائريهـا أكـثر مـما يعلمـون عـن بعضهـم البعـض.. فـما يعلمـون عـن بعضهـم بعضًـا هـو فقـط مـا يبدونـه.. ولكـن الجـدران تعلـم مـا بداخلهـم، تتخلـل أعماقهـم، تـدرك أسرارهـم.. لذلـك هـي حقًـا خطـيرة.. وأَولى بهـا ألا تنطـق أبـدًا.

فكـرت الجـدران كثـيرًا أن تفصـح عـما يـدور بداخلهـا كل يـوم.. فكـرت

أن تنطـق.. أن تـصرخ.. أن تطالـب بالرحمـة.. أن تدعـو للعـدل.. ولكنهـا ترجـع دائمًـا في تفكيرهـا وترجـئ هـذا القـرار لليـوم التـالي لعـل اللـه يحـدث أمـرًا.. تخـاف الجـدران كثـيرًا أن تتدخـل في المسـار الكـوني.. فلطالمـا رأت وسـمعت وأدركـت.

منـذ أن كانـت الجـدران بضـع طوبـات وكومًـا مـن الرمـل والأسـمنت وهـي شـاهد عـلى الكثـير مـن نمـاذج البـشر.. كانـت شـاهد عيـان عـلى مـن كانـوا يبنونهـا ويضعـون لهـا حجـر الأسـاس.. رأت عاملًا قـوي البنيـان، مفتـول العضـلات، يعمـل بهمـة ونشـاط كي يقيـم أساسـها.. رأتـه يبـكي يـوم أن علـم بمرضـه وبأنـه لـن يتمكـن مـن المسـاهمة في بنائهـا بعـد اليـوم.. كانـت تـود أن تسـاعده حـين تـم الاسـتغناء عنـه.. رأفـت عـلى حالـه كثـيرًا وأشـفقت عليـه وهـو يرجـو صاحـب العمـل أن يـوكل لـه أي عمـل آخـر بسـيط.. وظلـت الجـدران صامتـة وهـي تشـاهد صاحـب العمـل يرفـض طلبـه. أوجعهـا انعـدام الإنسـانية في نفـوس البـشر، ولكنهـا لم تملـك أن تفعـل لـه شـيئًا وأخـذت تودعـه في سـكون.

رأت مديـر الشركـة الجديـد وهـو يقـص شريـط المبنـى بعـد اكتمالـه.. رأتـه يزهـو بنفسـه كثـيرًا.. شـهدت عليـه وهـو يعطـي الكثـير مـن الوعـود فـور توليـه هـذا المنصـب.. ثـم شـهدت عليـه مـرة آخـرى وقـت أن تمكـن مـن السـلطة وفعـل عكـس مـا كان يعـد بـه تمامًـا.

شـهدت الجـدران عـلى ظلمـه لموظـف كفـؤ لم يسـتطع أن يقـوم بنفاقـه كـما يفعـل الآخـرون مـن أصحـاب لقـب متملقي السـلطة.. شـهدت قهـرة ذلك الموظـف الشـاب المجتهـد الـذي اضطـر لـترك جدرانهـا في يوم ما حين لم يسـتطع أخـذ حقـه.. كانـت الجـدران فخـورة بـه.. تريـد أن تضمـه وتربـت عـلى كتفـه لتطمئنـه أنـه سـيلقى حظًـا أفضـل في مـكان آخـر ومـع جـدران أخـرى.

شـهدت أيضًـا علاقـات غـير سـوية، مكالمـات هاتفيـة سريـة تـدور بـين أروقـة المكاتـب، ظلـم بـيِّن وأحيانًـا طيبـة مفرطـة.. شـهدت عـلى سـيدة اتُّهمـت ظلـمًا في خطـأ مـا تسـبب للشركـة في خسـارة ماديـة، اعتقـدت تلـك السـيدة أن زميلـة لهـا أوشـت بهـا وظلـت تكـن لهـا الكراهيـة وتتعامـل معهـا بجفـاء شـديد.. ولكـن الجـدران، لمـا لهـا مـن قـدرة فائقـة عـلى معرفـة حقائـق الأمـور، علمـت أن تلـك الزميلـة لم تظلمهـا ولم تـشِ بهـا.. بـل عـلى العكـس فمـن وشـت بهـا كانـت أكثرهـن تقربًـا إليهـا، ولكنهـا لم تـدرك تلـك الحقيقـة أبـدًا.

تمـر السـنوات وتظـل الجـدران شـامخة في نفـس المـكان.. مـن يراهـا مـن بعيـد يظـن أنهـا مجـرد جـماد.. ولكنهـا أبـدًا ليسـت بجـماد.. هـي خليـط مـن أحاسـيس البـشر.. مزيـج مـن تراكـمات مواقـف الحيـاة.. كل إحسـاس اختلـط بحوائطهـا.. كل خـذلان كانـت شـاهدًا عليـه.. كل فرحـة نجـاح أو انتصـار.. كل نشـوة كانـت المـادة سـببها.. كل احتيـاج نفـسي لم يشـبع.. كل طمـع.. كل نميمـة.. كل شيء وأي شيء كان مختزنًـا بـين حوائطهـا.. كـم تمنـت يومًـا أن تـصرخ لتنبـه زائريهـا.. لتوقظهـم مـن غفوتهـم.. لتقـول لهـم تعلمـوا الـدرس ممـن سـبقوكم.. فأنـا كنـت شـاهدة عيـان عـلى الجميـع.

كانـت شـاهدة عـلى نفـس المديـر الظـالم وقـت أن خـرج مـن السـلطة.. وانفـض الجميـع مـن حولـه.. لم يسـأل عليـه أحدهـم.. انتهـت زهوتـه فـور خروجـه مـن بوابـة مبناهـا يـوم أن أدرك سـن المعـاش.. هـل لهـذه الدرجـة لم يتعلـم ممـن سـبقوه في المناصـب.. لم يتعلـم أن الزهـو يختفـي وأن مـا يبقـى فقـط هـو العمـل الطيـب؟ هـل للجـدران أن تعقـل وصاحـب العقـل نفسـه في غفلـة؟ ألم يعلـم أن لـكل شيء نهايـة؟ أمرهـم عجيـب حقًّـا هـؤلاء البـشر.

كل يـوم تشـهد الجـدران المزيـد مـن لمحـات الحيـاة.. فهـي موجـودة في كل مكتـب وكل طرقـة مـن الطرقـات.. تسـمع الهمسـة وتطَّلـع عـلى مـا يـدور بداخـل الأدمغـة.. تـودع زائريهـا في صمـت وتتمنـى لـو تنطـق فتنصـح وتسـامح وتصلـح بـين البـشر.. كل يـوم تتعجـب مـن أحوالهـم.. تـرأف عـلى حالهـم.. وترثـي إليهـم كثـيرًا.. حباهـم اللـه بالعقـل والعاطفـة ولكـن سـيطر عليهـم الطمـع كأنهـم مخلـدون في هـذه الدنيـا.. آه، لم يعلموا كـم احتـوت الجـدران مـن بـشر.. تـود الجـدران أن تنطـق ولكنهـا سـتظل جدرانًـا ويظـل البـشر هـم البـشر.

إشـــــارة مرور

بقلم: رانيا بيومي

تمـر مـن نفـس الشـارع وتقـف في نفـس إشـارة المـرور كل صبـاح.. قـد تطـول وقفتهـا أو تقـصر حسـب ازدحـام السـيارات في ذلـك الوقـت مـن اليـوم.. هـي تكـون بالعـادة متعجلـة وتنتهـز تلـك الدقائـق المعـدودة وقوفًـا في الإشـارة للنظـر إلى نفسـها والاطمئنـان عـلى هيئتهـا في مـرآة السـيارة وهـي في طريقهـا للذهـاب إلى العمـل حيـث إنهـا تنـزل مسرعـة بعـد أن تكـون قـد أدت كافـة مهامهـا تجـاه أولادهـا واطمأنـت أن الـكل قـد اتجـه إلى مدرسـته في سـلام.. كان يراودهـا إحسـاس دائـم بأنهـا قـد نسـيت شـيئًا مـا يخـص حقائبهـم ومـا يحتاجـه الأولاد خـلال اليـوم الـدراسي.. فهـي دائمًـا تشـعر بالمسـؤولية الكبـيرة حيـث إنهـا الوحيـدة التـي تهتـم بشـؤونهم بـدون رجـل يشـاركها حياتهـا.

وفي الطريـق، لاحظـت وجـوده المتكـرر بصفـة يوميـة ولكنهـا لم تعـر للأمـر اهتمامًـا.. كان يتواجـد كل يـوم في نفـس المـكان ونفـس إشـارة المـرور.. ذلـك الشـاب الوسـيم الدائـم الابتسـام.. مظهـره لا يتناسـب أبـدًا مـع مسـاحة زجـاج السـيارات التـي يمسـكها بيـده عارضًـا عـلى سـائقي

السيارات أن يقوم بتنظيفها.. ملابسه أنيقة ومهندمة على الرغم من بساطتها.. هيئته نظيفة وحذاؤه يلمع.. صوته هامس وهو يعرض عليها تنظيف الزجاج في أدب شديد.. لم تكن تملك إلا أن تومئ له برأسها علامة على الرفض بكل ذوق.. وكان يحني رأسه بدوره شاكرًا إياها ثم يتخطاها إلى السيارة التي تليها عارضًا على سائقها نفس الشيء بأدب جم.

في البداية لم تعطِ الأمر أكبر من حجمه.. فهو شاب مكافح يطلب لقمة العيش مقابل عمل بسيط يقدمه للمارة.. وهي امرأة عادية تقود سيارتها في اتجاه عملها.. حتى جاء اليوم الذي قررت فيه أن تدعه ينظف زجاج السيارة بالأدوات التي معه.. ركنت له على جانب الطريق بناء على طلبه وقام هو بمنتهى الهمة والنشاط في تنظيف الزجاج مرة بالصابون ومرة آخرى بالماء.

استمرت تتابعه بنظراتها حتى انتهى من عمله، وعندما همت بإعطائه مبلغًا من المال في المقابل، نظري إلى الأوراق النقدية وبدت علامات الدهشة المصحوبة ببعض الامتعاض على وجهه وقال لها في صوت خفيض: «كده كتير قوي يا هانم.»

نظرت إليه ولم تدرِ بماذا ترد ولكنها أدارت محرك سيارتها بسرعة وهي تهم بالذهاب وهمهمت: «أبدًا.. شكرًا على تعبك».. لم تعطِ له الفرصة للرد وأسرعت تقود السيارة كي تلحق بميعاد عملها.

وفي الصباح التالي، وفي نفس إشارة المرور، بحثت عنه بعينيها فلم تلتقِه.. لم تعلم سببًا لاضطرابها في ذلك اليوم حين أضاءت الإشارة لونها الأخضر وقامت بقيادة سيارتها في هوادة عله يكون هناك ولم تلحظه.. ولكنه لم يكن موجودًا.. مر يومها عاديًا مثل باقي أيامها.. انصرفت إلى منزلها تتابع

شؤون أطفالها.. وبعد ازدحام اليوم وعند خلودهم للنوم، انفردت بنفسها في حجرتها وأخذت تسترجع أحداث اليوم كما اعتادت أن تفعل دائمًا.. تعجبت عندما تذكرته واكتشفت أن غيابه قد ضايقها قليلًا.. نامت من التعب واستيقظت في الصباح التالي على نفس روتين حياتها اليومي.

وعند مرورها في الإشارة، وجدته واقفًا يؤدي مهمته بكل نشاط كالعادة.. اقتربت منه بسيارتها وركنت على جانب الطريق وانتظرت حتى انتهى وأتى إليها.. سألها إن كانت تريد تنظيف الزجاج فأومأت بالإيجاب.. بدأ في عمله وعيناها لا تفارقاه.. أعطت له مبلغًا من المال أقل من المرة السابقة.. شكرها وعلى وجهه ابتسامة وتمنى لها يومًا سعيدًا.

ومرت الأيام وهي على نفس النظام اليومي.. تركن له السيارة على جانب الطريق، ينظف الزجاج الأمامي وعيناهما لا تفارقان بعضهما بعضًا.. تعطيه بعضًا من المال.. يتمنى لها السعادة والتوفيق في يومها.. تذهب إلى حال سبيلها.

وذات يوم، وبعدما همت بإعطائه النقود مثل كل مرة، رفض أن يأخذها وطلب منها أن تنتظره دقيقة.. ذهب إلى الشجرة الكبيرة التي تنتصف الرصيف وأخذ من ورائها صحبة متواضعة من الزهور البيضاء كان قد ابتاعها لها خصيصًا.. توترت كثيرًا عندما طلب منها أن تقبل منه هذه الزهور متمنيًا لها أن تكون أيامها كلها جميلة صافية كصفاء ونقاء لونها الأبيض.

أخذت منه الورود في عجالة.. شكرته في جملة قصيرة مقتضبة.. أدارت محرك السيارة وقادتها إلى عملها.. وعند وصولها هناك وضعت الورود في مزهرية صغيرة وأخذت تتأملها طوال اليوم وعلى وجهها نظرة سعادة وفرح لا يخطئها من يعرفها.

نامت ليلتها وحيدة في فراشها، تتذكر موقف الورود وتبتسم لنفسها، قلبها يدق بعض الدقات الصغيرة التي تمنعها من النوم.. وفي الصباح، وبعد ذهاب أطفالها لمدرستهم، وعندما استعدت بكامل أناقتها للذهاب للعمل.. أخذت تقود سيارتها في شارع آخر غير الذي اعتادت عليه.. كان شارعًا أطول قليلًا.. أدارت الراديو على صوت فيروز عاليًا؛ لعله يداري على صوت اضطراب مشاعرها.. نزلت دمعة صغيرة على وجنتيها.. مسحتها سريعًا خوفًا منها أن تفسد زينتها.. كانت وقتها قد اتخذت قرارها الحاسم.. وهو ألا تمر بإشارة المرور تلك أبدًا مرة آخرى.

وصلت إلى مكان عملها وكانت الزهور البيضاء لا تزال بها بعضًا من رائحة.. أخذت تلمسها بطرف أناملها وتستنشق عبيرها وتملأ رئتها به حتى غمرها فيض من الأحاسيس التي لم تعرف لها وصفًا.. أفاقت على صوت مديرها وهو يقف قبالتها ويطلب منها أمرًا عاجلًا يخص العمل.

كنبـــــــة وفاء

بقلم: رانيا بيومي، ومحمد عقل

كنبة وفاء، ولَّا وفاء الكنبة، ولا وفاء والكنبة..

قد إيه القصة عنوانها محير، وهي اللغة العربية كده، غنية ودسمة وسهلها ممتنع وصعبها ممتنع برضه..

كل اختيار ليه معنى مختلف وبيدي انطباع بعيد كل البعد عن التاني.

بس على فكرة الثلاثة صح، لأن وفاء هي صاحبة الكنبة، الكنبة اللي كانت حريصة جدًّا إنها تاخدها في أوضتها بعد وفاة جدها العمدة، وأصرت وفاء بصورة غير طبيعية إنها تشحنها من بيت جدها - أو بمعنى أدق من دوار العمدة - في قريتهم الصغيرة لبيت باباها في القاهرة في نفس السنة اللي أخدت فيها الثانوية العامة بمجموع معقول، ولكنها كانت سعيدة جدًّا هي وباباها ومامتها إنها مرت بسلام بعد ظرف وفاة جدها اللي كانت بتحبه قوي وعمره ما كان بيرفض لها أي طلب، وكمان كانت بتستعمل جدها كوسيلة ضغط على باباها لو رفض يعمل لها أي حاجة عاوزاها.

– بالراحة يا عم محمود، انزل لتحت شوية يا أسامة، خلي بالك أرجوك، دي حبيبتي..

حاسب تخبطها في حرف الباب..

– حاضر يا ست وفاء، ماتقلقيش، دي زي بنتي..

قالها عم محمود وهو بيضحك.

وضحكت كمان مدام عايدة أم وفاء قائلة:

– يا بنتي جننتيني، ساعات بتحسسيني إنها أختك اللي ماولدتهاش!

– طبعًا يا ماما، كنبتي حبيبتي، إنتِ عارفة يا ماما بقالنا قد إيه أصحاب؟

– يا مثبت العقل والدين.. كام يا بنتي؟

– داخلين على ١٥ سنة أهه، من وأنا في أولى إعدادي.

وسكتت وفاء.. ثم قالت: «كإنه إمبارح.»

– هوه إيه يا بنتي؟ - قالت وفاء.

– يوم الكنبة يا ماما.. مش فاكراه؟

– لا يا حبيبتي..

ثم قاطعهما أسامة: «لا مؤاخذة يا ست وفاء.. هو يوم الكنبة ده غير يوم الجمعة؟» فضحكوا كلهم إلا وفاء.

– ده يوم رجلي لما اتكسرت واحنا عند جدو في البلد يا ماما وساعتها جدو كان قاعد على الكنبة بعد ما رجعنا من عند الدكتور وجبست رجلي.. ساعتها جدو نيمني على الكنبة وحط راسي على رجله.

عارفة يا ماما.. ساعتها حسيت إني برة الدنيا.. كل الألم راح.. حسيت إن الكنبة خدتني في حضنها.. إزاي ماعرفش.

ومن يومها ابتدت صحوبيتي مع الكنبة.. يااااه!

– وخطيبك عارف حكايتك مع الكنبة ولا ناوية له على جنان؟

– عارف شوية منها.. حكيت له عنها لما أصريت إني أخدها معايا من عندكم وأجيبها هنا.. ما هو محمود اللي طلب مني أجددها عشان تمشي مع ديكورات الشقة الجديدة.

عارفة يا ماما.. هي فعلًا صاحبتي.. كانت معايا على الحلوة والمرة.. عمرها ما سابتني.. حتى وانتم مسافرين.. كنا بنقعد سوا نتكلم وأحكيلها وباحس إنها بتسمعني وبترد عليَّ بس أنا مش دايمًا بافهمها.

– يا بنتي الرحمة بقى، ربنا يكون في عونك يا بني ويصبرك!

– مين يا ماما؟ قصدك ابن المحظوظة خطيبي؟

– طبعًا يا حبيبتي.. يا بنت المحظوظة.

– يااه يا ماما، دي شافت معايا أيام..

شافت دموعي وضحكتي وتنطيط عليها مع صاحباتي.. وولادي إن شاء الله يا ماما.. نفسي يحبوها زي ما حبتها.. أكيد هي فرحانة إن فرحي قرب وحاسة بيا وبسعادتي.

ضحكت مدام عايدة وقالت: «ربنا يهديكي يا بنتي.. هو الجواز هيجننك كده.. دي حتة كنبة لا راحت ولا جت.»

– لأ يا ماما ماتقوليش كده.. مش عشان حضرتك مش حاسة بيها زي ما أنا حاسة بيها إنها مش بتحس، «إن من شيء إلا يسبح بحمده ويقدس له» صح؟

– ونعم بالله يا بنتي، صح طبعًا.

- إنتِ عارفة يا ماما السنة اللي فاتت كنا بنتفق على خروجة مع ولاء وصفاء يوم العيد وفي الآخر رحنا فين؟

- فين يا حبيبة ماما؟

- رحنا كنبة هاهاها..

- الصبر يا رب.. يعني إيه، ده مول جديد ولا كوفي شوب؟

- قضينا الليلة كلها على كنبتي.. لا مع كنبتي، مش عليها.. وكانت ليلة جميلة جدًّا واتبسطنا كلنا مع كنبتي حبيبتي..

وبقت الكنبة في حياة وفاء وأصدقائها المقربين رمز لحنان وحب غير مشروط ولا مربوط بزمن، زي حنان الأم، مع الفرق إن أمك ممكن تزعل منك، إنما كنبتك مستحيل تزعل منك حتى لو أذيتها وزعلتها مش هتقدر توصل إحساسها ليك.

كل إنسان محتاج تكون في حياته كنبة يضحك معاها ويبكي عليها ويتنطط عليها، ولازم يكون متأكد إنها هتكتم كل أسراره مهما اتعرضت لأي ضغوط..

وعجبي..

آاااه يا كنبتي.

الكأس المكسورة

بقلم: دانة الخياط

استيقظت في الصباح الباكر وهي تخطط لما ستفعله في عملها، كيف ستحل المشكلة هذه، وكيف ستتعامل مع الموظفة تلك، وماذا ستقدم في اجتماع المديرين، وما خطة تطوير القسم، والتقييم السنوي للموظفات ... إلا أن والدها قطع عليها حبل أفكارها عندما ناداها، وأخبرها بحسم أن فلانًا تقدم لخطبتها وسوف يكون زفافها بعد أسبوع. كانت تريد أن تناقش وتعترض، لكن نظرة والدها الحادة أذهلتها وأخافتها، وفهمت الرسالة التي يود إيصالها لها، فقد كان يريد أن يقول لها: «لقد أعطيتك الحرية والثقة ونجحت في كل نواحي حياتك العملية والدراسية، وحان الوقت لأكون حاسمًا معك وتتزوجي، يكفي دلالًا!»

استأذنت والدها في أن تسافر لزيارة عمتها لبضعة أيام، فوافق على الفور لعلمه بمدى تعلقها بعمتها، وقدرة تلك العمة على فهمها وإقناعها.

استقبلتها عمتها بحفاوة، وأعدت لها قهوتها، وجلستا في حديقة

المنـزل، اسـتعدادًا للحديـث مـن القلـب إلى القلـب.. سـألتها عمتهـا: «أخبريني يـا ابنتـي مـا الـذي يخيفـك؟ لمـاذا كل هـذا التوتـر؟ أيعقـل أن تكـوني عمليـة في كل أمـور حياتـك وتقفـين حائـرة عنـد المشـاعر؟ خبريني، أنـا سأسـتمع لـكل مـا يـدور في خلـدك.»

أجابـت: «اسـمعيني يـا عمتـي، افهمينـي أرجـوك، فـلا أحـد في هـذا الكـون قـادر عـلى فهـم مشـاعري، وأُتهـم بالغـرور والتكـبر بـدون وجـه حـق.. أنـا لا أرفـض الخطَّـاب لعلـة فيهـم، بـل عـلى العكـس قـد أكـون أنـا السـبب! يـا عمتـي صدقينـي، أخـشى أن يكـون هـذا الخاطـب مـن النوعيـة التـي تـرى أن المـرأة خُلقـت لخدمـة الرجـل، والحيـاة بالنسـبة لـه هـي أن يـأكل ويـشرب وينـام، والمـرأة خُلقـت لخدمتـه فقـط.. وهـؤلاء كـثر.. أمـا القلـة فهـم النـوع الـذي يشـعر مـع المـرأة ويحـس بهـا، يعتبرهـا الأم الأخـت الزوجـة الحبيبـة الابنـة الحفيـدة، وكـذا الزميلـة.. فهـذا النـوع يعتـبر المـرأة جـزءًا مـن حياتـه لا يمكـن الاسـتغناء عنهـا. يـا عمتـي أنـا لا أسـتطيع أن أعيـش بشـكل تقليـدي خـالٍ مـن المشـاعر والأحاسـيس، يـا عمتـي أنـا أنثـى بـكل نبـض في جسـدي، كل كلمـة أتفـوه بهـا، وبـكل نظـرة أرميهـا، أنـا أنثـى أفيـض حبًّـا، أتدفـق عاطفـة، أذوب حنانًـا، وأعيـش بنبضـات قلبـي.

يـا عمتـي.. باختصـار، أنـا عاطفـة تقتلـع الحـب مـن جـذوره، وتخبئـه لتعطيـه لمـن تحـب.. فـلا أسـتطيع أن أتـزوج بـدون حـب!»

نظرت إليها عمتها وسألتها بوضوح: «من تحبين؟»

أطرقـت برأسـها، وران صمـت لدقائـق، ثـم أجابـت وبكلـمات مقتضبـة، وصـوت خافـت مخنـوق: «قـد يكـون أحـد الزمـلاء، ولكنـه لم يصارحنـي، وجـوده يشـعرني بالأمـان ولا أعلـم أكـثر مـن ذلـك.» وأطرقـت برأسـها مـرة أخـرى ولم تتكلـم بعدهـا.

كانت عمتها تدرك تمامًا ما تقوله ابنة أخيها، وكانت تفهمها جيدًا، وتفهم عاطفتها وأحاسيسها الرقيقة، ولكنها لم ترِد لها أن تنتظر فيقتلها الانتظار، لقد مرت بتجربة مشابهة في صغرها وانتظرت.. وما زالت تنتظر. فقالت لها: «تزوجي يا ابنتي إنه النصيب، والرياح غالبًا لا تأتي بما تشتهيه السفن.»

وتزوجت..

وفي يوم زفافها.. كان هناك على الطرف الآخر من المدينة، وفي عتمة الليل، وفي إحدى الشرفات، شاب حانق غاضب، الحرارة تخنقه رغم برودة الطقس، كان يشعر بمرارة الخسارة.. واجه نفسه بصدق في تلك الليلة، اليوم تزوجت المرأة التي أحبها، لم تتزوج به إنما تزوجت برجل آخر.. لقد أحبها فعلًا، أحب مرحها وصدقها، أحبها لتميزها عن بنات جنسها في نواحٍ شتى، إذًا.. لماذا تردد؟! لماذا لم يصارحها؟! لماذا لم يشرح لها ظروفه؟! لماذا أجبرها على تركه؟! هل كان خائفًا من صدها؟! هل كان خائفًا من تكرار تجربة عاطفية فاشلة؟! ليتها انتظرت لكنها لم تنتظر، لا بد أنها شعرت بعدم جديته، فاختارت أقصر الطرق وتزوجت.. وهذا حقها الطبيعي في الحياة.

لقد كان نادمًا متألمًا، ولكن ما يفيد الندم لقد فات الأوان، ركل الكرسي بقدمه بقوة فدوى الصوت في هدأة الليل، وقال: «يبدو أننا نعيش في زمن الماديات والمصالح، زمن العملية والواقع، وليس زمن الرومانسيات، ليس زمن الحب الصادق، ليس زمن لغة العيون والعشق، ليس زمن المشاعر التي ندركها بقلوبنا دون الحاجة إلى التلفظ بها.. ومن الحمق أن نعيش في زمن العصر الغابر مغفلين الواقع.»

أما هي..

فقد كانت حياتها الزوجية تسير هادئة ورتيبة نوعًا ما، فزوجها يرفض عملها، ويرفض الحياة الاجتماعية، ويرفض كل ألوان الترفيه، ومع ذلك فقد كان زوجًا حنونًا، يعرف مسؤولياته.. وكانت هي إنسانة ناضجة تعرف واجباتها. وسارت الحياة، ورُزقا بطفلهما الأول، وكانت الحياة تزداد رتابة وهدوءًا.. كانت تشعر بفراغ قاتل، فيومها كأمسها: أعمال المنزل، الاهتمام بطفلها، القراءة، كتابة بعض المقالات وإرسالها للصحف باسم مستعار، فقط لا غير.

وذات أصيل اتصلت بها إحدى زميلات العمل السابق لتخبرها بآخر الأخبار، وكان الخبر أن الشاب الذي أحبته فيما مضى قد تعرض لحادث أليم، وأنه في غيبوبته كان يهذي باسمها.

لم تستطع تمالك نفسها، انهارت بقوة، انهمرت دموعها بغزارة.. إذًا فقد كان يحبها.

تمنت لو أن الأرض انشقت وابتلعتها ولم تعِش تلك اللحظة القاسية، لم تكن تدرك ما تفعل، تريد أن تذهب إليه ولكن لا تستطيع!

حاولت أن تتمالك نفسها أمام زوجها، لكنها لم تستطِع، رجته أن يسمح لها بالسفر إلى عمتها لبضعة أيام.. وسافرت في ظل استغراب الزوج وإشفاقه عليها.

في بيت عمتها أصابتها حمى شديدة، كانت تهذي طول الليل والنهار، كان إعياؤها شديدًا، وأنينها أشد، كان الصراع عنيفًا بين عقلها وقلبها، بين الأصول والمشاعر، بين ما يجب وما تحب، لم تتحمل فسقطت طريحة الفراش.. كانت تقول لعمتها في لحظات يقظتها: «يا عمتي صدقيني، أشعر بألم حاد في قلبي، أشعر بالوجع، شيء بداخلي مكسور، قد تمشي الحياة وتسير بي، ولكن لن يدرك أحد معنى كسر

القلب.. فالكأس الزجاجية الشفافة إن كسرت قد تجبَّر ولكن لا يزول أثر الكسر أبدًا، وكذا قلب المرأة الصادقة إن أحبت بصدق وجُرحت، قد يتكفل الزمن بمداواة جراحها، ومع هذا يبقى أثر الجرح غائرًا لا يشعر به سواها.»

اقترحت عليها العمة أن تشغل وقتها بوظيفة مناسبة، فالعمل حياة وإثبات وجود، العمل صحة نفسية وجسمية، بينما الفراغ خيبة أمل وموت بطيء، فضلًا عن كونه أرضًا خصبة للأفكار الهدامة، ولكن بشرط أن لا تهمل بيتها.

بعد أن تعافت وهدأت نفسها، كان لديها رغبة قوية في الحفاظ على بيتها وحياتها، زوجها وطفلها، فعادت إلى بيت زوجها، ولديها عزيمة ثابتة وقوية لتسير الحياة بهدوء وسلام.. لقد تربت على الفضيلة والإخلاص، ولن تسمح لتلك الأفكار أن تهدم حياتها، لا تريد للأوهام أن تسيطر عليها، أو أن تنتقص من احترامها لذاتها، أو أن تسبب أي جرح لزوجها؛ فهو رجل عظيم يستحق كل تقدير واحترام، ولن تحرم طفلها الصغير من نعمة العيش في بيت دافئ في ظل والدين متفاهمين.. لقد حُرمت من البيت الدافئ في طفولتها لظروف معينة، ولن تسمح لطفلها أن يعيش نفس الظروف والإحساس الأليم وبسببها هي.

ألحت على زوجها أن يسمح لها بالعمل، رفض في البداية، ثم وافق، وحصلت على عمل في إحدى المدارس الخاصة المجاورة لمنزلها. وكان للعمل تأثير كبير على حياتها، كانت سعيدة جدًّا بانشغالها، تحب تلميذاتها وتعطيهن النصح والإرشاد مع العلم، فالحياة ليست علم فحسب، إنما هي تجارب ومواقف نمر بها، نستخلص منها المبدأ والحكمة، وليس أجمل من أن نعطي خلاصة تجاربنا لبناتنا فيستفدن

ويتنورن قبل أن يُجرحن. كانت تحب ثرثرة المعلمات وقصصهن التي لا تنتهي، ومع انشغالها لم تقصر في حق بيتها وزوجها وطفلها، تشتاق لزوجها، وتشعر بامتنان كبير نحوه.

بعد عدة أشهر..وبينما كانت تتصفح الجرائد المحلية في أحد الصباحات الباكرة، ومعها فنجان قهوتها، وأغاني فيروز، وإذا بها تقرأ تهنئة بمناسبة زفاف أحد الشبان من ابنة عائلة ثرية لها شأنها ووضعها الاجتماعي في البلاد.. ابتسمت بمرارة.. فلن يدرك معنى الكأس المكسورة إلا من جرب الكسر.. تنهدت بعمق، أخيرًا انتهى الكابوس المزعج.

هدية غالية

بقلم: هشام الزفتاوي

القاهرة: ٣٠ نوفمبر ٢٠١٨

كانت الساعة الثامنة مساءً.. كنَّا اتفقنا على أن نمضي الليلة في حفل سمر، حيث كانت الرحلة الخلوية لمدة يوم بليلة. ليلة أمضيناها سويًّا.. نحن نوعي البشر، إناثًا وذكورًا.. أو كما يحلو للبعض أن يسميه في بلدتنا (حدانا في الكفر)، ذكورًا وإناثًا.

بدأت تلك الرحلة الخلوية حينما صعدت فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، لا يتجاوز حجمها نصف مقعد السائق، لتقود حافلة تسع لأربع وعشرين راكبًا، بعد أن ألقت علينا، هي والاثنان الآخران من الفريق المنظم، التعليمات الواضحة التي سنقوم باتباعها طوال الرحلة.. اليوم بليلته. كانت قليلة الكلام إلا مع زميلها من نفس الفريق المنظم والذي جلس في المقعد بجوارها طوال الرحلة.. كانا يتبادلان القيادة بين الحين والآخر.

انطلقنا في الصباح لنصل إلى وجهتنا، الغابات، في منتصف اليوم، وأمضينا بقية اليوم فيها. كان بها مكان مخصص لتلك الرحلات

الخلوية والمعسكرات. وقتها قام الفريق بتحذيرنا، نحن طلاب الجامعة والتي تراوحت أعمارنا من الثامنة عشرة وحتى نهايات الثلاثينيات.. حذرونا فتيانًا وفتيات، نساء ورجالًا، من الابتعاد عن أماكن التجمع التي كنا بها.

بدأ حفل السمر في مكان تجمعنا فيه حول نيران.. أوقدناها.. يحيطنا الظلام الدامس.. يخترق الصمت أصوات الحيوانات، الأليف منها وغير الأليف.. اتحدنا ولم نلحظ تلك الاختلافات التي كانت بيننا. أحطنا تلك النيران بأجسادنا نتشارك إعداد الحلوى لنأكلها سويًّا أثناء تجاذب أطراف الحديث ليلًا. فهذه كانت طقوس تلك البلدة التي ندرس بها.

وسط هذا الظلام الدامس، بدأنا في التعارف الحقيقي بعد أن أعددنا أماكن نومنا. كنت قلقة أن يضعوني مع أحد الزملاء.. الذكور.. إلا أن طمئنينتي غلبتني ولم أحتج إلى الإفصاح عن هذا الوجس. كان الطقس باردًا.. تتعانق أبخرة أنفاسنا الكثيفة مع دخان النيران التي أوقدناها.

«سوف نبدأ بالتعارف الآن.. رجاء خذوا احتياجاتكم من الطعام والشراب والحلوى ولنجلس جميعًا على شكل حلقة».. كانت هذه الكلمات التنظيمية الافتتاحية التي ألقاها زميل سائقة السيارة. همست لنفسي: «مللت ذلك الأسلوب من التعارف.. اسمك وسنك وماذا تدرسين وبلدك».. اخترقت كلمات المنظم مسامعي التي أوضح فيها لنا طريقة التعارف.. ففاجأتني. طلب منا جميعًا وصف مشاعرنا في تلك اللحظة!

وقتها كما لو كنت غبت عن الوعي وعدت إلى بلدتي ومرَّت عليَّ تلك السنون الثلاثون، حيث كنت ممن بدأن سن «العنوسة»، في تركيز شديد لتقف عند اللحظات التي ما زالت عالقة في ذهني. سبحت

روحي في الفضاء الرحب الذي أحاط بالمكان، ربما تعانق ذلك القمر الذي استدار بدرًا. تداخلت مشاعري بين فرح وحزن.. أمل ويأس.. خوف وجرأة.. عدت لبرهة بنظري لوهج تلك النيران التي أمامي.. ولكن كانت روحي ما زالت معلقة تقطع تلك الأميال التي فصلت بين جسدي وبين موطني.. وتسبح في هذا الزمان الذي شكلت أيامه، حلوها ومرُّها، ملامح وقسمات وجهي.

تذكرت حينما كنت أدرس في إحدى كليات «القمة» والتي كنت تخيلتها جنان الكليات في الجامعة.. وتوقفت ذاكرتي عند لحظة بدايات حديثي مع زميلة، وقت أن كنا نمارس أحد الأنشطة الدراسية باللغة الإنجليزية. كنا نمثل نموذجًا لجلسات الأمم المتحدة حيث يقوم كل شخص بعرض قضية هامة على الصعيد العالمي وتوضيح رؤيته للتعاطي معها وذلك في عرض باللغة الإنجليزية. كانت العروض أقرب ما يكون إلى المناظرة. وقتها بدأت أدافع عن وجهة نظري، والتي بطبيعة الحال مختلفة عن رأي الزميلة بخصوص تلك القضية. إلا أنها فاجأتني بضحكات هستيرية غريبة. نظرت إلى ملابسي، فكنت وقتها أعددتُ أنظفَ وأكثر الثياب أناقة.. لمحت حذائي ولم ألحظ هذا القطع الذي كنت واريته بعد إصلاحه.. كذلك هذا اليوم لم أستخدم المواصلات العامة حتى لا أكتوي بنيران الحر وأتصبب عرقًا، فأنا لا أضمن رائحة قدميَّ - اللتين أنظفهما كل يوم - بعد تلك الرحلة التي أقطعها.. ولا ذلك الجورب من الألياف الصناعية الذي كان دائمًا ما يفضحني.. فأنا لم أعبأ بصحة قدميَّ بقدر ما كنت أعبأ برائحتهما لسخرية الآخرين مني.

بعد أن انتهيت من هذا التحقيق الداخلي وتيقنت أنني لم أقترف أي جرم يرسِّخ الاختلاف بيننا، وبعدما تأكدت من محو أي أثر للاختلاف القائم بيني وبينها، تلك الفتاة التي ظاهريًّا تختلف عنِّي على الرغم

مـن كونهـا مـن بلـدتي.. بعـد أن دحضـت تلـك الحجج اسـتجمعت شـجاعتي ولملمـت أشـتاتي المبعـثرة لأنطـق بسـؤال واحـد» مـاذا حـدث يـا «غاليـة»؟» قلتهـا وقتهـا باللغـة الإنجليزيـة، لغـة الحـوار سـاعتها.. وعلَّقـتُ: «دعينـي أكمـل فكـرتي لـكي تتضـح».. ردت في هسـتيريا أعنـف مـما كانـت عليهـا.. وأيضًـا باللغـة الإنجليزيـة: «أنـت لا تعرفـين الفـرق بـين الـ(B) والـ(P) يـا هديـة».. نطقـت بكلـمات مقطَّعـة تتخللهـا القهقهـة: «أيًـا مـا كانـت فكرتك فذلـك القالـب الـذي تسـتخدمينه لا يرقـى لمسـتوى الكليـة التـي نـدرس بهـا باللغـة الأجنبيـة.» تابعـت باستفسـاري: «هـل الـكلام غـير مفهـوم؟» استرسـلت بنفـس الضحـكات وتمالكـت نفسـها بعدهـا: «الفكـرة ليسـت في صحـة الكلـمات أو الأفـكار ولكـن في شـياكة العـرض. لا يمكـن تكـوني لسـة بتقـولي عـلى الـ (B) (P) وتريديـن أن أتابعـك وأسترسـل معـك في الحديـث والمناظـرة. فصلتِنـي يـا هديـة عـن الموضـوع أصـلًا.»

انتهـت تلـك الغيبوبـة واسـترددت روحـي بعدمـا طافـت روحـي في هـذا الفضـاء، وهبطـت عـلى تلـك النـيران التـي أوقدناهـا. أحسسـت بقسـمات وجهـي تبسـمت.. انتهـزت هـذه الفرصـة ووزعـت ببعـض البسـمات عـلى مـن حـولي مـن زمـلائي.. مـن مختلـف الجنسـيات والألـوان.. ذكـورًا وإناثًـا.. فلـم أدرك أننـا بدأنـا التعـارف منـذ مـا يزيـد عـن أربـع دقائـق. لاحظـت وقتهـا أننـا كنـا نتعـارف في الدائـرة ولكـن بالترتيـب.. وجـدت نفـسي أحسـب الدقائـق المتبقيـة حتـى يـأتي دوري في التعـارف.. تقديـم نفـسي.. الإفصـاح عـن مشـاعري.

كان هـذا إلحـاح مـن روحـي التـي لم تسـلم مـن أذًى مـر بهـا، بقصـد أو بـدون قصـد. فهـي اسـتعذبت التحليـق في الفضـاء والإبحـار في ذلـك اليـم مـن الأيـام الخـوالي.

استقرَّت روحي على ضفاف لحظة أخرى، يوم أن قابلت «غالية» بعد تخرجنا بستة أعوام.. وقتها كانت مسرعة في سيارتها وكادت أن تودي بحياتي وأنا كنت أعبر الطريق.. على ظهري حقيبة ملأتها كتبًا تزن ما يكفي لخلع كتفي وانحناء ظهري.. كان كل همِّي اللحاق بتلك المحاضرة لأستاذ جامعي من نفس الجامعة التي أدرس بها الآن، بعد تسع سنوات من تخرجي، والذي بدأ في معرفتي عن قرب منذ تلك المحاضرة ليتمكن من دعمي لاستكمال دراستي في جامعته. وقتها كنت من أبرز الباحثين والباحثات تفاعلًا معه. إلا أنني حينئذ كنت ألمح ذلك المستقبل بريبة وشك.. هل أنا قادرة على إيصال رسالتي «بشياكة».. هل الـ(B) والـ(P) سيقفان حائلًا في طريقي؟ بعدها نزلت غالية من السيارة وقابلتني بحرارة لم أكن أتوقعها.. ضمتني إلى صدرها.. وقتها أحسست وأننا نتعانق لأول مرة.. وأن قلبانا يتحدثان إلينا، في تزامن وإيقاع منسجم، بلغة عجزت أعيننا أن تتمالك نفسها أمامهما. حينما لاحظت عينيها تدمعان.. شعرت بمقلتيَّ وهما تحبسان دموعي من السقوط. اعتذرت غالية لي مرات عديدة ولم تتركني حتى أوصلتني إلى المحاضرة، بل وجلست معي حتى انتهينا، ونحن في طريق العودة تذكرنا أيام المحاضرات.. الدراسة سويًّا.. بلدتنا القديمة. بعدها تبادلنا الضحكات والقهقهة.. سخرنا في دعابة من أشياء كانت تجمعنا.. وذرفت عيناننا دموعًا من فرط الضحك.. بعدها سألتني: «إنتِ سعيدة يا هدية؟».. وقتها أجبتها بتلقائية شديدة: «جدًّا.. سعيدة جدًّا»، بعدها بادلتها نفس السؤال فردت بنفس الإجابة وبنفس التلقائية ولكن بإضافة: «سعيدة إني قابلتك».. وكررَتها: «سعيدة إني قابلتك وإنك سعيدة».. وهمست: «كنت أريد إني أتستت.. وأديني اتستت.»

استفقت تلك المرة على هزة من أحد الزملاء كان جالسًا بجواري

يقـول: «ألا تبدئـين بتعريـف نفسـك؟ نريـد معرفـة مشـاعرك.» رددت بالإيجـاب وقلـت: «بالطبـع نعـم».. وبـدأت.. «اسـمي أمـيرة (Princess) بالـ (P).» ضحـك الجميـع وقالـوا: «نحـن نعـرف أن (Princess) بالـ (P)، ولكـن نريـد معرفـة مشـاعرك.» ابتسـمت وأفصحـت عـن مشـاعري وقتهـا.. مشـاعر الأمـيرة.

تناسانا.. فنسيناه

هشام الزفتاوي

القاهرة: ٢١ نوفمبر ٢٠١٨

لم أعد أطيقه.. ينظر إليَّ كل عام.. وأتعلق بنظراته.. ثم ينصرف ويتركني.. بل يتناساني.. يحنُّ إليَّ بعدها بعدة أعوام.. لكنه لا يهتم بي إلا كلما احتاجني، أو ربما كلما احتجت أنا له. فأنا أحتاج إليه كأقراني.. ككل من هم مثلي ومن هم في قيمتي. فأنا لا قيمة لي بغير تلك العلاقة الكائنة بيننا.. ذلك المداد الذي أختال به بين أقراني. نعم، يعجب بي البعض وأنا خاوية فارغة بيضاء «ناصعة».. ولكن ما هي قيمتي.. مثلي مثل غيري من بني جنسي.

كنا تعرفنا على بعضنا بعضًا حين بلغ عشرين عامًا من عمره. لم يكن قادرًا على الاعتراف حتى بقدرته على سعادتي وإرضائي. مرَّت السنون ونحن دائمًا متلازمان مفارقان. فلا هو لازمني حتى أرتقي.. ولا اتحدنا حتى نرقى سويًّا. من الوهلة الأولى كان شغفه حين يمسني يعكس مكانتي في حياته. لا لشيء إلا لأنني جزء منه. فهو كما قال لي، في كلماته وسطوره المخطوطة في صدري، أنني أعكس الكثير من لمحات حياته.. ولا أنكر

أنني بحاجة إليه، مثله تمامًا، بل أشعر أن كلماته هي التي تجعل لي قيمة.. فهذا هو الحلم الذي ولد معي ومع كل من هم مثلي.

بدأت علاقاتنا في أيام متبعثرة، متناثرة. حينها كان يهتم بي، يسأل عني، وينقش حروفه في كلمات تزينني، وأتباهى بها بين أقراني منذ أن التقينا. بعدها باعدت بيننا الأيام. فهو دائم الانشغال عني بالرغم من احتياجه لي. كنت أرى ابتساماته وهو يخط خطوطه بين جنباتي. لم يتمكن من إمساك عبراته حينما كان يلقي بروحه بين صدري. عاودنا اللقاء بعد عدة أعوام. حينها كان يشك في نفسه، أهو قادر حقًّا على احتوائي، أم هي مجرد اندفاعات وهو عاجز عن ملئي وامتلائي بما يغنيني عن غيره؟ هل سأكون خاوية فارغة بعدما نتحد سويًّا أم أنني سأرتقي وسأرقى إلى ما تحلم به مثيلاتي وقريناتي؟

ولدت علاقتنا في الخفاء. كان يحرص في تلك الآونة أن كل ما يدور بيننا لا يعلم به أحد، بل كان يخفيه عن أعين الناس، أفئدة البشر، وعقول الخاصة والعامة. أكان هذا عدم ثقة في علاقتنا أم ريبة وشك فيما سيكون بيننا؟ هل كان يعلم أنه سيعاود الاتصال والتواصل معي كل عدة أعوام، لا لشيء إلا أنني جزء منه، وأنه، في نفس الوقت، هو ما يعطي لي قيمتي في هذا الوجود؟ باح لي بجل أسراره وقتها. كتمت سره ولم يستطع أحد على قراءة ما أحتويه من معانٍ ضاق به صدره واتسعت أنا لها.. وتركني.. تركني وعاد لي بعدها بعدة أشهر.. ثم فاتني.. فاتني وعاد بعدها بأعوام قليلة.

كنا قد بلغنا ذروة علاقاتنا حينما بلغ عمره ربع قرن من الزمان، وقتها تمكن من احتوائي وتشكلت أنا بين يديه. أسسنا أركان علاقتنا والتي شهد لها من يهمه الأمر أنها علاقة سليمة، مشروعة، ستتنامى مع الوقت. كان كل حرف من حروفه يزيدني علوًّا وارتفاعًا. وثق فيَّ.. وفي نفسه. ولكن هل دامت تلك الثقة؟ كانت أركان علاقاتنا متقاربة

ومتباعدة في آن واحد.. كنَّا نتحاور بين الحين والآخر. تلك الحوارات هي التي مثلت الأركان الثابتة التي ما تنفك أن تقربنا حين نتباعد أو يباعدنا الزمن. حوارات من جانب واحد. فأنا صامتة ولكنني صبورة. أصبر عليه بذلك الصمت حتى يثق في نفسه مرة، ومرة، ومرة أخرى. يتلعثم في البداية ونعزل أنفسنا حتى يتمكن من البوح بما يدور في نفسه. وتحتويه الكلمات.. فيحتويني.. وأحتوي روحه.. فنرقى ونرتقي سويًّا.

كان من بين تلك الأركان، الماضي الذي كان حاضرًا بيننا، أو هكذا أطلق عليه. ذلك الماضي الذي كان شاهدًا على قساوة الحياة بكل ما فيها. فشابٌّ في مقتبل عمره يحلم بالعمل والمكانة المرموقة، يفوز في مسابقة ليسافر خارج البلاد، ثم يفاجأ بمرض خطير يقعده ويفضي به للقاء حتفه وهو فريسة لانشغال من حوله من أقارب وهجران الخلَّان. تلقيت تلك السهام وهو يتمادى في تصويبها في صدري. احتويته وهو يسرد تلك القصة القصيرة أمام أقرانه، إلا أنه بعدها كان ممزقًا بسبب ذلك السرد. فهو قابع بين سخرية أقرانه من كونه يقيم علاقة معي.. ومحاولة تمالك نفسه من الغضب من إسقاطات المستمعين له.

نأى بنفسه، أو بخصوصيته كما أسماها.. وطنه الذي عبَّر عنه بأحرف حادة، فكانت كائنة بين الأركان التي شعرت بها وكأنها تتحدث عني. فحتى وإن كنت في نظر الجميع جمادًا لا أرقى إلى مستوى الإحساس، إلا أنني وبلا مراء لديَّ الخصوصية.. وطني.. تلك الخصوصية التي تحجبني عن أعين الآخرين وتحجب الآخرين عن النيل مني. فأنا وهو، سواء بسواء، تشاركنا تلك الخصوصية، فلم يدافع عنها فقط.. بل شهدت عليها كلماته التي بين جنباتي.

إلا أنه من بين تلك الأركان كان هناك أعمدة، شاهدة على حرصه توصيل رسائل بذاتها، تؤكد على الخصوصية والتفرد. شأنه شأن أي

كاتب، هاوٍ أو محترف، كان يحرص على تلك الورقات التي رافقته طوال مسيرته. إلا أن تلك الوريقات لم ترقَ لكونها رفيق الدرب. فلا هو حريص عليها بقدر حرصه على التعبير عن نفسه.. ولا هو يحتويها حتى ترى النور وتتعدى حدود الزمان والمكان.

واليوم لم أعد حتى أحتمل تصور ذلك المصير المحتوم. فلو لم أرَ النور حتمًا سيكون مصيري إلى الفناء، مثلي مثل أقراني من تلك الوريقات التي لم تنل الاهتمام من كاتبها.. فتخلت عنه من توصيل رسائله.. ويصبح الكاتب والمكتوب في العدم سواء. فأنا لا أطيقه.. وسيظل هو حبيس زمانه ومكانه المحدودين.

استمتعنا بالحديث عن تلاعب المتشدِّقين بالأخلاق والمتاجرين بالمثل والقيم بحجة أنهم من يدعموننا.. تذمر من عالم النفاق والمظاهر ومن كون عالمهم، عالم البشر، يسعون بكل ما يملكون إلى ضبط مراياهم ليتجمَّلوا.. فنسوا أنهم في أصلهم بلا مرايا وستتحطم تلك المرايا بنهاية رحلة حياتهم. ودعم ذلك العمود بركن آخر أسس فيه لبشاعة تخلي عالمهم، عالم البشرية، عن ما يميزهم عنا نحن عالم الجماد، وهي تلك المشاعر.

إلا أنه تناسانا فنسيناه. فالذي حكم علاقاتنا، هو، ككاتب لمكتوب ما، وأنا، كوعاء للمكتوب.. أنا تلك الورقة البيضاء.. هو ما بلوره هو بنفسه في كتاباته.. تلك الكلمات التي خطها بأناملة حينما مست سطحي، أنا تلك القصاصة، فكانت بمثابة التداوي بإحساسي أنني آمنة.. وقتها كان تلك الكلمات تعبر عن بشاعة «تجمد» المشاعر في عالمهم.. عالم الإنسانية. واليوم ها هو يتدنى بتجمده وإهمالي. فهو من تركني لعقود وعاد إليَّ بعدها ليجدني كما أنا. في نفس المكان الذي تركني فيه. إلا أنني لم أعد أطيقه.. فنحن سواء بسواء.

هي من دفعت الثمن

بقلم: ميرهان خليل

كان والدها يمثل لها كل شيء في الحياة، هو مصدر الحب.. السعادة.. الأمان. والدتها سيدة قوية الشخصية عملية بدرجة كبيرة، ترى معتز شخصًا عاديًّا غير طموح، أما طموحها هي فبلا حدود.. تعمل في إحدى شركات السياحة الكبرى وهو مجرد محاسب بإحدى الشركات الصغيرة. نظرًا لأنها طموحة متطلعة دائمًا إلى مستوى أعلى من مستواهما، ألحقت ابنتهما الوحيدة شهد إحدى مدارس اللغات الباهظة المصاريف حتى تستطيع أن تدخل إلى هذا العالم. كان معتز يلومها دائمًا على اختيارها لهذه المدرسة التي يتحملان تكاليفها بصعوبة، لكنها كانت ترى أنه لا يفهم شيئًا، لا يُقدِّر ما تفعله من أجل شهد. استمر زواجهما عشرة أعوام من المشاحنات بسبب تطلعها الدائم لحياة أعلى من مستواهما، فهو لا يستطيع أن يغطي كل احتياجاتها.

إلى أن تعرفت على أحد رجال الأعمال الذي كان يحجز تذاكر سفره دائمًا عن طريق شركة السياحة التي تعمل بها. أُعجب بجمالها اللافت للنظر، فقد كانت هند ممشوقة القوام شعرها الأسود الناعم ينسدل

عـلى كتفيهـا. كـما إنهـا طموحـة مـما جعلـه يشـعر أنهـا فتـاة أحلامـه. لم يهتـم أنهـا متزوجـة، فقـد كان يعلـم جيـدًا أنـه سـينتصر عـلى زوجهـا وسـتترك معتـز مـن أجلـه. أصبـح بينهـما مكالمـات يوميـة للاطمئنـان عـلى بعضهـما بعضًـا إلى أن تطـور الأمـر فأصبحـا لا يسـتطيعان الاسـتغناء عـن بعـض. هنـا قـررت هنـد الطـلاق مـن معتـز للـزواج بأدهـم رجـل الأعـمال الناجـح الطمـوح الـذي سـيعوضها عـن هـذا الفاشـل معتـز.

لم تفكـر في ابنتهـا شـهد ومـا سـتعانيه في عـدم وجـود والدهـا في حياتهـا، رغـم علمهـا بشـدة ارتباطهـا بـه. لم تفكـر إلا فيـما تريـد. اعتقـدت أنهـا سـوف تعـوض شـهد عـن حنـان الأب بالمـال الكثـير الـذي سـيحقق لهـا كل مـا تتمنـى.

انفصلـت هنـد ومعتـز.. كان ضعيفًـا مستسـلمًا لرغبـة هنـد ولم يحـاول إصـلاح علاقتهـما مـن أجـل شـهد. كان يعلـم أنـه لا أمـل في إصـلاح هـذه العلاقـة، فهنـد شـخصية عنيـدة. تـرك معتـز المنـزل لهنـد وشـهد.. عـاد إلى منـزل والديـه حزينًـا عـلى فـراق ابنتـه وحبيبتـه. هنـد هـي حـب عمـره منـذ أن كان بالجامعـة رغـم تحذيـرات أصدقائـه الكثـيرة أن هنـد غـير مناسـبة لـه، إلا أنـه كان يحبهـا بجنـون. بـدأت تظهـر عـلى شـهد علامـات الاكتئـاب بسـبب غيـاب والدهـا كـما إن مسـتواها الـدراسي انخفـض. تـرى والدهـا مـرة كل شـهر.. لأن هنـد أرادت ذلـك ولا أحـد يسـتطيع أن يـرد لهنـد طلبًـا.

تزوجـت مـن أدهـم رجـل الأعـمال الناجـح الـذي سـاعدها في تأسـيس شركـة السـياحة التـي كانـت تحلـم بهـا دائمًـا، كـما سـافر معتـز إلى إحـدى الـدول العربيـة لينـسى حبـه لهنـد.. أنجبـت هنـد طفلـين آخريـن انشـغلت بهـما عـن شـهد التـي كانـت تذكِّرهـا دائمًـا بمعتـز الفاشـل الـذي تزوجتـه.

ورغم أن شهد كانت فتاة مطيعة هادئة، إلا أن هند كانت دائمًا ترى فيها شخصية والدها المستكينة الضعيفة مما يثير عصبيتها عليها.

أصبحت شهد وحيدة ليس لديها إلا أصدقاؤها..

كان من بينهم يوسف من استغل ضعف شخصيتها وأقنعها أنه يحبها كما أقنعها أن الحب حرية.. نستطيع أن نعبر عن حبنا بأي طريقة فلا يوجد ممنوع في الحب.. استمرت علاقتها بيوسف لمدة عامين، تكذب على أمها لتقضي عنده الليل بحجة أنها تذاكر مع إحدى صديقاتها، تسافر معه.. تبيت عنده.. أصبح يوسف بالنسبة لها هو مصدر الحب والحنان الذي تبحث عنه.. إلى أن استيقظت ذات يوم على رسالة منه أنه أصبح لا يحبها ويريد أن ينهي هذه العلاقة، كما إنه أنهى إجراءات سفره ليكمل تعليمه الجامعي بألمانيا. انهارت شهد تمامًا، كانت في أشد الاحتياج إلى حضن أبيها، اتصلت به، رد عليها سريعًا ليخبرها أنه مشغول الآن وسيعاود الاتصال بها.. لكنه لم يتصل، تركها حزينة، انشغل عنها.. سيطر على فكرها أنها لا تستحق الحب أو الاهتمام لأن كل من تحبهم يتركونها. نظرًا لما مرت به بسبب علاقتها بيوسف لم تحصل على مجموع يؤهلها لدخول الجامعة. كالعادة غضبت هند بشدة كما وصفتها بالفاشلة مثل أبوها. كرهت أمها، هذه السيدة المهووسة بالنجاح والمال ليس لديها مشاعر.. قررت أن تعيش دون أن تعمل حسابًا لأحد.. سوف تسهر، تخرج، تشرب، تفعل ما يحلو لها. ظلت تبحث عن الحب والاهتمام بين الرجال الذين استغلوا ضعفها، ولأن حبها الأول علمها أنه لا قيود على الحب فلها أن تفعل ما تريد تحت مسمى الحب.. عاشت على هذه الحال.. سهر.. خروج.. حب بلا قيود.

إلى أن شعرت ذات يوم بالتعب والإجهاد. ذهبت إلى الطبيب الذي لاحظ شحوب وجهها وضعفها. طلب منها بعض التحاليل. بعد أن ظهرت النتائج ذهبت بها للطبيب الذي صدمها بإصابتها بالإيدز.. كانت صدمة قاسية مرعبة نزلت عليها كالصاعقة.. إلى من ستتحدث، كيف ستخبر أهلها، وهل إذا اقتربت من أخويها الصغار تنقل لهم المرض؟ أسئلة كثيرة تدور برأسها الصغير، فهي ما زالت في الثامنة عشرة من عمرها. ماذا تفعل؟ إلى من ستذهب؟ فهي تعلم أن هند لو علمت بمرضها قد تعزلها في مكان بعيد وحدها خوفًا من الفضيحة.. عادت إلى منزلها مكسورة خائفة، تريد أن تختبئ من العالم كله ومن نظرات الناس، اتصلت بوالدها في منتصف الليل تبكي..

فزع معتز: «فيه إيه يا حبيبتي، مالك حصل إيه؟»

شهد: «محتاجة لك قوي يا بابي، أرجوك انزل أجازة.»

معتز: «طيب اهدي، أنا نازل أجازة أول الشهر يعني خلاص كلها أسبوعين وأشوفك، هاخدك تقعدي عندي الأجازة كلها.. إيه رأيك؟»

شهد: :يا ريت يا بابي بليز.»

أغلقت موبايلها، شعرت ببعض الراحة لأنها سوف ترى والدها بعد أسبوعين.

كانت تختبئ في غرفتها لا تحدث أحدًا، لا تأكل ولا تشرب، لا تقترب من أحد خوفًا عليهم، فقد اعتبرت نفسها مذمومة مخطئة لا تستحق الحياة.. ظلت على هذه الحال إلى أن عاد معتز من السفر.

اتصل بها من المطار، طلب منها أن تجهز حقيبتها وسوف يمر عليها ليأخذها عنده طول مدة أجازته. فرحت جدًا، استعدت لاستقباله. عندما رآها بإحساس الأب شعر أن ابنته ليست على ما يرام، احتضنها،

قبَّل رأسها، ثم سألها: «مالك يا شهد؟ إنتِ كويسة؟ ليه خاسَّة قوي كده.. مش بتاكلي كويس؟» اضطربت. بدأت تحاول أن تخفي نظراتها بعيدًا عنه قائلة: «لا أبدًا، أنا عاملة ريجيم، أصل أنا بفكر أشتغل في الـ modeling، ماتشغلش بالك، أنا مبسوطة قوي إني هقعد معاك في بيتنا القديم طول أجازتك.»

استأذنت شهد من هند أمام معتز: «مامي هاقعد مع بابي أجازته كلها.» هزت هند رأسها بالموافقة كما سلمت على معتز الذي لم يستطع أن يُخفي حبه لها رغم مرور كل هذه السنوات، فهي ما زالت حب عمره، لم يحب بعدها أو يتزوج. كان يتأملها ويقول في نفسه: «ما زالت هند جميلة كما هي لم تتغير.» ركبت شهد ومعتز أوبر، عاد بها إلى المنزل القديم بمصر الجديدة الذي كان يعيش فيه مع هند. كانت أم محمد قد نظفته قبل وصوله، فهي تأخذ المفتاح من صديقه مدحت لتنظيفه قبل عودته دائمًا. جهز معتز لابنته الوحيدة كل أنواع الطعام التي تحبها لكنها أكلت القليل بدون شهية ثم دخلت غرفتها لتنام. طلبت من والدها أن يقرأ لها كما كان يفعل وهي صغيرة، قرأ لها إلى إن نامت. ظل بجوارها يتأمل صغيرته، لديه شعور بأن ابنته ليست على ما يرام، هناك إحساس داخلي يؤكد له أنها مريضة.. وجهها شاحب، فاقدة للكثير من وزنها. استيقظت من النوم على صوت والدها يخبرها بأنه جهز لها الإفطار وقد أعد لها كل ما تحب.

بعد الإفطار طلب منها أن يأخذها إلى الطبيب للاطمئنان عليها. ارتبكت شهد ورفضت الذهاب إلى الطبيب. حاولت أن تطمئن والدها، لكن قلقه زاد بسبب ارتباكها الواضح عليها. تخيل معتز أن ابنته مصابة بمرض خطير ترفض أن تخبره به، ولشدة قلقه على ابنته اتصل بهند، طلب مقابلتها ليعرف منها هل شهد مريضة ولا يريدون إخباره،

لكنها استغربت سؤاله فهي لم تلاحظ التغيرات التي يتحدث عنها على شهد فهي تراها عاديه، قائلة: «ما لها يا معتز فيها إيه؟ هي كل بنت تعمل دايت تبقى فيها مصيبة يعني؟!!» كان يعلم أنها لا تشعر بشهد فهي تذكرها بزواجهما الفاشل. عاد إلى المنزل ليجد شهد مغمًى عليها في المطبخ. صرخ بأعلى صوته: «شهد، شهد».. حملها إلى غرفة نومها.. اتصل بصديقه مدحت يطلب منه أن يأتي بطبيب فورًا. حضر الطبيب مع مدحت، كان معتز منهارًا خوفًا على وحيدته.. كشف عليها الطبيب وطلب مجموعة من التحاليل.. عندما أفاقت شهد من إغماءتها علمت أن الطبيب طلب مجموعة من التحاليل، انهارت رعبًا وخوفًا، أخذت تصرخ رافضة عمل هذه التحاليل.. مما زاد من قلق معتز قائلًا: «قوليلي في إيه مخبياه عليا؟ أنا أبوكي هعالجك، لو هبيع هدومي أو هاشحت هعالجك، إنتِ عندك سرطان ومش عايزة تقولي؟ خايفة يا حبيبتي من العلاج وبهدلته؟ ولا يهمك أنا معاكي ماتخافيش.» وهي تبكي بحرقة بداخلها تتمنى لو كان سرطانًا، لكنها تخجل من نفسها، فهي من كانت السبب في هذا المرض.. هي من تهاونت في حق جسدها.. تركته لكل مستغل بحثًا عن الحب والأمان الذي فقدته في بيتها.

وسط بكائها هي ووالدها صرخت: «عندي إيدز، إيدز، ارتحت!»

لحظات من الصمت مرت عليهما كأنها ساعات، فقط ينظر إليها، عيناه مليئتان بالتساؤلات، دموعه تملأ وجهه تتساقط كالأنهار وهو مصدوم، «هل هذه طفلتي الصغيرة.. هل هذه شهد التي كنت ألعب معها..

أحكي لها حكايات قبل النوم.. كانت حكاياتي لها عن المبادئ

والأخلاق. مَن هذه الفتاة!!» لكنه في نفس الوقت لام نفسه بشدة.. «أنا السبب، أنا من تركتها وسافرت لأبتعد.. لأنسى حبي لهند.. نسيت ابنتي التي كانت في أشد الاحتياج إليَّ.»

شهد تنظر إليه في رعب لا تعلم رد فعله، «أسيضربني ويطردني من المنزل، أم سيضعني في مستشفى ويعزلني.. ماذا سيفعل بي؟ ثم تفاجأت برد فعله. احتضنها وبكى.. بكى حزنًا عليها وليس غضبًا. حمَّل نفسه مسؤولية ما حدث لها، فهو السبب، هو من تركها تبحث عن الحب والحنان الذي فقدته من والديها. أخذ يردد: «أنا وهند السبب يا حبيبتي، سامحيني.. سامحيني».. ظلا يبكيان إلى أن تعبا، مسح دموعها قائلًا: «أنا معاكي مش هسيبك، مافيش سفر تاني، أنا هفضل معاكي لآخر يوم في عمري.» شعرت شهد أن كل أحمالها تساقطت من على كتفيها الصغيرتين، ارتمت في حضن والدها ونامت حتى الصباح كأنها تحتمي به من المرض. استيقظت على صوته: «يلا أحلى فطار لأحلى بنوتة.. عملتلك كل اللي بتحبيه».. أخذ يطعمها بيديه وهي في السرير مجهدة لا تستطيع أن تتحرك، كأنها عندما أخبرت والدها بمرضها أزالت كل الأحمال من على كتفيها، لكن ازداد مرضها وتعبها كأنها أرادت الاستسلام للموت.. فقد زهدت شهد الحياة.

رفضت شهد العلاج حتى لا تفضح أمها سيدة الأعمال الناجحة هي وزوجها أدهم بك. مكثت في بيت والدها يرعاها. وجدت الحب والحنان الحقيقي الذي كانت تبحث عنه. عاد يحكي لها حكايات قبل النوم مثلما كانت في طفولتها.. عادت لها ابتسامتها البريئة. عندما كان يجدها بحالة صحية جيدة يصحبها معه إلى النادي يشتري لها الآيس كريم الذي تحبه كما كان يفعل معها وهي صغيرة، كأنه يريد أن يستعيدها مرة أخرى.. يستعيد طفلته البريئة.. لكنه يعلم جيدًا أنها

لـن تعـود، بـل هـي راحلـة يومًـا مـا بسـبب الإيـدز.. كلـما تذكـر مـا أصـاب صغيرتـه انقبـض صـدره وتمنـى أن يمـوت قبـل هـذه اللحظـة.

كلـما دخـل عليهـا غرفتهـا وجدهـا تبـكي خوفًـا مـن لقـاء ربهـا، فهـي مذنبـة فرطـت في جسـدها. كان يُهـون عليهـا قائـلًا: «إن اللـه غفـور رحيـم، فقـط اسـتغفري ربـك حبيبتـي.» يسـمعها ليـلًا تناجـي ربهـا تطلـب منـه الرحمـة والمغفـرة.. يبـكي هـو أيضًـا، فهـو يعلـم أن اللـه سـيغفر لهـا، لكنـه لـن يغفـر لنفسـه لآخـر يـوم في عمـره فهـو السـبب فيـما حـدث لطفلتـه الصغـيرة. ظـل عـلى هـذا الحـال أربعـة أشـهر يرعاهـا، يعوضهـا عـن حنانـه وحبـه الـذي حرمهـا منـه لسـنوات.

إلى أن كان عائـدًا ذات يـوم حامـلًا في يـده كراسـة رسـم وألـوان كـما كان يفعـل معهـا وهـي صغـيرة، فقـد كانـت شـهد تحـب الرسـم.

ناداها: «حبيبتي، اصحي، جبتلك حاجة بتحبيها.»

لم تَـرُد شـهد.. عـاد يناديهـا وفي قـرارة قلبـه يعلـم أنهـا لم تعـد إلى جواره، ضمهـا إلى حضنـه وبـكى بحرقـة؛ فقـد حلـت صغيرته إلى السـماء..

تمت

أريدك كما أنت

بقلم: غادة غنيمي

أريدك كما أنتِ... أحبك كما أنتِ

قالها شريف وهو يتشاجر مع خطيبته ليلي بسبب إصرارها علي إتباع هذه الحمية القاسية التي تحرمها من الإستمتاع بحياتها وتسبب لها بعض من العصبية فقد أصبحت متحفزة دائما للهجوم علي من حولها..

قالها وهو لا يعلم وقعها علي حبيبته فلقد وقعت هذه العبارة البسيطة علي روحها ونفسها كوقع الماء على النار يطفؤها.

لقد كانت ليلى تخشى أن تتغير مشاعر شريف نحوها إذا ما قارنها بمن حوله من الفتيات. هي لم تكن بدينة بالمعنى الحرفي للكلمة ولكنها كانت تعاني من الوزن الزائد وتراكم بعض الدهون في أماكن متفرقة من جسدها.

- أيوه طيب افرض اتغيرت..

قالتها ليلى بصوت ضعيف؛ فقد كانت دائمًا تخشى أن يتوقف شريف عن حبها فهي تشعر أنها لا تستحق هذا الحب بشكلها الحالي.

كانت تؤمن أن الجمال يتركز في الجسم النحيل كما لو كان مانيكان لعرض الملابس مع الوجه الصافي والعينين الملونتين .. هذه الفكرة التي تم تصديرها إلينا من وسائل الإعلام فصارت فتيات الإعلانات والممثلات نموذجًا للجمال لا بُدَّ لكل الفتيات أن يحتذين به.

- يا بنتي أنا أُعجبت بيكي وحبيتك زي ما انتي.. حبيت روحك الطيبة ..

عاوز أكون معاكي بقية عمري زي ما عرفتك، ليلى الجميلة الذكية البسيطة..

بطلي الأوهام دي بقى.

ابتسمت ليلى في دلالٍ؛ فربما كانت كل ما تحتاجه فعلًا أن تطمئن إلى أنه ما زال يحبها.. تحتاج إلى تأكيد أنها ما زالت جذابة يعجب بها الرجال وإن لم يكن يعنيها من أمرِ الرجال إلا شريف الذي تعرفت عليه في الجامعة. كان هو في السنة الرابعة وهي في السنة الثانية كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، جمعهم حُبُّ القراءة والكتابة فتبادلا الآراء حول بعض الروايات الشهيرة ثم تبادلا الكتب والكتابات؛ فشعر كل منهما أنه قد وجد نصفه الآخر فتقاربا أكثر وأكثر حتى ارتبطا وتمت الخطبة بمباركة الأهل بعد تخرُّج شريف وها هما يستعدان للزواج خلال شهرين بعد انتهاء ليلى من امتحانات السنة النهائية.

عادت ليلى إلى بيتها هذا اليوم وهي تتذكر بمرارة سخرية زملائها وهي صغيرة من شكل جسمها السمين نوعًا ما.. إن أعظم هدية نتلقاها من الكون هي أن نكون محبوبين تمامًا كما نحن، بدون ذلك تظل قلوبنا مجروحة فنحاول - مدفوعين بغريزة البقاء- أن نحمي أنفسنا من أن يلحق بنا أذى فننفصل عن أجسادنا وواقعنا ونصدّق

أن بنا شيئًا ما خطأ فيجعلنا نكتسب عطشًا للحب والتقبل لا يرتوي.

هي تعلم جيدًا أنه طِبقًا لقانون الجذب فإنها تدفع شريف لكي يكف فعلًا عن حبها ويرى بعين عقله عيوب جسدها، ولكنها لا تستطيع أن تمنع نفسها عن ذلك فتعود نادمة في كل مرة يحدث فيها مثل هذا النقاش.

جلست ليلى في غرفتها تتابع أخبار الدنيا في مواقع التواصل الاجتماعي حين وقعت عيناها على إعلانٍ لأحد المنتجات الدوائية الخاصة بالتخسيس وبدون تفكير قامت بشرائه أونلاين ووصل إليها خلال يومين..

كان الإعلان يقول إن المنتج آمن، وأنه يضمن فقدان الكثير من الوزن الزائد في مدة قصيرة وهذا ما كانت تتمناه وتبحث عنه.. تناولت الدواء وشعرت فعلًا بتغيُّر في شهيتها وبدأت ولأول مرة تشعر بالملابس قد باتت واسعة عليها فملأها شعور بالرضا عن نفسها. استمرت في تناول الدواء ولم تلقِ بالًا لضربات قلبها التي تتصاعد وتضرب صدرها في عنفٍ شديدٍ ولا إلى العصبية التي تجعل أعصابها تحترق من أقل المواقف وأتفهها.. خسرت الكثير من الوزن وأصبحت قريبة من الشكل الذي تتمناه، ولكنها سقطت فاقدة للوعي فجأة فأسرعوا بها إلى المستشفي وهناك حاولوا إنقاذ حياتها من الارتفاع الشديد في ضغط الدم وهبوط مستويات السكر.

- لا شيء يستحق أن يسلبك الحياة أيتها الفتاة..

- هل اختبرتِ إساءة أو إهمالًا جعلك تشعرين أنكِ غير مرغوبة؟ هل سحب والداكِ في بعض الأحيان حبهما وقبولها وعلقوهما على مدي التزامك برغباتهما؟

هكـذا اسـتهلت ليـلى بجسـدها الممتلـئ كلمتهـا في المنتـدى الـدولي للمـرأة وهـي تقـف أمـام المايكروفـون عـلى المـسرح الكبـير وزوجهـا شريـف يتابعهـا بفخـرٍ عـلى شاشـات التلفـاز المحليـة.

***

المرة التانية

بقلم: غادة غنيمي

المرة التانية من أي حاجة بنعملها بتكون مختلفة عن المرة الأولى.. الأمثلة كتيرة بس هتكلم هنا عن الحب والزواج.. أول مرة نحب بيكون فيها القلب هو صاحب اليد العليا والصوت المسموع الذي لا يعلو عليه شيء بنأتمر لأمره وبنرفض أي حاجة مخالفة لما يقوله هذا القلب.. مع سحر البدايات بنشوف الدنيا وردي وبنتخيل إننا الوحيدين اللي فاهمين وإننا قد نجونا من المشاكل التي نراها حولنا وأننا ببساطة مختلفون عن الآخرين وكأننا نملك أقدارنا ونثق في أنها لن تغدر بنا. بنصدق إننا نستحق نتحب ونعيش ونفرح.

أما المرة التانية أو المرات اللي بعدها فنحن صحيح بنحب، ولكن العقل بيكون له صوت مسموع المرة دي.. الحقيقة هو مش العقل هو بيبقى صوت خوفك من إنك تمر بنفس الآلام اللي وجعتك تاني، خوفك من إنك تعطي وبعد كده تندم.. خوفك من ضعفك أو خوفك أن يتم استغلال ضعفك وحبك وعطائك.. الخوف ده بيخلي الإنسان، سواء كان راجل أو ست، إنه يكبح عطاء قلبه.. يعطي بحساب يتردد

في كل حاجة قلبه بيقوله عليها بالرغم من إنه بيبقى في قرارة نفسه بيتمنى يسيب نفسه وقلبه يحب ويتصرف بعفويته علشان يرتاح ويستمتع لأن التركيز والخوف بيضيع لذة وجمال الحياة، فالحب عطاء والخوف إمساك..

بنرتبط تاني وإحنا مشاعرنا فيها التهاب لم يُشفَ لأننا في الأصل لم نعالجه، بل عشنا معاناته ثم تجاهلناه أو انشغلنا عنه بمسئوليات الحياة، ولكنه للأسف ظلَّ موجودًا بداخلنا ينهش فينا ويأثر على أغلب تصرفاتنا.

المشكلة بقى هنا إن الطرف التاني بيكون عنده غالبًا نفس المخاوف وبيكون عاوز بس يحس بالأمان علشان يقدر يتخلص من مخاوفه ويعطي بدون حساب لكنه بيستقبل ذبذبات أفكار ومشاعر الخوف من الآخر فبتصطدم بمخاوفه والدنيا بتضلم.

المشاعر والأفكار لها صوت على فكرة بيقدر يسمعه اللي حوالينا لو ركزوا معانا بمعنى إن الطرف التاني بيقدر يستقبل موجة وذبذبة أفكاري ومشاعري لو بس هو ركز وصدق إحساسه الداخلي. كتير بنقول «أنا حاسس بحاجة بس مش قادر أحدد ليه..»

هنا بقى أحب أقولك إن الأحاسيس دي إما صوتك إنت الداخلي أو صوت الطرف التاني الداخلي..

ركز وراجع نفسك بصدق ووعي علشان تقدر تحدد دي مشاعر مين فيكم. في كل الحالات اطمن وطمن حبيبك وخليك واثق إن أي مشكلة أو فشل هو درس علشان نتعلم منه حاجة نحسن بها نفسنا ونصلح نقص فينا. الدرس ده لازم يكون بيخليني إنسان أفضل مش العكس، يعني مثلًا لو علاقة فشلت بسبب إن طرف أساء استقبال ما

يعطيه له الطرف الآخر سواء معنويًّا أو ماديًّا يبقى الدرس هو إنه يتعلم معايير الاختيار الصحيح علشان يختار الإنسان الصح وليس إنه يبخل فيما يعطيه للطرف التاني فيخلي إنسان آخر يدفع ثَمن تجربة سابقة ليس له دخل فيها وبالتالي يفشل مرة تانية.

لو اتعلمنا الدرس صح الاختبار مش هيتكرر تاني أبدًا.

***

الموت والحياة

بقلم: غادة غنيمي

يقولون إن الرغبة في الموت أو الانتحار التي تنتاب بعض البشر هي انعكاس لرغبتهم في العودة إلى رحم الأم حيث الفراغ والسكون والأمان.

هكذا كانت تشعر «جانين» فقد كانت دائمًا ما تحلم بأنها تغرق في البحر وتصرخ بلا مجيب أو منقذ وذلك لأنها كانت كثيرًا ما تتمنى في يقظتها أن تتخلص من حياتها ومن الألم والخوف الذي تشعر به بعد أن فقدت جميع أهلها في غارة من غارات الحرب الأهلية الدائرة في بلدها والتي لا يعرف أحدٌ لماذا اشتعلت حتى الآن..

يقولون إن لكل إنسانٍ حظًا من اسمه وهي تسمى جانين .. فياللمصادفة الساخرة.

تتذكر جانين بيتها الجميل الواسع ذا الطابقين والذي كانت يتوسطه فناء فسيح يلعب فيه جميع أطفال العائلة في سلام وأمان، ورائحة الخبز الشهية التي تخبزه أمها وجدتها تملأ أركان المنزل لتضفي عليه الدفء والأمان، حتى كان عصر ذلك اليوم المشئوم الذي سمعت فيه دويَّ صفارة الإنذار المزعجة فانخلع لها قلبها الصغير ورأت وجوهَ

أهلها تمتقع خوفًا وهلعًا مما يمكن أن يحدث لهم وأعقب ذلك طنين الطائرات الأباتشي الأمريكية الصنع وهي تطير على ارتفاعات منخفضة محدثة فزعًا يشيب له الولدان.

كانت طفلة ترى الخوف في عيون أهلها، ولكنها لا تعلم مم تخاف؛ فهي صغيرة لم تعرف معنى الموت بعد... وفجأة حدث انفجارٌ ضخمٌ جدًّا أصم الآذان ثم أعقبه انهيار الجدار الأسمنتي على كل أفراد عائلتها التي كانت تتجمع في بهو المنزل مع استمرار أصوات انفجارات ضخمة مصحوبة بصرخات لرجال وسيدات وأطفال أعقبها سكون حذر ثم انتشرب رائحة الموت في الأرجاء تزكم الأنوف لتعم المكان بدلًا من رائحة الخبز والحياة..

لا تعرف كيف تم إنقاذها ولكنها إرادة الله التي كتبت لها النجاة لتعيش وحيدة في بلد يئن تحت وطأة الحرب بلا عائل يتكفل بها أو يشعرها بالأمان..

كانت عندما تتذكر هذه الليلة المشئومة تجد نفسها مازالت تسمع صوت صفارة الإنذار المدوية وأصوات الإنفجارات تكاد تفجر رأسها وقلبها يرتعش بين أضلاعها فتنهمر الدموع من عينيها وتظل تبكي حتى تفقد الوعي وتنام فتحلم أنها تغرق وتستغيث بلا مجيب..

كبرت جانين وهربت إلى بلد مجاور مع بعض من أفراد بلدتها هربًا من وطأة الحرب ومطاردة الموت لهم، ولكنها لم تكن تعرف كيف تتخلص من الكابوس المزعج ومن الأصوات التي تطاردها في يقظتها ومنامها. بدأت تعمل كبائعة في محلٍ للعب الأطفال بمرتب زهيد يكاد يكفي إقامتها في غرفة داخل شقة مشتركة مع أكثر من أسرة هاربة من جحيم الحرب. ثم رويدًا رويدًا بدأت النوبات التي

كانت تنتابها تخف شيئًا فشيئًا وقد ساعدتها السيدة صاحبة محل اللعب للخروج من حالتها واحتضنتها كابنتها لما لمسته فيها من أمانة وصدق.

ومع الوقت غمرتها هذه السيدة الطيبة بالكثير من الحب والحنان وضمتها لبيتها مع أولادها؛ فشعرت جانين لأول مرة بدفء العائلة مما ساعدها وجعلها تستطيع تجاوز آلام الفقد والخوف وبدأت تخطو أولى خطواتها نحو الحياة..

وهناك على شاطئ البحر الأحمر تعيش جانين الآن سعيدة في بيتها الصغير المليء بالدفء والحياة مع زوجها الشاب الوسيم الذي يعمل في مجال الإرشاد السياحي . كانت جالسة مبتسمة وهي تراقب أمامها ابنها الصغير آدم وهو يحاول أن يخطو أولى خطواته بكل إرادة وإصرار في حين كانت تقرأ كتابًا كان قد أهدته إليها أمها الثانية «صاحبة محل اللعب» فتوقفت عيناها عند هذه العبارة «لا تستسلم للغرق فرحلة الحياة مليئة بالشرف»

***

بركاتك يا شيخ جمعة

بقلم: غادة غنيمي

ادعيلي يا سيدنا الشيخ.. بركاتك

هكذا قال عماد وهو يتأهب للخروج من الباب الخشبي الضيق لهذا البيت الريفي البسيط مثله كمثل أغلب البيوت الريفية القديمة في قرانا الفقيرة ماديًّا والغنية بالمحبة والرضا.. خرج عماد واتجه نحو سيارته الفارهة ليعود إلى القاهرة الصاخبة حيث يعيش.

مَن هو جمعة وما هي علاقته بهذا الرجل فكما نقول بلغتنا العامية (إيه اللي لمّ الشامي على المغربي) وكأن الشامي والمغربي جنسان مختلفان وليسا أخوين من أبناء آدم..

عاد عماد بذاكرته إلى الوراء لعشر سنوات مضت، في ليلة من ليالي رمضان الساهرة وبالتحديد في المسجد الصغير – الزاوية - الذي يقع في آخر الشارع الذي يسكن فيه في حي مدينة نصر المزدحم. كان عماد يتفرغ للعبادة والاعتكاف في الجامع الكبير الملاصق لبيته فهو يعطي للعبادة اهتمامًا فائقًا خصوصًا في هذا الشهر الكريم، ولكنه في

ذلك اليوم ولسبب غير معروف قرر أن يصلي في ذلك المسجد الصغير وهناك رآه..

إنه عم «جمعة»

ذلك الشاب الثلاثيني العمر يجلس على كرسيه المتحرك وهو لا يكاد يكون ظاهرًا من ضعف جسده وهزاله الشديد والذي ينم عن الفقر والمرض.

اقترب منه أكثر فأكثر فوجد رجليه ضامرتين شديدتي النحولة مع جسد كطفل في العاشرة من العمر وملامح رجل بالغ العقد الثالث من العمر. ظل يتابعه بعينيه وأدهشه التفاؤل والضحكة التي لا تفارق وجهه؛ فقرر أن يتحدث إليه؛ فعرف منه أنه جاء من قرية ريفية صغيرة تتبع محافظة الشرقية للاعتكاف في العشر الأواخر من الشهر الكريم في هذه الزاوية مع أحد أقربائه الذي يعمل كحارس عقار بجوار هذا المسجد لكي يصل رحمه ويتواصل مع أهله على الرغم من عجزه شبه الكلي..

يا الله.. كيف يحرص مثل هذا الشخص القعيد، الذي ما كان يستطيع أن يقضي حاجته إلا إذا تطوع أحد الموجودين ليحمله إلى دورة المياه، على صلة الرحم في حين أن الكثير من الناس السليمة لا تهتم حتى بالاتصال تليفونيا بعائلاتهم.. عرف منه أيضا أنه لا يعمل لظروفه الصحية ويعيش على إعانات أهل الخير وهم كثُر؛ فالدنيا لسه بخير على حد تعبيره..

شعر عماد بمدى تفاهة مشاكله مقارنة بهذا الرجل الضئيل الحجم العظيم القدر الصابر على الابتلاء.. وتذكر كيف أنه يعيش متوترًا حزينًا يشتكي دائمًا من مصاعب الحياة وهو الرجل القوي السليم

المعافى في حين أن رجلًا مثل جمعة يمضي وقته ضاحكا مطمئنًا حامدًا لربه على نعمه.

بدأت علاقة شديدة الخصوصية تجمع بين جمعة و عماد الذي شعر بأن مقابلته لجمعة لم تكن على سبيل الصدفة بل لقد كان مُسيرا إلى تلك الزاوية للوفاء بدورًا كان عليه أن يؤديه في الحياة؛ فقام بالتكفل بكافة مصاريف «عم الشيخ جمعة» كما كان يحلو له أن يناديه بل لقد قام بتعيينه موظفًا في شركته الخاصة والتأمين عليه مع إعفائه من العمل حتى يضمن له معاشًا عند كبره.

ثم جاء يوم استقبل فيه عماد مكالمة من جمعة يدعوه لحفل زفافه البسيط على إحدى فتيات القرية شاكرًا إياه على مساعدته التي لولاها لما كان يستطيع حتى أن يفكر في الزواج.. وتم الزواج وها هو عماد عائدٌ الآن بعد زيارة قصيرة لعم الشيخ جمعة ليبارك له على أول مولود له.

مَن كان يحتاج لمن.. هل كان جمعة هو من يحتاج إلى عماد أم أن عماد هو من كان يحتاج لعم الشيخ جمعة ليعطيه درسًا في الرضا والسعادة..

***

حبي نفسك اللّه يخليكي

بقلم: غادة غنيمي

هل تظنين أنك عندما ترتدين معطفك أنه هو من يقوم بتدفئتك؟

كلا البتة يا عزيزتي أحب أقولك إن المعطف هو فقط يقوم بمنع حرارة جسدك من التسرب.

هكذا استهلت «أماني» ورشة عمل «حبي نفسك» التي تقوم بتقديمها لمجموعة من السيدات والآنسات في مجال التنمية البشرية التي تعشقها.. كانت هناك تقف في ثباتٍ في منتصف الغرفة ذات اللون الوردي الفاتح وهي تنظر بعينيها العسليتين إلى الشاشة والبروجكتور الذي يعرض أهم النقاط التي ستتناولها . كانت تهدف من خلال الورشة إلى رفع درجة الوعي الذاتي للنساء وحثهن على أن يهتممن ويُحسنّ إلى أنفسهن حتى يستطعن تغيير حياتهن وحياة أسرهن للأفضل.

«نحن نبحث عن الحب بالعالم الخارجي، نبحث عن القبول عند الآخرين في حين أن كل ذلك موجود بداخلنا ولن نحصل عليه خارجيًّا أبدًا إذا لم يكن موجودًا داخليًّا».

تتذكر أماني كيف كانت تعاني من الانفصال عن ذاتها والذي لا تستطيع أن تتذكر متى وكيف بدأ.. فهو ليس انفصالاً بالمعنى الحرفي للكلمة ولكنه شعورٌ ما خفيٌّ كانت قد اكتسبته في مرحلة مبكرة جدًّا من العمر، مفاده أنها ليست كافية لأن تكون محبوبة لذاتها؛ فيجب عليها دائمًا العمل جاهدة لكي تكتسب حُبَّ مَن حولها وأولهم أمها ثم كبرت الدائرة لتشمل كل من حولها من أصدقاء ومدرسين ثم الزوج والزملاء.. دائرة لا تنتهي بل تكبر معها كلما كبرت وتقتضي عليها تقديم المزيد والمزيد من الجهد والتنازلات حتى كان اليوم الذي انفجرت فيه وقررت أن تثور على هذه القيود الداخلية التي طالما ضغطت عليها «فالضغط يولد الانفجار لا محالة»

تحكي لهم أماني كيف أنها كانت تعتقد أن حبها وتزكيتها لنفسها يعتبر أنانية بغيضة، وأنه كان عليها أن تنكر ذاتها لتشعر بالاطمئنان والرضا هكذا تعلمت من أهلها أو «هذا ما وجدنا عليه آباءنا» كما كانت تحب أن تقول ساخرة لمن يحضرون ورش العمل التي تقوم بها.

سألتها «هناء» تلك الفتاة التي تعاني من صراعات داخلية كثيرة بين حبها لأهلها وبين رغبتها في الاستقلال المعنوي.

- طب إزاي أحب نفسي وأخليها أولوية في حياتي من غير ما يكون ده أنانية وظلم لأهلي.

كانت «هناء» فتاة في بداية العقد الثاني من العمر ذات جمال هادئ وقد قدمت نفسها في بداية الورشة بأنها الابنة الكبرى في أسرتها التي توفى عنها الأب منذ عدة سنوات تاركًا المسئولية كاملة على عاتق الأم والتي أحاطت بناتها الثلاث بسور حديدي لحمايتهن، ربما لشعورها بضعفها وعجزها أو لقلة وعيها وعدم معرفتها كيفية التصرف وحدها

أمام صعوبات الحياة، ولكن هذا السور الحديدي قد بات عبئًا ثقيلاً على بناتها وخاصة «هناء» التي تريد أن تشعر ببعض الحرية بعيدًا عن تأنيب الذات.

استمر الحديث والمناقشة لأكثر من ساعتين قامت خلالهما أماني بالرد على كافة التساؤلات، وشرحت أسباب جلد الذات والابتزاز العاطفي الذي يتم ممارسته على الإنسان من أقرب الناس إليه ليس لشر فيهم ولكن لكي يضمنوا حُبَّ وولاءَ من حولهم. ثم قامت بإعطائهن تدريبات وخطوات تساعدهن في التواصل الجيد والصحي مع أنفسهن مثل التوكيدات الإيجابية وتغيير بعض العادات السلبية واستبدالها بأخرى إيجابية من خلال وضع جداول زمنية والالتزام بها، ثم انتهت الورشة على وعدٍ بلقاء مرة أخرى في المنتدى الأسبوعي الذي تقيمه في نفس المكان لمن تحب أن تستكمل المتابعة معها.

استقلت أماني سيارتها وهي تتساءل: هل هي فعلاً تحب ذاتها أم أنها اختارت هذا الموضوع لنقص ما بداخلها تحاول أن تعوضه عن طريق مساعدة غيرها لتحقيقه فمفتقد الشيء (وليس فاقده) يعطيه بغزارة كأنه يصرخ في الكون طالبًا إياه أن يمده بما ينقصه.

هل وصلت أماني فعلاً لدرجة كافية من حب الذات أم أنها ما زالت في بداية الرحلة.. هكذا كانت تفكر وهي في طريق عودتها إلى بيتها.. فتوقفت بسيارتها فجأة أمام محل صغير لبيع الورد وقامت بشراء صحبة ورد جميلة ذات ألوان متعددة ومبهجة تفوح منها رائحة تسري بهجة في النفس و قامت بإهدائها إلى نفسها كتعبير عن حبها لها.

***

خف القدم ترزق

بقلم: غادة غنيمي

عاشق سارح في الملكوت.. مايهموش العمر يفوت
يدفع في الحرية حياته.. ولواتكتف للحظة يموت..

جلست عيبر في شرفتها الكبيرة المطلة على الحديقة التي تتوسط هذا الحي الهادئ تغني وتراقب قطة صغيرة تلهو وتقفز على بعض الأغصان القصيرة كما لو كانت تتشاجر معها. كانت عبير تحب التأمل ومراقبة أسراب الطيور التي تراها عند الشروق والغروب والتي لا تعلم من أين تأتي، ولكنها لم تتغيب يومًا عن الحضور، كما كانت تلاحظ القطط والكلاب التي كانت تجري هنا وهناك. كانت معجبة بالحرية والراحة التي يتمتعون بها فتجعلهم يلهون ويعيشون بدون أن يخافوا من المستقبل أو يطيلوا التفكير في كيفية الحصول على أرزاقهم ولا يخافون من فقدِ عزيزٍ أو شيء ثمين. فقط الإنسان هو من يشغل باله دائمًا بهذه الأشياء التي تنغص حياته فهو إما حزينٌ على شيء ما قد مضى أو خائفٌ وقلق على شيء ما قد يحدث مستقبلاً وبين هذا وذاك يضيع حاضره.

استكملت الغناء بصوتها العذب:

طِير في السما ومالوش عنوان .. وف إيده خاتم سليمان..

وهنا توفقت فجأة وتساءلت ماذا ستعمل لو وجدت خاتم سليمان.. وهل يا ترى يوجد شيء فعلاً اسمه خاتم سليمان أم هي أساطير توارثناها جيلاً بعد جيل..

استغرقت في هذا التفكير وأخذت تتخيل ماذا سيكون شكل هذا الخاتم وهل هو مثل مصباح علاء الدين السحري.. ثم بدأت تسترجع ذكرياتها وكل ما مرت به خلال رحلة حياتها المليئة بالأحداث والاختبارات وهمهمت بيقين «نعم نحن نملك خاتم سليمان» كل واحد فينا عنده خاتم سليمان في إيده يقدر من خلاله يحقق أحلامه .. ببساطة: أحلامنا تتحقق برفع أيادينا بالدعاء.. نعم الدعاء الصادق مع اليقين باستجابة الله هو سر تحقيق الأمنيات ثم يأتي بعد ذلك الأخذ بالأسباب..

«خف القدم تُرزق» هكذا كان يقول لها جدها دائمًا وهي صغيرة.. كان أجدادنا يفهمون حقيقة الحياة وكانت الحكمة دائمًا ما تجري على ألسنتهم.

ثم انتبهت فرأت فتاة صغيرة ممسكة بقطعة من الخبز تجري نحو الحديقة فما لبثت أن وقعت على الأرض فأسرعت إليها والدتها لتحتضنها وتأخذها ثم رحلتا بعيدًا تاركتين خلفهما قطعة الخبز الشهية وبداخلها قطعة من اللحم الناضج لتنقض عليه القطة الصغيرة وتشده إلى جانب مستتر لتستمتع وحدها بهذه الوليمة.

هكذا إذًا.. إنه الرزاق، يدبر أمرَ كل خلقه فقط نتوكل عليه

ونطمئن إلى وجود العليم الحكيم الذي يدير الكون بحكمته ويقسم الأرزاق فلا ينسى إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا...

ابتسمت عبير لمشهد القطة وهي تسحب الخبز بعيدًا عن الأنظار لتأكله وحدها بعيدًا عن الأعين وعادت تدندن أغنيتها وهي تنظر إلى السماء الممتدة في الأفق فيغشاها شعور بالرضا والأمان.

***

زجاجة عطر

بقلم: غادة غنيمي

انتهى أحمد من ارتداء ملابسه الأنيقة وأخذ يتأمل نفسه بإعجاب في المرآة الكبيرة الموجودة في ركن حجرته المرتَّبة بعناية ويتحسس حلته الثمينة التي كلفته مبلغًا كبيرًا يتكون من الأربعة أرقام ثم بدأ يصفف شعره القصير الذي بدأ في الانحسار للوراء مُعلنًا عن انتصاف عقده الثالث من العمر.

كان أحمد يشعر بمشاعر متضاربة بين الفرح والخوف والتردد، فهو ذلك الطبيب الشاب النابغ الذي استطاع أن يحقق الكثير من النجاحات العملية في مدة قصيرة قفزت به إلى مصاف كبار الأطباء في تخصصه الدقيق في جراحات المخ والأعصاب مما درّ عليه الكثير من الأرباح استطاع من خلالها تحقيق معظم أحلامه.

انتهى من تأمُّل صورته بعين راضية واستدار ليلتقط هاتفه المحمول مستعدًا للخروج حين وقعت عيناه على زجاجة العطر الذهبية فتبدلت قسمات وجهه وسرى بداخله شعورٌ بالأسى والحزن.. لقد كانت آخر هدية تلقّاها من حبيبة العمر كما كان يطلق عليها..

كان يحبها بل كان يعشقها.. كان يحب ذاته في وجوده معها فكانت تمثل له الأم والأخت والحبيبة والصديقة فكان يحرص دائمًا على الإسراع إليها حين ينتهي من نباطشيته ليختبئ في عينيها من كل ضغوطات الحياة فيجد عندها ملاذه الأمن.

قطع أفكاره وذكرياته رنينُ هاتفه المحمول ولمح على شاشة التليفون اسم هايدي.. إنها تلك الطبيبة الهادئة ذات الوجه الملائكي التي التقى بها منذ عدة أشهر في المستشفى الشهير الذي يعمل به ثم توالت لقاءاتهما ومحادثتهما لمس خلالها ثقافتها وأدبها. لا ينكر أنه أعجب بها ولكنه أبدًا لم يستطع أن يحبها؛ فقلبه ما زال مشغولاً بحبيبة العمر. ثم جاء اليوم الذي قرَّر فيه أحمد الزواج من هايدي لكي يتخلص من إلحاح أسرته للزواج ولمَ لا وقد لمس فيها إعجابها به وحبها له. أما هو فلا مكان لصوت القلب في حياته منذ أن فقدَ حبيبة العمر.. التقط هاتفه في توتر ورد عليها مقتضبًا مؤكدًا حضوره خلال ساعة على الأكثر وأنهى المكالمة وهو شارد الذهن.

هل فعلاً هو يريد الزواج من هايدي؟ هل سيكون سعيدًا معها.. تساؤلات تعصف به منذ أن قرّر الزواج منها ولكنه دائمًا ما يهرب من الإجابة التي حتمًا ستجعله يتراجع عن الزواج. هل سيكون سعيدًا.. فيرد عقله عليه قائلًا من منا يستطيع أن يعلم الغيب. هو يعلم فقط أنه سوف يجتهد في عمله وفي الاعتناء بأسرته حتى لا يكون ظالمًا لهايدي التي لا ذنب لها سوى أنها أحبته وأخلصت له.

ثم مد يده ليلتقط زجاجة العطر ويرش منها على حُلته الأنيقة فيسري العطر مع أنفاسه ويتوغل بداخل كل خلاياه يدغدغ كيانه ويعصف به.

تذكـر تلـك السـيارة المسرعـة التـي حرمتـه مـن حبيبـة العمـر حـين صدمتهـا وفـرت هاربـة ففـرت معهـا روح حبيبتـه الوحيـدة آخـذة معهـا سـعادته وأحلامـه وتركتـه وحيـدًا يجـتر الذكريـات علّـه يجـد فيهـا مـا يخفـف عنـه معاناتـه ووحدتـه.

أغمـض عينيـه قليـلاً وحـاول أن يخفـي دمعـة سـاخنة أرادت الفـرار مـن عينيـه ووضـع زجاجـة العطـر بحـرص جانبًـا ثـم قـام نحـو بـاب المنـزل متجهًـا لزيـارة أسرة هايـدي للاتفـاق عـلى تفاصيـل الـزواج مـع وعـدٍ داخـليٍّ بـأن يطلـق اسـم معشـوقته عـلى أول مولـودة لـه ليظـل اسـمها مقترنـا باسـمه مـا حيـي.

***

أم أحمد بتاعة البوفيه

بقلم: غادة غنيمي

تجدها دائمًا جالسة في انحناء أمام باب الكافيتريا الصغيرة المتواضعة أو البوفيه كما يلقبونه في مبنى محكمة الأسرة بالتجمع الخامس مرتدية عباءة سوداء رثة الحال وشالاً من الصوف يغطي رأسها شأنها كشأن معظم سيدات هذه الطبقة المطحونة من المجتمع ويبدو وجهها شاردًا متعبًا وحزينًا محفورًا به الكثير من الخطوط والتجاعيد التي تعبر عن الشقاء والأحزان والتي لا تتناسب مع سنوات عمرها الأربعين.

هي أم أحمد عاملة البوفيه تكاد تنسى اسمها الحقيقى فاسم السيدات يعدونه سرًا لا ينبغي لأحد أن يطلع عليه أو يتلفظ به، فقط كنيتها كأم فلان أو فلانة هي المسموح بها.

هي أم لخمسة أولاد أكبرهم في السادسة عشر وأصغرهم في الخامسة وهي العائل الوحيد للأسرة، على الرغم من وجود زوجها الذي اختار ألا يعمل ولحق بطابور العاطلين وأجبرها على التكفل بمصاريفه ومصاريف «كيفه» كما كان يطلق عليه وإلا حرمها من جنة قربه ونعيم رضاه..

هل هو الفقر أم الجهل الذي يدفع بهذه السيدة إلى قبول كل هذا الذل والهوان.. أهو خوفها من أن يطلق عليها لقب مطلقة في مجتمع يئن من حالات الطلاق اليومية، أم من أن يقوم بطردها وأولادها من الحجرة الرطبة الضيقة التي يسكنون بها فتجد نفسها بلا مأوى، أم هو هذا المجتمع المشوه الذي لا يرى عيبًا في ذلك. كل هذا دار في مخيلة مدام نوال التي تعمل في الأرشيف وهي عائدة إلى مكتبها في الدور الذي يعلو البوفيه..

كانت نوال أرملة في الخامسة والثلاثين من عمرها ذات جمال هادئ وملامح شرقية ونظرات يملأها الحزن والانكسار. كانت تقضي معظم يومها تعمل في غرفة تعج بالدواليب المكتظة بالملفات القديمة التي تلقي على النفس الشعور بالوحشة والوحدة وكانت التهوية الوحيدة في الغرفة تتمثل في وجود شباك خشبي صغير يعلوه التراب والذي يعد المتنفس الوحيد للمكان.

استطردت نوال في أفكارها لتتساءل عن كل هذه الخلافات بين الناس، فعملها في الأرشيف يتيح لها مطالعة الأحكام والقضايا التي تعج بها هذه المحكمة والتي يطلق عليها «الأسرة» عن أي أسرة يتحدثون.. كيف وصلنا إلى هذه الدرجة من القسوة.. أين ضاع الحب والوفاء.. هل فقدناه في طريق الكفاح من أجل لقمة العيش لتحل محله الأنانية والقسوة..

كيف تغيرت بنية المجتمع المصري التحتية التي كانت تحترم وتقدس المرأة منذ عهد الفراعنة وحتى وقت ليس بالبعيد.. فهي ما زالت تذكر جدتها نجيبة التي كانت تعيش معززة مكرمة في كنف جدها ثم بعد ذلك مع أبنائها بعد وفاة زوجها الحبيب. متى وكيف

تـم امتهـان حـق وكرامـة المـرأة والـذي بـدأ أول مـا بـدأ في الطبقـات المعدمـة ثـم بـدأ يتسـلل عـلى اسـتحياء بـين بقيـة أطيـاف المجتمـع.

ظلـت تائهـة في أفكارهـا تتذكـر زوجهـا «عبـده» رحمـه اللـه عليـه وبناتهـا الثـلاث الـلاتي تخـشى عليهـن مـا تخـشى مـن أن يقعـن في براثـن هـذه القسـوة حتـى قطـع تفكيرهـا صـوت سـيدة تـصرخ بصـوت تمـلأه الفرحـة «يحيـا العـدل.. الحمـد للـه» فانتبهـت وتذكَّـرت أن اللـه العـادل لا يتركنـا أبـدًا إلا إذا ارتضينـا نحـن بالظلـم. فقـط ماعلينـا إلا ألا نستسـلم.

***

البقية في حياتك

بقلم: غادة غنيمي

البقية في حياتك.. البقاء لله.. شدي حيلك..

هي عبارات نرددها للناس من حولنا بأسى وشفقة لنواسيهم في وفاة عزيز لديهم ولكنها تصعق أرواحنا إذا ما يومًا وجِّهت وقيلت إلينا.

أتحدث عن صدمة وفاة أول عزيز للإنسان.. شعور صادم مرير يغشى الإنسان حينها فيكون غير مصدقٍ للحقيقة الوحيدة في الحياة. كابوس يطبق على النفس ويحجب الهواء فيجعلها تختنق فتصرخ كل خلاياها طالبة بعضًا من الهواء من أجل القليل من الحياة.. يتوقف الزمن عند سماع هذه الكلمات الحزينة ويتوقف العقل عن التفكير يرتج القلب تحت وطأة الصدمة التي تهز الكيان وتعصف بالروح.

هكذا شعرت «هبة» هذه الفتاة الشابة التي اقتربت من نهاية العِقد الثاني من العمر والتي لم يخطر ببالها يومًا أن تستقبل عبارات المواساة وهي ترى والدها مسجيًا على فراشه فاقدًا للحياة..

لم تكن تستوعب ما يحدث فما هي إلا لحظات قليلة تفصل بين الموت والحياة.. كان والدها معها منذ دقائق يتحدث إليها ويشتكي

مـن بعـض التعـب البسـيط الـذي أرجعـه ربمـا إلى سـهرة الليلـة الماضيـة ولم يخطـر ببالهـا أن يكـون هـذا هـو آخـر لقـاء يجمعهـما سـويًّا في الحيـاة الدنيـا.

- بابا رد عليّا، بابا في إيه، حاسس بإيه.

هكـذا كانـت تـصرخ غـير مسـتوعبة لمـا يحـدث فكلنـا نظـن أن المـوت بعيـد عنـا، عـلى الرغـم مـن إيماننـا بأننـا سـنموت ونفنـى؛ فالعقـل يعلـم هـذه الحقيقـة ولكـن الـروح تنسـاها أو تتناسـاها ولمَ لا وهـي لا تمـوت ولا تفنـى بـل تنتقـل مـن عـالم الدنيـا إلى عـالم الـبرزخ عنـد مليـك مقتـدر.

انهـارت هبـة وخـارت قواهـا ولم تعـد قدماهـا قادرتـين عـلى حملهـا، توقـف عقلهـا عـن الاسـتيعاب وكأنـه قـد ضرب عـلى سـمعها وبصرهـا فـلا تـكاد تعـي أو تتبـين مـا يحـدث، أصبحـت الكلـمات فارغـة مبعـثرة فاقـدة للمعنـى.

كانـت هبـه تعلـم أن أباهـا قـرة عينهـا قـد ذهـب إلى دار الحـق، ولكنهـا لا تعـرف كيـف سـتكمل حياتهـا مـن دونـه فلقـد كان موجـودًا دائمًـا منـذ وُلِـدَت في هـذه الدنيـا لم يغـب عنهـا يومًـا واحـدًا. كانـت تلجـأ إليـه في كل مشـكلة تقابلهـا، كان ملجأهـا وملجـأ طفليهـا الصغيريـن الـذي كانـت تلـوذ بـه مـن قسـوة الحيـاة.

كانـت تتسـاءل كيـف للنـاس أن يتضاحكـوا أو لا يعلمـون أن أباهـا قـرة عينهـا قـد ذهـب بـلا عـودة.. كيـف لهـم أن يتحدثـوا أولَـم يفقـد كل الـكلام معنـاه فأصبـح فارغًـا.

مـرت الأيـام بطيئـة ثقيلـة وهـي مـا زالـت تشـم رائحتـه، تسـمع صريـر مفتـاح البـاب ووقـع خطواتـه الخفيفـة وهـو عائـد مـن صـلاة الفجـر.. تسـمع صوتـه يـرن في جنبـات روحهـا يناديهـا وكثـيرًا مـا كانـت تسـتيقظ

فتلتقـط دون وعـي هاتفهـا لتتصـل بـه، كـما كانـت عادتهـا في حياتـه.

- ياريتـه يرجـع تـاني وأنـا أفضـل جنبـه وأعمـل لـه كل حاجـة كان نِفسُـه فيها...

ياريت ويا ريت.. كلمات تصرخ بها في نفسها حتى يبح صوتها.

هكـذا نشـعر دائمًـا بعـد فقـدان عزيـز لنـا لم نتوقـع يومًـا أن نفقـده، تسـيطر علينـا مشـاعر جَلـد الـذات فتسـلب منـا الراحـة والسـلام فـلا نجـد غـير الدمـوع منفـذًا لنطفـئ بهـا النـار المتقـدة في جنبـات الـروح. ننـدم عـلى تقصيرنـا في حقـه ونغـوص في بحـر الأحـزان وربمـا ننـسى في خضـم هـذه المشـاعر وجـود أحبابنـا الذيـن لا يزالـون باقـين حولنـا. فمنـا مـن يتعلـم الـدرس ويغمـر أحبتـه بالحـب والاهتـمام ومنـا مَـن يظـلّ غارقًـا في مشـاعرة وآلامـه وصرخـات نفسـه حتـى يتفاجـأ بفقـدان عزيـز آخـر فتتجـدد الأحـزان ويتجـدد النـدم ونختنـق بكلمـة «ياريـت».

***

فراشة صغيرة

بقلم: حنان محمد

طفلة صغيرة فرحة بفستانها الجديد المليء برسومات الفراشات. فهي تعشق الفراشة وتتمنى أن تصبح مثلها تطير في كل مكان وتتنقل بين الزهور وتكون حرة مثلها.

- إنتِ فين يا زفتة!

أفاقت من أحلام اليقظة على صراخ والدها، وانطلقت تجري مرتعبة حتى وقفت أمامه دون أن يصدر منها صوت.

- كنتِ فين يا بنت الكلب وسايبة أختك الصغيرة من غير أكل؟!

لم تجد ما ترد به عليه، فهي طفلة تبلغ التاسعة من العمر ولا تفقه أي شيء بعد.

لكن يبدو أن صمتها استفزه أكثر وأفاقت على صفعة قوية من يديه على وجهها البريء وحينما بدأت بالبكاء من شدة الألم عنفها قائلًا:

- ما أسمعش منك صوت. امشي غوري يلا أكليها وخدي بالك

منهـا، أنـا عايـز أرتـاح. ربنـا ياخدكـم وأرتـاح منكـم. وذهـب إلى غرفتـه لينـام وتركهـا تنظـر إليهـا وقلبهـا يعتـصره الألم ودمـوع حـارة تنسـاب كالشـلال عـلى وجههـا الـبريء، وسـؤال يـكاد يفجـر روحهـا: لمـاذا يعاملنـي هكـذا؟

وتنظـر إلى أخيهـا وتتمنـى أن تصبـح مثلـه ذكـرًا كي تعامَـل معاملـة الأمـراء.

تمنـت أن لا تطيعـه، ولكنهـا تذكـرت حينـما فعلتهـا مـاذا حصـل لهـا ورفعـت ذراعهـا تتحسـس إصابـة علقـة سـابقة.

وذهبـت لتصنـع لأختهـا الصغـرى مـا تفقـه مـن طعـام لتعافـر بعدها في إقناعهـا لتتناولـه، ومـا تـزال دموعهـا تنهمـر كالشـلال وأبـت ألا تتوقـف عـن الانهـمار وفي داخلهـا رعـب شـديد لرؤيـة والدهـا لهـا ونهرهـا مـرة أخـرى عـلى البـكاء.

عنـد المسـاء، تفاجـأت مـن والدهـا بقطعـة حلـوى مكافـأة لهـا عـلى إطعـام أختهـا، وبطلبـه منهـا أن لا تتناولهـا دفعـة واحـدة وأن تقسـمها عـلى مـدار أيـام.

وبداخلها صراع رهيب، أيحبني أبي أم يكرهني؟

وتقبلها في صمت شديد وعيناها لا تفارقان النظر إلى الأرض.

وقـررت صنـع واقـع مختلـف بداخلهـا تذهـب إليـه حينـما تشـاء، تجـد فيـه كل مـا ترغـب مـن حـب واهتـمام، تصنـع فيـه أبويـن وهميـين يغدقانهـا بالحـب والاهتـمام والرعايـة، لتشـبع احتياجاتهـا الأساسـيه كأي طفلـة ولتتشـابه مـع أقرانهـا في المدرسـة.

ولكنها لم تعلم أنها ستصبح حبيسة هذا العالم الوهمي، بعدما أن لجأت إليه في إحدى نوبات غضب أبويها وتعنيفهما لها على عدم تنظيفها لغرفة الطعام..

لتنطلق في عالمها الحالم وتغادر واقعهما الأليم إلى الأبد..

لتحيا كما تريد. فراشة بين الحقول. تعانق بجنحتها الحياة.

***

التغيير

حنان محمد

«ما بداخلنا يصنع عالمنا الخارجي»، تردد صداها داخل عقل حاتم وهو يمشي إلى أن وصل إلى منزله بعد أن أمضى أمسية في قوانين الجذب قد أهداها له صديقه ليساعده على الخروج من محنته.

فقد أتم حاتم منتصف العقد الثالث من العمر، وهو ما زال موظفًا في شركة صغرى ومرتبه لا يكاد مصاريف معيشته مع والدته المقعدة.

أمضى الليل بطوله وهو يتذكر كلام المحاضر عن أن كل ما نجذبه في حياتنا هو من اختياراتنا لواقع نعيشه ونحياه، وأنه بتغيير أفكارنا ومعتقداتنا عن الحياة يتغير واقعنا بكل معانيه. تذكر أيضًا كيف شجعه صديقه لحضور تلك الأمسية وكيف أخبره أنها سبب في تغيير واقعه للأفضل.

وأصبح يحلل كل تفصيلة من حياته ابتداء من عمله وفشله في الارتباط وتكوين أسرة، وكيف أن جميع إخوته هاجروا وتركوه يرعى والدته. ظل يتساءل: كيف اختار بلا وعي منه هذه الحياة التي لا

يتذوق فيها طعم السعادة؟ وما يهون عليه يومه هو دعاء والدته ورضاها عنه، وكيف لا وهو القائم على كل شؤونها.

كيف اختار أن يهجره إخوته وقد كان الراعي لهم بعد وفاة والدهم؟

أفاق من تساؤلاته على أذان الفجر، فقرر أن يذهب ليصليه في المسجد، وفي سجوده أطلق نية لتغيير كل أوضاع حياته للأفضل، وشكر ربه على هدية صديقه ومضى إلى منزله ليحضر طعام الإفطار لوالدته ويتجهز ليذهب إلى عمله.

وفي المساء ذهب ليستكمل الجزء الثاني من الأمسية، وقد دوَّن بعض النقاط التي سوف يبدأ منها ليعيش كما يريد.

وفي طريق عودته إلى المنزل ظل يفكر، أيريد أن يستكمل عمله في تلك الشركة التي فرضتها عليه الأحوال في السابق، أم يريد أن يعمل شيئًا آخر؟ وعندها ظهر سؤال آخر: ماذا أحب أن أعمل في الأساس، ومن أنا وما قدراتي؟! وأصابه الذهول لعدم قدرته على الإجابة عن تلك التساؤلات. وقرر أن يغير نمط تفكيره ويعيد اكتشاف ذاته من البداية، وقد استوعب أنه يمتلك كل الوقت لذلك ويملك المصادر المساعدة لذلك.

في صباح اليوم الثاني أرسل لصديقه يشكره على الأمسية وطلب منه أن يدله على مصادر أخرى تساعده على الفهم والتطبيق أكثر حتى يصل إلى ما يبغي.

لقد كانت رحلة شاقة ولكن ممتعة، جملة قالها حاتم أثناء عودته من رحلة تسلق جبل ميشت في الأردن وتصحبه زوجته.

لقد مر عامان ونصف على حاتم منذ أن بدأ رحلة التغيير،

ومـر بكثـير مـن الصعوبـات والصراعـات المقاومـات الداخليـة حتـى يصـل ويتعـرف إلى ذاتـه الحقيقيـة ويمـارس مـا يحبـه مـن عمـل، وأصبـح يمتلـك شركـة زراعيـة صغـيرة وقـد كان حلمـه مـن الطفولـة تناسـاه بعـد وفـاة والـده وتذكـره أثنـاء سـعيه في التغيـير.. وقابـل زوجتـه في إحـدى الأمسـيات وتشـاركا في مسـاعدة بعضهـما بعضًـا في تحقيـق أحلامهـما، ليسـعد كل منهـما مـع ذاتـه وبصحبـة الآخـر، وليثبتـا لأنفسـهما وللمحيطـين أن مـا نريـده فعـلًا يمكـن تحقيقـه ولكـن يحتـاج إلى عمـل وسـعي. فالأحـلام سـهلة التحقيـق بالعمـل.

وسط البلد وجمال وسط البلد

بقلم: يارا عبد البصير

خرجَت من البناية القديمة التي تتوسط شارع البستان بوسط البلد لتستقبلها نسمة هواء باردة.

لا إراديًّا تسري موجات من القشعريرة من كتفيها إلى خصلات شعرها القصير مرورًا برقبتها الطويلة. لا تعرف لماذا اختارت طبيبًا نفسيًّا في وسط البلد على الرغم من بعده الجغرافي عن مكانَي عملها وسكنها، ولكن لطالما كان هناك ما يشدها لوسط البلد فلا تستطيع إلا أن تلبي النداء لتذهب كالمسحورة التي لا تسمع إلا نداءات «النداهة». كلما زارت وسط البلد يرسم خيالها صورة ذهنية لجرامافون قديم أكلت عليه الدهور وشربت حتى سكرت وترنحت ونشزت نوتاته الموسيقية واعوجت سنونه فخرجت أشباه ألحان ناعمة اخشوشنت مع مرور الزمن.

هذه هي وسط البلد: إمرأة سبعينية يحمل وجهها سراديب وأخاديد عميقة ويفوح من «تايورها» المنمق - رغمًا من قدمه - عطر Chanel No. ٥ الذي تعتق في زجاجته لسنوات. سحر هذا الحي يكمن

في تلك البنايات القديمة الساحرة التي لا تجدها إلا في أحياء معدودة في القاهرة لتحمل رائحة تاريخ وأجداد وحكايات لا نسمعها ولا نراها إلا في الأفلام الأبيض والأسود حتى تبدو لنا حياة من دروب الخيال لا يقدر عقلنا المليء بملوثات العصر على رسم صورة لها ولو في الخيال.

دائمًا ما تخرج من العيادة سعيدة وخفيفة لمجرد أن الدكتور يحيى قد أكد لها أنها ليست مجنونة فتعطيها كلماته جناحين لا يراهما سواها ولكنهما كافيين لإشعارها أنها تطفو فوق الأرض لتتحدى نيوتن وتفاحته الحمقاء التي غير بها مفاهيم العالم؛ ولكن ليس عالمها.

تُخرج هاتفها المحمول من حقيبتها وتضع سماعتيها في أذنيها لتصم أصوات الباعة الجائلين والسيارات والضحكات الصاخبة من حولها، وتفتح الـ playlist وتضغط على shuffle songs.

لطالما أحبت المفاجآت والصدف غير المتوقعة، فربما قلتهم في حياتها الرتيبة جعلتها تحاول صنع هذه المفاجآت بنفسها فأصبحت تعتبر خاصية الـ shuffle songs مفاجأة من هاتفها المحمول أو رسائل من القدر.

«كل شيخ وليه طريقة» كما تحب أن تقول لنفسها، فهناك من يفتحون المصحف أو الإنجيل على صفحة عشوائية واعتبار ما فيها رسائل ربانية من القدير ليواسي ما فيهم من حزن ويداوي ما فيهم من جروح، أما هي فقد فقدت روحانيتها منذ زمن ليس ببعيد أو بقريب. فقدت روحانيتها وليس إيمانها ولطالما عرفت الفرق! أصبح عندها قناعة أن الـ playlist التي كوَّنتها من الأغاني التي تحرك فيها مشاعر مختلطة ومتشابكة تفهم حالتها النفسية أكثر من أي أحد حولها - بل أكثر منها هي شخصيًّا - فتارة تكون في حالة مزاجية

تستدعي الصريخ فتفاجئها «الليستة» بأغنية صاخبة وعالية تصرخ معها لتتخلص من مشاعر الضيق المكبوتة داخلها، وتارة أخرى تشعر بضيق نفس ودموع محبوسة في رئتيها فتبدأ أغنية ذات جرعة «نكد» عالية فتنهمر دموعها.

دائمًا ما تصيب «الليستة» في اختيار ما تبث لأذنيها من مزيكا وألحان وأغانٍ تحتاجها في تلك اللحظة بعينها - فقط نوتات وكلمات مقفاة لتساعدها على التفكير والتفكر والتأمل والتخلص من الطاقة السلبية المستوطنة في جسدها، ففي بادئ الأمر وآخره «كل شيخ وليه طريقة!»

تعيد توازن حقيبة الظهر التي تلازمها في معظم الأوقات ويتساءل من يراهما معًا عما تحمله من خبايا كأنه صندوق الدنيا. «إيه يا بنتي فيها إيه الشنطة دي كلها؟» فترد بضحكة ساخرة: «فيها عزالي!» يظن السائل من نبرتها أنها تتهرب من السؤال لخصوصية ما تحمله في الحقيبة أو ربما لا تود أن تشاركه الإجابة، ولكن ما لا يعرفه أن الحقيبة تحمل «عزالها» بالفعل!

في البداية كانت لا تحتاج لكل هذه الحقيبة وكانت تكتفي بواحدة لا تتعدى شبرين تحملها على كتفها الأيمن وتضع فيها محفظة نقود عليها الحرف الأول من اسمها وهاتفها المحمول والسماعات وحلقة مفاتيح فضية ظل يحملها والدها حتى آخر أيامه.

بدأت منذ حوالي سنة تحشر في حقيبتها الصغيرة أشياء من المفترض أن تتركها في المنزل مثل قلم كحل و«ماسكارا» وزجاجة كُحل سائل، وكان مبررها أنها تقضي معظم يومها في الخارج ومن وقت لآخر ستغسل وجهها ويا ويلها إذا اضطُرت لمواجهة العالم بدون عيون كليوباترا كما

يطلق عليها أصدقاؤها. اختارت حقيبة أكبر عندما أضافت زجاجة مرطب لليدين وآخر للشفاه، وكان نفس المبرر الذي ترددده على مسامعها دائمًا ما يكون قائمًا على حساب دقيق للوقت الذي تقضيه خارج المنزل. كبرت الحقيبة الصغيرة كما يكبر جسم الجنين ليتسع لأعضاء أكثر تعقيدًا وأهمية لتأهيله للخروج من رحم الأم. أصبحت حقيبة الظهر الخضراء تحمل كل ما خف حمله وثقل اعتمادها عليه، فمعظم أشيائها قد تقع بسهولة تحت بند «طب افرضي غسلت وشي مش لازم فوطة أنشفه وبالمرة كمان فرشاة شعر.. بس ساعات شعري بيبقي أحلى لو سرحته بمشط.. وطبعًا يكون معايا «بودي سبلاش» لو خارجة الصبح أو «برفيوم» لو خارجة بالليل.. وأكيد لازم يكون معايا كتاب.. واللابتوب ده أساسي.. ده أغلى من عيالي!!» كانت تحشر أشياءها التي تحتاجها على مدار اليوم ظنًّا منها أنها تحب أن تبدو بمظهر جيد ومستعدة لأي حدث طارئ، ولكنها لم تكن تظن أنها لا إراديًّا تعد العدة للهروب!!

بدأت تتحرك بطريقة ميكانيكية لا حياة فيها حتى بدأت أول أغنيه ذات اللحن اللاتيني فارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها، وتسربت النوتات من أذنيها إلى رقبتها وكتفيها مرورًا بجسدها كله حتى أرجلها وخطواتها التي تدب على الأرض. في تلك اللحظة بدأت الألوان من حولها تذوب وتحول من حولها إلى عازفين وراقصين. اختارت خطواتها الطبول لتمشي على هداها فكانت تشاركها العزف بقدميها الصغيرتين لترسم بهما خطوطًا ودوائر بألوان الطيف فتبعث حياة من بعد حياة لأسفلت شارع البستان. تود لو أنَّ حِمْل ظهرها أخف لتتمرد على قواعد «العيب واللي مايصحش» وترقص علنًا في الشوارع غير عابئة بنظرات المارة من عيِّنة «إيه يا أخويا البت اللي وشها مكشوف دي»

مـرورًا بـ «بنـات آخـر زمـن» المصحوبـة بـضرب الكـف عـلى الكـف، ووقوفًا عنـد «هـي البنـات دي فـين أهاليهـا؟»

***

"It should have been me all along."

تتعجـب مـن ثقـة المغنيـة في نفسـها ومعاتبتهـا لحبيبهـا عـلى اختيـار غيرهـا، فهـي تؤمـن أنهـا كان يجـب أن تكـون اختيـاره الأول والأخـير بـدون منـازع. تتسـاءل في نفسـها عـما فعلتـه هـذه الفتـاة لحبيبهـا لتصـل لهـذا المسـتوى مـن الاسـتحقاق والثقـة في جدارتهـا بـه كحبيبـة. تتسـاءل عـما قدمتـه صاحبـة الصـوت الصـارخ ولم تقدمـه هـي في علاقتهـا. لقـد قدمـت الكثـير لسـنوات خمـس اسـتحلها «المرحـوم» (كـما أصبحـت تسـميه كي لا تنطـق اسـمه) عـلى نفسـه وسرقهـا منهـا بـكل أريحيـة واسـتحقاق وضمـير قابـع في مقـبرة الشـياطين.

«أنـا إزاي كنـت غبيـة كـده؟ إزاي ماعرفتـش أقـراه؟ إزاي ماحسـتش بخياناتـه؟»

بـدأت ضربـات قلبهـا في الاحتجـاج، ليـس مـن مجهـود المـشي ولكـن احتجاجًـا عـلى وخـزه ألم الذكريـات.

«إنتِ غبية!!! إزاي كنتِ كده!! أحسن. تستاهـ...»

I'm only human after all. I am only human after all, don't put" your blame on me."مـع الأغنيـة التاليـة وجـدت إجابتهـا التـي أراحـت قلبهـا مـن وخـزات حياتهـا الفائتـة. «أيـوة أنـا إنسـانة! أنـا مـش نبيـة ولا مـن الأوليـا، ماتحملونيـش ذنـوب أخطـائي وأخطـاء غـيري! صدقتـه زي مـا كلهـم صدقـوه! أنـا بعـترف بعـدم كـمال إنسـانيتي.. خَـلاص خِلصـت!!!»

تسـارع القلـب ولكـن بـدون وخـز هـذه المـرة. تسـارع في تصفيـق حـاد

لاعترافها بعدم استحقاقها لجلد ذاتها بعد ذلك اليوم. غنت بصوتٍ عالٍ فجأة وتخيلت نفسها تخلع عنها عباءة الضحية لترتدي عباءة الناجية، فقد نجت من براثن الشيطان وهي على بُعد خطوات من دخول عرينه.

***

"Once I was eleven years old, my daddy told me …"

تتذكر والدها الذي لم تنسه أبدًا منذ رحيله. تتذكر ملامحه التي ورثتها منه والنمش الذي استعارته منه ليغطي أعلى خديها وأنفها، وعينيه الصغيرتين وشكل حاجبيه غير المكتملين واستدارة وجهه. تعود بذاكرتها إلى تلك المرة التي سمعت فيها أحد الدعاة يصف ملامح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام وتتذكر أنها كانت كلما أغمضت عينيها لترسم وجهه وجدت صورة والدها مرسومة بوضوح. لم تتجرأ على البوح بهذا السر لأحد إلى يومنا هذا، ربما خوفًا من الهجوم المتطرف حتى على خيالها، أو ربما لأنها أرادت الاحتفاظ بحلقة الوصل هذه بين هاتين الشخصيتين الحبيبتين لنفسها!

«آاااااه يابا وحشتني قوي.» تتجمد خطواتها الراقصة لبرهة لاندهاشها من الاسم الذي أطلقته على والدها، فقد كانت تناديه «دادي» طوال حياته وحتى بعد وفاته، لكن مع مرور الوقت أصبحت لا إراديًّا تتكلم عنه وتقول «بابا» و«أبويا» و«بابايا» في حين أنها لم تكن تشعر بأي حنين أو تفاعل وتواصل معه عندما كانت تناديه «بابا» في حياته رغم سخرية البعض منها عندما يسمعون «دادي».

لا تذكر عدد المرات التي سخر منها أبناء وبنات العائلة من هذا الاسم وإنهاء سخريتهم بـ «يا بنتي عيشي عيشة أهلك.. إنتِ عاملة

فيها فافي كده ليه؟ ولا إكمنك مدارس لغات يعني؟!» شعرت بحنينها للألقاب الأخرى بعد وفاته وأحست بمدى عمقها وقربها لقلبها، وتمنت ألف مرة لو تراه فتناديه «بابا» و«بابايا» و«أبويا» وتحتضنه مرة أخيرة ثم تدعه يطير في السماء لجنته التي عمل من أجلها في دنياه. تتذكر تعليق أحد أصدقائها ذات مرة عندما قال: «بحب أسمع كلمة أبويا وبابايا من بُقك لما بتقوليهم»، اعتبرت تعليقه تعليقًا عابرًا وإقرارًا لكلمة عفوية خرجت منها ولم تعرها اهتمامًا أو تلقي لها بالًا لتُفسر سبب التغيير حتى تلك اللحظة.

***

"There was a time, I used to look into my father's eyes.

In a happy home, I was a king; I had a golden throne.

Those days are gone. Now the memories are on the wall."

اجتاحتها مشاعر الخوف من المجهول.. خوف بسبب عدم وجوده بجانبها. ترقرقت الدموع في مقلتيها ذوات الإطار الأسود وفهمت حينها ما عنته ماجدة الرومي «بالمطر الأسود» الذي «يتساقط زخات زخات» من عينيها..

"Don't you worry, don't you worry, child. See heaven's got a plan for you.

"كم تود أن تؤمن أن في مكان ما في السماء حَضَّر لها القدير خطة لها فيها خير لا تراه عيناها ولم يدركه عقلها إلى الآن ولكن الخير آتٍ آت.

تحسد ذوي الروحانيات على ثقتهم في المدبر.. تحسدهم وتتمنى لو يدلونها على الطريق أو يعطونها مصباحًا وخريطة لتهتدي وتجد

ضالتها ونصيبها من السلام الداخلي لتُسلم وتستسلم، ذلك التسليم الذي منبعه قوة وأرض صلبة وليس ضعفًا وتهاونًا. تريد أن تسلم له وتستسلم له وتقف على أرضه التي وقف عليها أنبياؤه في شدتهم فشدهم إليه شدًّا.

تيييييييييييييييييييت!

«إنتِ غبية ولا شاربة حاجة؟ ماتشيلوا بقى السماعات اللي في ودانكم دي وتركزوا في الطريق هتودنا في داهية الله يخرب بيوتكم!»

انتشلها صريخ وشتائم السائق الذي كاد أن يدهسها بينما كانت تعبر الشارع ولا ترى من الطريق إلا خطوات موسى عليه السلام في مصر فلربما خطت على خطوته فأشارت لها على الطريق المنشود. وقعت سماعاتها من أُذنيها أثر تلقيها ذبذبات صراخ السائق الغاضبة.

«أنا آسفة عندك حق أنا ماكنتش مركزة!» قالتها وأتبعتها «بطبطبة» خفيفة على صدرها لتريه صدق أسفها.

«حصل خير يا آنسة بس خلي بالك على نفسك وانتِ بتعدي الشارع بعد كده لو سمحتي.»

لا تدري ألانَ صوتهُ الغاضب لأنها لم ترد إليه الإساءة واعترفت بخطئها، أم لأنه رأى أمطارها السوداء فأشفق عليها؟ ربما للسببين معًا!

نظرت إلى ساعتها التي لم تشعر بعدد لفات عقاربها وأحست بألم كتفيها من حمل «عزالها» فقررت البحث عن أقرب محطة «مترو» لتنهي نزهتها الفكرية بأقل عدد خسائر جسدية ممكنة!

اكتشفت أنها كانت تمشي في دائرة كبيرة حول شارع البستان لمدة ساعة ونصف فوجدت محطة «أنور السادات» بدون الحاجة إلى سؤال المارة. نزلت إلى المحطة وهي ممسكة بسماعاتها في يدها وهي تقاوم

وضعهـما في أذنيهـا حتـى تطمـئن أنهـا في أمـان وإن شردت مـع أفكارهـا. نادتهـا «الليسـتة» حتـى نبـح صوتهـا فاستسـلمت بحـذر ووضعـت سـماعة واحـدة فقـط في أذنهـا اليمنـى لتـترك اليـسرى متصلـة بالعـالم الخارجـي.

لم تفكـر في شيء في رحلـة العـودة فقـد أرهقـت خلايـا مخهـا المنهـك في تحليـلات عميقـة وفتحـت صناديـق مغلقـة كانـت وجبـة شـهية للـتراب لسـنوات، فقـد تعلمـت صنـع الصناديـق لتخبـئ فيهـا كل الوحـوش التـي تعجـز عـن مواجهتهـا أو إزاحتهـا مـن طريقهـا. أتقنـت فـن الهـروب مـن المواجهـات الصادمـة «عشـان ماتزعلـش حـد» حتـى إنهـا هربـت مـن مواجهـات لا حـصر لهـا مـع أمهـا.

تطـورت اسـتراتيجيات هروبهـا مـن مواجهـات والدتهـا فكانـت تـارة «تطنـش» وتـارة «تطاطـي عشـان تريـح ماما» وتـارات أخـرى كانـت تعـزل نفسـها في حجرتهـا لبضـع سـاعات أو أيـام ثـم تذهـب إليهـا «تناغشـها» فيتصالحـان، ولكـن مؤخـرًا ثقُـل حِمـل الصناديـق ولم تعـد يداهـا قـادرة عـلى صنـع المزيـد، والأكـثر متانـة، فتمـردت، ولمـا تمـردت صرخـت، ولمـا صرخـت سـكتت ولم تسـكُن، ولمـا لم تسـكُن هربـت بخيالهـا وانعزالهـا وجسـدها فأصبحـت تهـرب وتهـرب وتهـرب وتتمنـى لـو أنهـا تضـل طريقهـا إلى الأبـد.

وصلـت إلى محطـة الأهـرام بمـصر الجديـدة ومنهـا إلى شـارعها حتـى وصلـت إلى البنايـة حيـث غرفتهـا وسريرهـا ومكتبهـا، وقفـت أمـام مدخـل البنايـة لتلتقـط أنفاسـها.

«أنا ممتنة ليك يا رب إني وصلت بسلام للبيـــ-»

“It’s like I’m living in a birdcage; I haven’t seen the sky for days.

Did I lose the key? Was it stolen from me?

All I know is that I want to be free from the birdcage."

يهرب زفيرها من رئتيها عندما تنظر للأعلى لترى نور الصالة المضيء يُعلن عن وجود أهل البيت، فتتسمر أمام مدخل البناية ويضيق نفسها ويثقُل «عزالها» فتنزله من على كتفيها.

وتتجمد في مكانها!

It's neither a fight nor a flight; it's a freeze – a brain freeze.

واحد.. هايبر..
الإنسان

صلاح عبد الله

وقف عوض في منتصف طابور الانتظار داخل موقف ميدان عبد المنعم رياض بوسط القاهرة، على الرصيف المخصص للذهاب إلى حي السادس من أكتوبر، لم يتململ من وقفته لا هو ولا ابنه الذي كان الفضول يكسو وجهه، فلم يكف عن مراقبة كل ما يحتشد به مشهد وسط العاصمة، وظل عوض يجيب عن تساؤلات ابنه التي كانت تارة سطحية بريئة وتارة فلسفية عميقة.. دوى صوت المنادي الذي اقترب وهو يصيح: «واحد هايبر.. واحد هايبر»، فنظر عوض إلى مقدمة الطابور البعيدة، ونظر لساعته فهو على ميعاد أسري في مدينة الشيخ زايد، ففكر أنه وإنجازًا للوقت يركب حتى موقف هايبر، الذي يقع على مشارف الشيخ زايد، فرد على المنادي: «أيوة يا ريس.. واحد هايبر!»

أجلس عوض ابنه على رجله لأن المكان لم يكن يتسع إلا لراكب واحد فقط، فكان لا بد أن يتأقلما مع الحال لكي يصلا إلى وجهتيهما سالمين.. وأول ما فعله هو السؤال عن الأجرة، فسمع همهمة من

الركاب المحيطين به ولكنه للأسف لم يتبين من الهمس المتداخل الرقم الصحيح لكي يدفع، فسأل السائق مباشرة: «بكم الأجرة لهايبر يا ريس؟» فرد عليه السائق بصوت مكتوم يتضح منه علامات المرض: «عشرة جنيه يا أستاذ»، أخرج النقود وأعطاها لمن تطوع بتجميع الأجرة، فقال له الأخير: «هكذا كل يوم يزيدون في التسعيرة كيفما شاؤوا».. اندهش عوض من التعليق ولم يعقب فهو نادرًا ما يسلك هذا الاتجاه، فروتينه اليومي على أطراف القاهرة من الجهة الأخرى تمامًا، سواء كان للعمل أو لنظام حياته المعتاد، لذا هو لا يعلم إن كانت الأجرة مستحقة أم بها مغالاة!

لما نظر للراكب بجواره كان قد فرغ من تجميع الأجرة من الركاب وأرسلها للسائق، فسأله: «ولماذا تقبلون جميعكم بهذا الاستغلال إن كان هذا المبلغ غير مستحق؟!» فرد عليه بنبرة الاستسلام ما معناه أنه وما العمل إن كنا مضطرين للذهاب والبديل غير متيسر.. هنا احتضن عوض ابنه ورفع صوته ليسمع السائق: «يا ريس إن أخذت أكثر من حقك فرد الباقي بالحسنى وخذ حقك فقط»، فقطب السائق حاجبيه وتنحى إلى جانب الطريق وأوقف السيارة، وهو يرد على عوض: «اسمع يا أستاذ، خليك في حالك أو تنزل هنا.»

فاغتاظ الركاب من السائق ومن هذا التحكم غير المبرر، إضافة إلى حنقهم البالغ منهم مبلغه تجاهه، فمرضه يجعله لا يحسن القيادة، ولجشعه يأخذ أكثر من حقه، ولسطوته ها هو يجبر من طالبه فقط بأخذ حقه أن يرضخ أو يخرج من السيارة ملومًا محسورًا.. فتعالت صيحات الغضب جميعها من الركاب، وفجأة إذا بالراكب بجوار السائق يسحب مفتاح التشغيل من السيارة ويعدو خارجها، فهب السائق من مكانه وجرى وراء الراكب وهو يصيح ويسب، لف الراكب حول

مؤخـرة السـيارة برشـاقة فتبعـه السـائق ببـطء، وحينـما وصـل الراكـب إلى مـكان بـاب السـائق، فتحـه في جـزء مـن الثانيـة ووضـع المفتـاح في مـكان التشـغيل..

فـأدار المحـرك وضغـط دواسـة الوقـود منطلقًـا بأقـصى سرعـة، فتهلـل الـركاب وشـكروا صنيعـه.

وسـألوه هـل أنـت متمكـن مـن القيـادة، فـرد قائـلًا وهـو يضحـك: «لسـت متأكـدًا.»

فساد الصمت وهم يراقبون سرعة السيارة التي تزداد.

فالسائق لم يرفع قدمه عن دواسة الوقود أبدًا.

فكانت آخر كلمة تردد صداها..

في أذن «عوض»..

واحد.. هايبر..

«تمت»

الأول

بقلم: فتوح خميس

الدراسة في الثانوي شيء والدراسة في الجامعة شيء آخر، هذا ما ردده حمزة لنفسه، كان دومًا ترتيبه الأول في الدراسة، ولكن إعدادي هندسة وأول سنة في الجامعة شيء مختلف.. لقد كان أول يوم في الجامعة من أسعد أيام حياته، ومع بدء الدراسة تكشفت أمامه حقيقة غابت عنه من قبل، إنه يشعر أنه لا يفهم أي شيء في معظم المواد الدراسية، إنه حتى لا يعلم مكان المحاضرات، فمحاضرة في قسم الهندسة المدنية، وأخرى في كلية علوم وثالثة في مبنى قسم العمارة، وهذه في ورش ميكانيكا.. رأى طالبًا مميز الشكل كان راسبًا من العام الماضي ورآه يمشي بثقة وكان معه في نفس القسم، ففكر حمزة أن يتبعه ليعرف من خلاله أماكن الدراسة، وكان أضحوكة بين زملائه فقد شعر الطالب بحمزة وفكرته، فتارة يصعد السلالم وأخرى يّهب به وحمزة يتبعه بخطوات إلى كلية التربية، وأخذ يراوغه حتى أتعب حمزة، ولم يعلم أن كثيرًا من زملائه كانو يراقبونه ويتندرون عليه، حتى أخبره عوض الذي تعرف عليه حمزة في أول محاضرة، وكانا جلوسًا بجانب بعضهما. ومضى

الأسبوع الأول وازدادت الأمور تعقيدًا.. وبعد الشهر الأول علم حمزة أنه كان يخدع نفسه، فهو أغبى بكثير من أغبى طالب قابله.. ثم جاءت المشكلة العظيمة التي كان يخاف منها ويتناساها، فأول امتحان تحدد ميعاده في الهندسة الوصفية يوم الأحد القادم، خرج من باب الكلية ولا يعلم إلى أين يسير.

وقف في الميدان أمام البوابة الرئيسية، إنه يسكن في الحمراء.. سيارة أجرة بخمسة عشر قرشًا، ينزل المحطة ويتخطى السكة الحديد ويتجه إلى اليمين ثم شارع الصليبة ويدخل خامس شارع يمين قبل نهايته منزل صلاح عبد الله، فهو يسكن هناك، وفكر حمزة ماذا يفعل في البيت؟ يا الله ماذا يفعل؟ حاول فهم أي شيء فلم يكن غير زيادة في عدم الفهم، زيادة في العصبية، هل تنتهي سنوات التفوق؟ نزل من على الرصيف وهو لا يدري وذهنه مشغول بأشياء رهيبة.. الأم.. الأب.. الأخ الكبير.. هل يرسب؟ سار خطوات بدون وعي، إنه يسمع أصواتًا من بعيد لايدري من أين.. حاول دخول المكتبة، أحضر العديد من المراجع، ذاكر ساعات وساعات، أمين المكتبة نبهه إلى الساعة فميعاد عمله انتهى ويجب أن ينصرف.. ساعده الرجل وأعطاه بعض الكتب لمذاكرتها في البيت، إنها في يده ولكن ماذا يفعل بها، فهو لا يدري عن أي شيء تتحدث هذه المادة.. رفع صوته: «ساعدني يا رب.. أين دعواتك يا أمي؟» ولكن أين مثابرتك وعزيمتك يا حمزة؟ فلتقرأ كل كلمة قالها الدكتور وكل مرجع يتحدث عن الوصفية.. أصوات عالية و.. اصطدام.. همهمة.. «إنه يتحرك».. «نذهب به إلى المستشفى».. وسمع السائق يصرخ بصوت عالٍ: «لقد كان يسير وهو لا ينظر وقطع الطريق أمامي فجأة، والله هذا ما حدث.. أرجوكم عندي أولاد وأنا سائق على هذه السيارة وإن حدث أي شيء فإن صاحبها سوف يطردني.. والله هو

المخطئ».. حاول حمزة الجلوس وتذكر أنه كان يسير وفجأة حاول عبور الميدان، إذًا فهو المخطئ، قال: «اذهب يا عم أنا المخطئ وأعتذر عن إضاعة وقتك».. قال أحد الرجال للسائق: «إذًا أوصله إلى سكنه أو المستشفى، لا يجب أن تنصرف هكذا»، فبادر حمزة: «لا اذهب إلى عملك، أنا بخير والحمد لله، هيا يا عم اذهب».. ودعا له السائق بأدعية كثيرة.. واخترق حمزة الجمع الغفير من الناس وأخذ يسير بسرعة من حرجه ودخل شارع الأربعين ومر بحلقة السمك ودخل السوق ولا يدري كيف ذهب أخيرًا إلى سكنه.. «الهندسة الوصفية.. الامتحان.. الدكتور حسان الشامي.. أمي.. أبي.. جدتي.. الأهل.. النجاح.. الفشل.. الرسوب.. آه.. يا ليتني كنت..» هذا ما كان يدور بذهنه.

صوت إمام المسجد في درس بين المغرب والعشاء: «إذا استعنت فاستعن بالله ومن يتوكل على الله فهو حسبه»، فكر حمزة: «ونعم بالله.. أنا أذاكر سواء فاهم أم لا، ولكن أذاكر مرة وأخرى ولن أيأس، سواء فهمت أم لا فلا يهم، المهم أن أبذل كل جهدي».. وكانت سهرة مع الكتب ومسميات غريبة.. هذا مسقط يانج وغيره مسقط أفقي وجانبي، وفهم بعضها وغاب عنه البعض.. وفي اليوم التالي فكر أن يسترشد ببعض الزملاء ولكن صديقه الوحيد الذي يعرفه عوض وهو مثله.. فكر في سامح، الكل يسأله وعلي السيد يحاوره، «يبدو أنهما يعرفان مايتحدثان عنه»، سألهما واحدًا تلو الآخر، منهم من هزئ به ومنهم من أولاه ظهره وآخر اعتذر لعدم وجود الوقت الكافي.. ومنهم من قالها صريحة، فهذا ياسر قال لحمزة: «أنا لا أذاكر مع الأغبياء» لا معين... لا مساعد، المعيد وقته مشغول بدراسته.. الأستاذ حسان لم يجده في مكتبه وذهب إليه مرات عدة ولكن الدكتور لديه محاضرات.. اليوم الثلاثاء والامتحان يوم الأحد القادم، والمواد كثيرة ويجب أن

يذاكر كل مادة وكل محاضرة وإلا ضاعت منه، فلا يجب أن يترك باقي المواد لفترة كبيرة وبالتأكيد سوف تأتي امتحاناتها هي الأخرى عما قريب.. اليأس لا وجود له، الإحباط يجب أن يرحل.. الذهن المشغول يجب أن يصفى.. الخوف من الرسوب يؤدي إلى الرسوب إن تركناه يرتع في عقولنا.. تذكر إذا استعنت فاستعن بالله. الزمن لا يتوقف ومرت الساعات كأنها لحظات، والأيام أكلت بعضها.. اليوم هو الأحد، الامتحان في الساعة العاشرة بعد انتهاء محاضرة الرسم.. وفي طريقه إلى المدرج رأى طلابًا في سنوات متقدمة، نظر إليهم بانبهار.. لقد نجحوا في السنوات السابقة، إنهم عباقرة بالتأكيد.. وحمد الله أن ليس معه أحد ممن كان يعرفه في الثانوي والسنوات السابقة، وحمد الله الذي ستر غباءه عن الآخرين.. ولكن في نهاية العام ماذا يفعل، هل يتمارض ويمتنع عن الامتحانات؟ دخل المدرج، استلم ورقة الأسئلة، بدأ الإجابة وإن كان لا يعلم ماذا يخط بيده ولكن فعل خطوطًا عرضية وطولية وملونة مثل ما كان يفعل أستاذه، ولكن أستاذه كان يقول عن كل خط يرسمه أسبابه ودواعيه أما هو فلا يدري.. ضاعت الآمال وتحطمت التخيلات والأحلام.. تذكر أمه وفرحتها بدخوله الهندسة، ولكن حاول واجتهد وفشل. خرج الجميع يتحدثون بصخب، فهذا يقول كذا وآخر يعارضه، وحمزة صامت كأنه قبر حزين.. كأم ثكلى مات ابنها ولم تره.. تناسى كل شيء، ولم يسأله أحد فهو غير معروف.. ورأى جمعًا فيه علي جمعة، ذلك النابغة، وسامح وعادل فريد وحسان محسن، حاول الاقتراب منهم ومنعه أنهم خذلوه كغيرهم.. نظر إلى الناحية الأخرى رأى سناء، إنها حقًا طالبة مجتهدة وحولها لفيف من زميلاتها، فكر أن يذهب إليها فهو لم يسألها من قبل وتردد.. جاءه عوض وقف بجواره ولم يحاول أحدهما سؤال الآخر، الطلاب يسألون بعضهم ويجيبون

وابتسامة ثقة على وجوههم.. اقترح عوض الذهاب إلى المطعم لتناول الغداء، وذهبا.. وهناك كان أيضًا بعض زملائهم يتحدثون ويبدو أن الجميع أجاب والجميع ضمنوا النجاح، ما عدا حمزة وصاحبه فقد كان عليهما وجوم وحزن رهيب، وكان حمزة الأكثر حزنًا والأقل أكلًا.

ما هذا يا حمزة، من يصدق أنك صاحب المراكز الأولى في سنواتك الدراسية السابقة

واليوم جل ما تخاف منه أن تكون أنت الراسب الوحيد؟ ذهبت المفاخر، نعم، فلا ينال المفاخر من رضي بالصف الآخر.. هل هذا حلم أو كابوس؟ تتمنى رسوب زملائك حتى يكون لك قرناء في غبائك! ومر الأسبوع في المحاضرات ومذاكرة.. وجاء الأحد، وفي العاشرة تمامًا دخل الأستاذ الشامي.. ولكن ما هذا الوجوم على وجهه، فهو دائمًا بشوش.. وصمت الجميع وتخوف الطلاب، وبعد أن نظر إليهم نظرة كلها عتاب قال: «ما هذا؟.. هل كان الامتحان صعبًا جدًّا؟» فكر حمزة: «معنى كلام الأستاذ أن الراسبين كثيرون فلن أكون وحدي».. والإنسان يواسيه اشتراك آخرين معه في الهم.. وخفف ذلك عن حمزة وسرى عنه.

وواصل الأستاذ: «أكثر من خمسمائة طالب وطالبة، هل تعلمون كم منهم رسب؟» صمت الجميع.. «دعنا من الراسبين.. كم منهم نجح؟ ولا حتى نصفهم ينجح!!! هنا بدأ وجه حمزة تبدو عليه سيماء الفرحة والسرور.. «لم أكن وحدي يا أبي.. لي شركاء يا أمي.. لا تحزن يا أخي.. هناك بادرة أمل».. قال الدكتور: «ما كنت تكلمت ولا حزنت إن كان الناجحون منكم مائة.. ضحك حمزة وكان في مجلسه بآخر المدرج ومعه عوض، ضحك بصوت مرتفع سمعه من كانوا في الصف الذي يسبقه.. نظروا إليه باستغراب، قال همسًا: «لست وحدي غبيًّا فلي

في الغباء نظراء».. قال الدكتور: «ولا حتى عشرة طلاب؟؟؟ فقط واحد ينجح والجميع أقل من خمسة من عشرة.. فقط طالب واحد فقط درجته ثمانية من عشرة!» ساعتها لم يتمالك حمزة فرحته، إذا واحد فقط من العباقرة الذين رفضوه، واحد فقط نجح وباقي العباقرة مثله، فقد يكون سامح مثل حمزة، أو حتى هذا الذي لا يذاكر مع الأغبياء، هذا العبقري ياسر قد يكون راسبًا مثل صاحبنا حمزة.. ولكن كان حمزة متخوفًا من نجاح سناء، فبالرغم من عدم تعامله معها ولم توجه له أي إهانة، ولكنه بطبعه رافض ويجده من العيب أن تكون هي الوحيدة التي تنجح، فأين الرجال إذًا.. قد يُغضب هذا الفكر البعض ولكن هكذا كان فكر حمزة.

همهمة وهمس والكل يتحدث مع الكل.. وكاد حمزة يضحك ونطق وجهه بالبشر.

«الحمد لله لست وحدي، فأنا لست غبيًّا كما كنت أظن والأمل ما زال قائمًا، ولكن قد يكونون جميعًا أربعة أو خمسة أو ثلاثة من عشرة، أما أنا فكم أخذت؟ يا رب يكون أكثر من صفر، يا رب حتى واحدًا أو اثنين.. يا الله إن أحرزت أربعة من عشرة.. سامح وعلي السيد وياسر والآخرون هناك أحدهم فقط هو الناجح، أما الباقون فمثلي فعلامَ الهم إذًا؟» وارتفع صوت الأستاذ مرة أخرى وهو يمسك بورقة في يده: «هذه هي إجابة زميلكم الناجح، هذه السنة الأولى له، فلم يدرس هذه المادة من قبل.. من هو هذا الطالب؟» ونظر الجميع إلى ياسر الذي أخذ يتحرك في مكانه، ثم عاودوا النظر إلى سامح، سأل علي السيد: «من هو يا دكتور؟» نظر الدكتور في الورقة ثم أعاد النظر إلى علي السيد ونظر إلى الجميع وقال: «حمزة السيد خلف».. وصمت الجميع.. كررها الدكتور، وكان حمزة وعوض ينظران

في انتظار رؤية هذا الطالب الذي ذكره الدكتور، وكرر الدكتور: «أين حمزة؟ فليخرج إلى هنا»، فنظر عوض إلى حمزة وقال: «إنه أنت يا حمزة، أنت الذي نجحت»، قال حمزة: «لا لست أنا بالتأكيد، وأرجوك لا أحب هذا النوع من المزاح، فأنا لست ذكيًّا، نعم، ولكن لا أحب أن يسخر مني أحد»، قال عوض وهو يضغط على الحروف: «لا والله إنه أنت»، همس حمزة باستغراب: «ماذا!!! هل ذكر اسمي؟ هل أنا الوحيد الذي نجح؟» كرر الدكتور الاسم: «وحمزة لو سمحت فليقف».. «لا يمكن.. قد يكون حمزة آخر، ولكن لا يوجد آخر غيري بهذا الاسم».. «شيء غريب، هل حمزة غائب؟» صوت الدكتور، «أين هو؟» وقف على استحياء.. نظر إليه الجميع.. قال الدكتور: «تعالى يا حمزة»، وكان حمزة في آخر المدرج كعادته منذ الصف الثاني الابتدائي حيث يجلس في آخر الصف.. نزل حمزة والكل ينظر إليه باستغراب شديد وفضول عظيم، نزل ومع كل سلمة تنزل من عينيه الدموع، ووجهه يكاد يلامس الأرض وهو يتعثر في خطواته وفي دموعه، ومر بناظريه جميع ما حدث معه، رأى أمين المكتبة والأستاذة أمينة أمينة المكتبة حين أحضرت له بعض أكلها لتأخره في المكتبة يوم الخميس وعدم ذهابه للغداء، وكيف أعطته هي والأستاذ أيمن كتابًا غير مصرح بخروجه من المكتبة وقالا له: «هذا الكتاب من نسختين واحدة مع الدكتور وهي مرجعه الأساسي وخذ هذه على مسؤوليتنا وأحضرها السبت»، تذكر زميله في السكن حسين السيد من دكران وكيف كان يقوم بطلباته ويطعمه ويشجعه ويعد له الشاي، تذكر الأم والأب والأخ والأخوات، بكى حينما سمع صوت التصفيق من الدكتور الشافعي وهو يخطو إليه ليستقبله، بكى من تصفيق باقي زملائه الذين صفقوا له إما تقديرًا أو كما فعل الدكتور. ثم حدث ما لم يكن في الحسبان،

خـاف حمـزة أن يكـون هنـاك خطـأ، خـشي كثـيرًا حينـما أمسـك الدكتـور بورقـة الإجابـة وقـال: «فلننظـر مـاذا كانـت إجابـة حمـزة وكيف فعـل!»الآن سـتكون الفضيحـة، سيكتشـف خطئـي.. وسـتكون فضيحتـي عظيمـة.. ولكن كانـت رحمـة اللـه بصاحبنـا كبـيرة، فقـد نظـر الدكتـور في إجابتـه وقـال: «هكـذا فعـل ومـا فعلـه صحيـح، هـذا المسـقط تمـام، وهنـا خـط متقطـع وهـو مفتـاح الإجابـة، وبذلـك أجـاد حمـزة»، سـاعتها فقـط عـادت الدمـاء لوجـه حمـزة. وبعـد المحـاضرة التـف حولـه الزمـلاء، وخاطبـه يـاسر باحترام، واعتـذر عـلي السـيد، ونسـخوا ورقـة إجابتـه، و.. إنـه الآن رقـم واحـد.

ربما نلتقي!

بقلم: سوسن رضوان «وصيفة الرضوان»

أخذ يعد العدة للقاء بها، حاول كثيرًا من قبل، ظل يراقبها، أحيانًا لا يجد بدًا من اللقاء بها، فكلما ذهب إلى مكان يستغرب من كثرة الأحاديث عنها وسؤاله:

«ولماذا لم تلتق بها حتى الآن؟» اتصَل بها كثيرًا، ولكنها في كل مرة كانت تسخر منه ولا تريد لقاءه، تقول له:

«إنك أهملتني واستطعت العيش بدوني كثيرًا، فماذا تريد مني الآن؟» وهو يقول لها:

«دعينا نحاول، ألا يكفيك هذا البعد عني، فكيف ونحن توءم ولا نلتقي؟!» وأخذا يكيلان الاتهامات بعضهما لبعض حتى رضيت عنه قليلًا ووافقت على لقائه.. صنع لها كوبًا من القهوة باللبن، فأكيد هي الأخرى تحبها.. استعد للقائها.. ولكن، كيف يلتقيها وقد حالت بينهما الظروف؟ لا يدري..

كان يعرف أنها موجودة ولكنه لم يحاول لقاءها، ربما هي أيضًا كانت تعرف فهل تهربت منه أيضًا؟ فلماذا؟! ربما لوجهه العابس،

لتوتره المستمر، ولكنها لم تعرف كم عانى في حياته، ربما هو لا يريد أن يعكس عليها هذه المعاناة.. ولكن هي، لماذا لم تحاول الالتقاء به، هل أحست أنه سيكبلها ويضايقها بمخاوفه؟!

دق الباب..

وجدها كما هي، غرة بسيطة، عيناها حياة أخرى غير الحياة التي يعيشها.. ولكن كيف وجدته؟ دائمًا ما يشعر أن لا أحد يستمع إليه، ربما لسطوته الشديدة التي يداري بها رهافة مشاعره.. لم يجد بدًّا أن يأخذها بين ذراعيه، وهي لم تمانع أبدًا، فإنها منه رغم عدم اللقاء، أحس براحة لم يشعر بها من قبل، أراد أن يظل هكذا دائمًا تحتويه وتضمه ولا تفلته أبدًا؛ ولكن خوفًا من أن يضايقها لف ذراعه حولها مرافقًا لها إلى المكان الذي تفنن في إعداده ليليق باستقباله لها لأول مرة.. لم يستطيعا الحديث طويلًا، فهو لكونه رجلًا لا يريد حديثًا طويلًا وإنما إشارات أو كلام موجز يُفهم منه ما يريد.. ولكنها أكيد تريد منه شرحًا وتفصيلًا كيف استطاع البعد عنها، كيف لم يشعر بمسؤوليته تجاهها ولِمَ.. أحس كل منهما بحيرة الآخر، قالا معًا:

- دعك مما يقال عن الرجل، وما يقال عن المرأة، ونتذكر فقط أننا نوءم ويجب أن نصل إلى وسيلة للتفاهم بعضنا مع بعض.

أمَّن كل منهما على كلام الآخر.. لم تنسَ أن تبدي إعجابها بطعم القهوة باللبن التي لم تذق طعمًا مثلها، لأنها أحست فيها بطعم الحنين والاشتياق، أحست بمذاق يتغلل روحها ويلتصق بين مسامها ويطغى على أي مذاقات أخرى.. أعجبه ذلك، وأنها لا تفعل مثل الكثيرين الذين يظنون أن ما يُفعل من أجلهم أصبح حقًّا واجبًا ومكتسبًا، أو عندما يطلبون منك طلبًا يكون بلهجة آمرة ويستغربون عندما لا تبدي لهم ترحيبك واستعدادك لفعل ما يطلبون.

هز رأسه قليلًا:

«هل هذا وقت ما أفكر فيه؟

يجب أن أكون هنا الآن مع هذه الحلوة التي غفلت عنها طويلًا، هي في نفس عمري ولكن من يراها يظن أنها تصغرني بكثير من الأعوام، لم أدرِ أأفرح لأنني لم ألتقيها من زمن لتظل على حالها المبهجة والرائقة هذه، أم أحزن فربما أصابني بعض نزقها لأخرج عن طور الشيخ الوقور الذي يخاف من كل شيء ويحرص على أن يبدو بصورة الرجل المثالي في كل شيء في حين يجده يفكر فيما يفعله الآخرون، ويقول ماذا لو فعلت مثلهم؟!»

«ألا تنتهي من شرودك هذا؟!» أفاق على صوتها وهي تقول:

«يجب أن أمضي الآن»، حاول معها أن تجلس قليلًا ولكنه لم يلح حتى لا تتضايق.

وندم على أن اللقاء لم يكن على الأقل منذ أن بلغ الحلم، أو قبل ذلك بقليل، وتمنى لو لم تضطرهما الظروف للعيش بعيدًا عن بعضهما، وهو يضحك داخله من كلمة الظروف هذه، فهي الشماعة التي يعلق عليها كل إنسان تخاذله وتهاونه وتقصيره.. ودعها موصلًا لها إلى الباب بعد أن اتفقا على أن تأتي للعيش معه بعد أن اقتنعت بكلامه، وندمه على مفارقتها وقال لها:

«لن تندمي أبدًا يا نفس إذا جئت للعيش معي»، وأخذها بين ذراعيه مرة أخرى، وأحس أنه امتزج معها ولم يدرِ أرحلت لتأتي أم ظلت باقية..؟!

قلب الأمل

بقلم: حنان محمد

جلست نجوى على كرسي مقابل للنهر وأخرجت من حقيبتها ظرفًا أبيض ونظرت إليه بحزن شديد وقد سقطت دمعة حارة خرجت من مقلتيها دون إرادتها.

تذكرت كيف غادرت منزلها ذلك الصباح وهي عازمة على ألَّا تعود إلى الحياة مرة أخرى.

وومضات من ذكرياتها وكيف وصل بها الحال لتلك اللحظة أمام النهر.

- الجو رائع اليوم.

انتفضت لسماعها ذلك الصوت ونظرت في حيرة.

وصوت تساؤل يعلو في عقلها حتى نطقه لسانها:

- هل أنت حقيقي؟

- ولماذا لا أكون كذلك؟!

ألجم عقلها السؤال. فقد كان ذلك محمود حبيبها الأول والأخير

الـذي اختفـى في ظـروف مجهولـة لا يعلمهـا أحـد بعـد التخـرج مـن الجامعـة، وقـد تـردد بعدهـا أنـه قـد مـات في حادثـة.

لم يقـوَ لسـانها عـلى الـرد بأنـه ميـت. فكيـف يتقبـل عقلهـا رؤيـة الأرواح، وهـل الأرواح تُـرى أصـلًا وهـي في بعـد غريـب عـن عالمنـا الأرضي المـادي؟ وهـل عزمهـا عـلى إنهـاء حياتهـا سـمح لهـا برؤيـة روح محمـود في تلـك اللحظـة؟

– هل هذا الغطاء الذي يكشف عن البصر.. هل مُتُّ؟!

أفزعها السؤال الأخير وارتعبت حين رد عليها محمود:

– لا لم تمـوتي بعـد، وأنـا أيضًـا لم أمـت، ولكنـي لسـت بحـي أيضًـا، ولكنـي لا أريـد أنـا أمـوت..

وكيف هذا يحتاج إلى شرح طويل، ولكن الموضوع الأهم هو أنتِ.

لما تريدين الانتحار؟

وهل هو الحل فعلًا لكل ما تمرين به؟

ارتعبـت أكـثر حينـما سـألها، وكيـف لـه أن يعـرف مـاذا تفكـر بـه، وكيـف لـه أن يـردد أفـكار عقلهـا وينطقهـا هـو وهـي لم تبـح بهـا لأحـد؟!

والأهـم مـن ذلـك، مـا هـو، وكيـف ظهـر لهـا إن لم يكـن حيًّـا؟ وانتفضت فزعـة بعـد ذلـك التسـاؤل الأخـير وعلامـات رعـب باديـة عـلى وجههـا، وانطلـق لسـانها يـردد آيـات مـن القـرآن الكريـم وهـي تبتعـد بخطـوات كبـيرة إلى الخلـف ومـا زالـت تحـدق في ذلـك الكـرسي.

وأطلقت صرخة عالية حينما احتضنتها ذراع من الخلف.

– لا تخـافي، هـذه أنـا سوسـن أختـك، لقـد كنـت أبحـث عنـك طـوال اليـوم والحمـد للـه أني وجدتـك.»

التفتت إليها نجوى ودفنت نفسها في حضن سوسن وأجهشت بالبكاء.

لم تسألها سوسن ماذا بها، فقط ربتت على رأسها في حنان فائق واحتضنتها في رقة حتى توقفت نجوى تمامًا عن البكاء.

وانطلقتا عائدتين في صمت إلى المنزل. في تلك الليلة لم تنم نجوى وظلت تفكر في محمود وكيف أنه لا ميت ولا حي. ومع بزوغ الفجر قررت أنها سوف تبحث عنه، وكأنما وجدت سببًا جديدًا للحياة.

وفي الصباح الباكر انطلقت في رحلة للبحث عن محمود وزارت كل الأماكن التي كانا يجتمعان فيها حتى انتصف النهار، وتساءلت بداخلها: «عن ماذا تبحث فعليًا؟ أَعَن محمود أم عن سبب للعيش وللحياة؟

ولماذا أعيش حتى لو وجدت محمود؟» فلا يوجد أي سبب يجعلها ترغب بمتابعة الحياة بعد أن أصابها الاكتئاب بعد حادثة عنيفة مات فيها والداها أمام عينيها.

فقد فقدت السند والأمان والحماية والحنان، وفقدت كل معاني العيش بعدها. ولم يبقَ لها غير أختها التي سوف تتزوج وتهاجر مع زوجها بعد أشهر قليلة. أحست بشعور الوحدة يعتصر قلبها باردًا كالثلج، وأنها أصبحت خاوية من كل أشكال الحياة من الداخل، وأن أنفاسها أصبحت ثقيلة تأبى أن تدخل رئتيها، وجلست على أقرب درج قابلها وانطلقت في نوبة بكاء عنيفة.

– لا تبكي، هناك أكثر من سبب يدفعك للعيش وللحياة.

توقفت عن البكاء ورفعت رأسها بسرعة لترى محمود جالسًا بجوارها وعلى وجهه ابتسامة تبعث الطمأنينة والراحة. سرى شعور دافئ في داخلها أحست معه بالأمل والطمأنينة.

– أين أنتَ؟ ولماذا تظهر عندما أفقد الرغبة في الحياة؟

ابتسم لها مرة أخرى وأمسك بيديها وقال:

– أنا وأنت واحد! أنتِ تعيشين بي وأنا أعيش بك.

– لا أفهم هذه الألغاز! هل أنت شبح؟ أأصبحتُ أرى الأشباح، أم أني أتوهم وأبحث عن أسباب واهية للحياة؟

– أنت لا تتوهمين.. أنا موجود بداخلك مع كل نبضة ومع كل شهيق تأخذينه أحيا وأعيش معك.

أنا وأنت واحد! - كرَّرها وعلى وجهه نظرة جادة.

نظرت إليه وكأنها في حلم وأصبح عقلها مشتتًا ولم تنطق بأي كلمة.

جلسا هكذا لبرهة من الزمن حتى قالت نجوى وهي ترتجف واضعة يدها على صدرها قابضه على قلبها:

– هل تقصد أن قلبك ينبض بداخلي؟

ابتسم لها وقال:

أنا معكِ دائمًا ولم أفارقك. وسأبقى معك للأبد. وستجديني بجوارك دائمًا أمدك بالقوة والأمل. أنا لم أمت، أنا حي بداخلك وأنت تعيشين معي. نحن شيء واحد. وحبنا ما زال ينبض طالما بداخلك قلب ينبض.

– ولكن كيف يا محمود؟ كيف حدث ذلك؟ وانهمر الدمع من عينيها كالشلال.

وانطلقت بعدها تسابق السيارات والمارة حتى وصلت إلى المشفى الذي كانت تُعالَج فيه وقابلت الدكتور عادل المسؤول عن عمليات الزراعة والمتبرعين.

وباغتته بالسؤال حين رأته:

- أريد أن أعرف من صاحب قلبي؟

- أهلًا يا نجوى، كيف حالك وكيف حال أختك وتحضيرات العرس؟

- آسفة يا دكتور عادل. أنا بخير وأختي أيضًا. أُغرقت عيناها بالدموع وهي تقول:

- أرجوك أخبرني عن اسم المتبرع.

هدأها واصطحبها إلى مكتبه.

وتساءل عن سبب رغبتها في المعرفة، وهي تعلم تمامًا سياسة المستشفى وحماية الخصوصيه للمتبرعين.

وأخبرته عن ما يحدث لها وعن رؤيتها لمحمود.

لم يستطع الدكتور عادل إلا أن يحولها إلى العيادة النفسية، وقال لها: «يحدث غالبًا أن تنتقل ذاكرة العضو المزروع إلى الشخص المتلقي، ولكني لا أستطيع أن أخبرك بهوية المتبرع. هناك برامج نفسية للتعامل مع ما تختبرينه.»

شكرته وغادرت المشفى وفي طريقها إلى المنزل تذكرت والدة محمود، السيدة رحمة، وقررت أن تذهب لزيارتها.

وصلت إلى منزل محمود ورأته واقفًا عند مدخل المنزل مبتسمًا واختفى بعدها.

صعدت درجات السلم القليلة وقلبها يركض داخل صدرها، حتى وصلت أمام باب المنزل.

ترددت كثيرًا في طرق الباب، وهي لا تعلم كيف ستتحدث مع والدته، وإذا كانت أصلًا على قيد الحياة.

ولم تكمل جملتها في عقلها حتى فتحت الباب سيدة تخطت العقد السادس من العمر بشوشة المحيا سمحة الطلعة.

– أهلا بكِ يا نجوى. لقد مر زمن منذ أن رأيتك مع محمود. تفضلي.

ترددت نجوى وهي تدخل إلى المنزل وظلت بداخلها تتساءل، ماذا سوف تقول لها؟ وماذا تفعل هي الآن؟ وأما تفعله صائب أم خاطئ؟

أجلستها على كرسي مواجه لنافذة تطل على حديقة جميلة ينتصفها حوض من الورود الجميلة.

محمود الله يرحمه هو من قام بزراعتها. ويعتني بها الآن جارنا.

نظرت إليها نجوى وقد أُغرقت عيناها بالدموع وفي عينها سؤال واحد: متى؟

– منذ خمس سنوات بعد التخرج بشهرين وحينما كنتِ في المشفى، حادث سيارة.

وضعت نجوى يدها على قلبها لا شعوريًّا.

وأكملت والدته:

– عثرنا حينها في جيب سترته على وصية كأنه كان يشعر. ذكر فيها رغبته بالتبرع بالأعضاء ولك بقلبه.

وهي تنظر إلى موضع يد نجوى على قلبها.

انهارت نجوى بالبكاء واحتضنتها السيدة رحمة حتى نامت.

فركت نجوى عينها وهي تفتحهما في كسل وقالت: «لم أنم بهذا العمق منذ زمن يا سوسن.»

ثم قفزت على حافة السرير وعيناها متسعتان وهي تتساءل:

- أين أنا؟

وهي تحملق في الصور على جدران الغرفة. قفزت من السرير وأسرعت نحو الباب لتفتحه في عجالة وتخرج مندفعة من الغرفة لتجد نفسها في صالة منزل محمود وأصوات أذان الفجر تأتي من النافذة.

الصلاة خير من النوم.

لتجد السيدة رحمة جالسة على الكرسي تصلي. اقتربت منها في صمت وجسلت حتى أنهت السيدة رحمة صلاتها.

- تقبل الله.

- منا ومنكم يا نجوى. كيف أصبحتِ الآن؟ لقد نمتِ بعمق كأنك لم تذوقي النوم منذ سنوات مضت.

هيا بنا سوف أصنع لك الفطور، قالتها وهي تتوجه إلى المطبخ وتبعتها نجوى.

وتناولتا طعام الإفطار معًا في شرفة المنزل المطلة على الحديقة وهما تستمعان إلى تغريد الطيور في الصباح.

انتهتا من تناول الطعام وقالت السيدة رحمة:

- هاتِ ما عندك يا نجوى، أفرغي ما في عقلك من تساؤلات..

- من أين لك تلك القوة؟

- أنا لست بقوية ولا أدعي ذلك، وأفتقد وجوده في كل لحظة ووقت، وأشتاق إلى ابتسامته وصوته.. وهل في ضعفي عودة لمحمود أو تغيير لواقع مكتوب؟

ولكن وقتي لم يحن بعد، وطالما في عمري بقية سوف أقضيه في مساعدة من يريد وإفادة غيري، وأزرع خيرًا لمحمود يذهب له في

عالمه ويرقيه درجات. والموت ليس نهاية المطاف، هناك عالم لا نعلم عنه أي شيء ويعلمه الله فقط. تطل علينا منه روحه كلما اشتقنا إليه. هو لم يمت وليس بحي.

فقلبه يعيش بداخلك وينبض، وروحه جزء منها فيكِ وفي آخرين.

سكتت نجوى لبرهة وهي تتأمل الحديقة ورأت محمود واقفًا في منتصفها مبتسم الوجه.

ابتسمت بداخلها وأحست بشيء من التغيير في مشاعرها للأفضل، ثم قالت:

– هل أستطيع زيارتك؟

– هو منزلك يا نجوى، في أي وقت تريدين تستطيعين أن تأتي.

أحست نجوى بالأمل من جديد وأن رغبتها في الحياة قد عادت، وعزمت في تلك اللحظة على تغيير حياتها للأفضل، ونوت أن تستمتع بكل لحظة في حياتها، وأن تنظر لكل ما يقابلها من أحزان أو مشاكل بصبر وحكمة.

إطلالة

وقلبًا مسه الشوق فذاب

نهاد محمود بدر الدين

وأؤمن أن شباكًا كان في وطني
يناديني ويعرفني،
ويحميني من الأمطار والزمن.

محمود درويش

العباسية موطئ البدايات ومحَل الهناءة الأولى حين أزمنة لم تتهجى بعد أبجدية الحياة، تتقاطر أمام عيني ذكريات هي للفوتوجرافيا أقرب، تعيد ترتيب مشاهد يختزنها الوعي سنوات.

منزل صغير من ثلاثة طوابق من طراز الباروك بنوافذه العالية وشرفاته الفسيحة وتفاصيل نقوشه الجصية البديعة، مؤطرًا بحديقة صغيرة تنفث للعابرين مويجات من عبير الياسمين، الريحان، ومسك الليل.. قد يبدو للوهلة الأولى مُنْبَتَّ الصلة عن عمارة ما بعد الحداثة

المحيطة به ولكنه للغرابة كان يتناغم معها في هدوء أُرجعه لغلبة روح الوداعة وهناءة البال على المصريين حتى ذلك الوقت.

تطل واجهة المنزل على الباب الخلفي لمستشفى دار الشفاء حيث يقف الأحبة منتحبين في انتظار خروج ذويهم للمرة الأخيرة، وللمفارقة في نفس الشارع على بعد خطوات يوجد محل كوافير شهير تخرج منه يوميًّا زفة عروس، في متوالية تشبه حديث الصباح والمساء عند نجيب محفوظ.. ولكن في الواقع كان للفقد والألم الصباح حيث الحضور والهيمنة الأقوى وللفرح لحظات غروبيه تأتي سريعًا وتختفي أسرع.

في الطابق الأخير مواجهًا لشرفة منزلنا يقطن رجل وسيدة يبدوان من هيئتهما أنهما في العقد السادس، لا أراهما إلا بمفردهما أغلب أيام السنة.. تبدأ السيدة يومها بفتح نوافذ البيت وسقي حديقتها الصغيرة في الشرفة ذات الواجهة الشرقية، أتابع دخولها المطبخ تعد الإفطار لتتناوله مع زوجها في الشرفة البحرية في طقس يومي يتبادلان فيه قراءة الجرائد وحوارًا يبدو ممتدًّا منذ سنوات.. للأصيل البلكون الشرقية حيث نسيم الصبا محملًا برائحة أزاهيراها المصفوفة والمشذبة بعناية.. للمساء الجلوس في صالون المنزل أمام تلفيزيون صغير يبدو من ظلال الشاشة على الحائط أنه أبيض وأسود. لا أرى السيدة في أي لحظة جلوس إلا وهي تغزل بقطبي التريكو شيلانًا، كنزات وأردية صوفية كلما أنهت واحدًا بدأت آخر وكأنها تعد إرثًا من دفء لأيام سوف يطال البرد فيها الروح وحنايا القلوب.

أيامًا معدودات في السنة يتغير إيقاع اليوم، تدب الحياة في المنزل الساكن بعودة الأبناء من السفر.. لأيام تسبق عودتهم تنشط سيدة المنزل، تعيد ترتيب البيت وغسل الستائر، لا تتوقف عن إعداد

الأطعمة، تصل رائحتها الحنونة حتى شرفتنا، أو هكذا خِلْت فلعلها ذاكرتي التي تستدعي بالرائحة تفاصيل أيام ولحيظات بهية مختزنة في ثنايا الروح.. تنقضي أيام إجازة أولادهما سريعًا، يخفت صخب الأطفال المرح ويعود الإيقاع الصامت وتعاود السيدة غزل صوفها.

عند عودتنا بعد عام من سفر، شيء ما قد تغير، تبدو إضاءة المنزل خافتة بالرغم من النوافذ المشرعة، ألمح الرجل وقد ازداد انحناء ظهره وتثاقلت خطواته يكرر نفس طقوس الصباح كمن يتلو وِردًا، فقدت حديقة الشرفة جُلَّ نباتاتها، يروي الزرع ولا يبدو يرتوي، يجلس للإفطار في الشرفة، تتحرك شفتاه بحديث للمقعد الخاوي أمامه، حديث يوصل ما انقطع.

بعد سنوات من انتقالنا لحي مصر الجديدة أعود مع والدتي في زيارة للجيران القدامى، تتعلق عيني بالمنزل الموصدة نوافذه، لأفول الحياة، عزف شفيف لا يُخطئ القلب تلقيه.. بعد سنوات أخرى يختفي المنزل مفسحًا المجال لأيام مغايرة..

فاعل خير

بقلم: نانيس عرفات

كان المهندس عبد الرحمن مدير عام الشركة الكبرى يسافر بصفة دورية من مركز الإدارة في أقصى الجنوب إلى الفرع الرئيسي في أقصى شمال البلاد. هبطت الطائرة في مطار المدينة في ليل عاصف وممطر من ليالي الشتاء القاسية. كان الاستقبال هذه المرة باردًا مظلمًا في وقت تتمدد فيه ساعات الليل على حساب النهار الذي لا تتذكر وجوده إلا إذا نفذت أشعة الشمس خلسة من بين السحب الكثيفة السوداء ليذكرك بأنه لا يزال حيا. وفي المطار تقدم إليه السائق، حمل حقائبه:

- حمد الله على السلامة يا باشمهندس.

ابتسم عبد الرحمن ومد يده ليصافح السائق.

- الله يسلمك. كابتن الطائرة أعلن إن النوة لسة بادية، أخبار الطريق إيه؟

- الطريق على الكورنيش لم يغلق بعد، لكن الرياح قوية وموج البحر في ارتفاع.

- دي آخر مرة أنزل فيها إسكندرية، مش معقول وقف الحال ده!

الأجانب وصلوا؟

- أيوه استقبلتهم ووصلتهم الفندق النهارده الظهر.

استقل عبد الرحمن السيارة مع السائق ليتوجها إلى الفندق. سلك السائق كل الطرق والدروب البديلة ليتمكن من الوصول إلى الفندق بصعوبة بالغة.

وما إن دخل عبد الرحمن غرفته التي اختارها بعناية في أعلى دور بالفندق لتطل على اللسان المائي الممتد داخل اليابسة، حتى فتح زجاج غرفته البانورامي ليراقب الأمواج العالية التي تدفعها الرياح لتغرق الشوراع وترتطم بالبنايات وتدخل البيوت وتشل حركة المرور تمامًا.

سحب هاتفه من جيبه واتصل بزوجته ليطمئنها على وصوله.

- آمال، أنا وصلت الحمد لله، الطريق كان شبه واقف ودلوقت حركة المرور توقفت كلية.

- طيب وحترجع إمتى؟

- مش قبل ثلاثة أيام حتى تهدأ العاصفة. دي آخر مرة أنزل فيها إسكندرية.

- ابقى طمني عليك دايمًا ولو قدرت ترجع بالقطر يبقى أفضل، علشان تحضر مباراة التايكوندو بتاعة ابنك تامر كمان ثلاثة أيام.

- إنتِ عارفة أنا ظهري مايستحملش السفر كل هذه المسافة بالقطار. ربنا يسهل.

وفي نهار اليوم التالي، كانت مظاهر الاحتفاء الباردة ما زالت مستمرة، والسيول لم تتوقف لحظة عن الجود بما عندها حتى أفسدت

عـلى النـاس اسـتمتاعهم بعطلـة نهايـة الأسـبوع. لم يـبرح عبـد الرحمـن الفنـدق في ذلـك الصبـاح، وقـضى معظـم الوقـت مـع الأجانـب يعملـون حتـى الخامسـة مسـاء ليسـتقلوا بعدهـا حافلـة سـياحية مـن خلـف الفندق متجهـين إلى القاهـرة.

وقـف عبـد الرحمـن خـارج بـاب الفنـدق الخلفـي مودعًـا ضيوفـه حتـى تحركـت الحافلـة التـي كانـت تحجـب محـاولات بعـض الصبيـة الصغـار لعبـور الطريـق. ومـا إن لمحهـم حتـى توجـه نحوهـم بـدون تفكـير وحمـل بعضهـم للناحيـة الأخـرى، ثـم عـاد ليحمـل باقـي زملائهـم ليأخذهـم إلى بـر الأمـان. ثـم وقـف مـع عـمال سـيارات شركـة الـصرف الصحـي يوجههـم لرفـع الميـاه بشـكل سريـع. توجـه لإدارة الأزمـة دون مـا يُطلـب منـه ذلـك، فـكان كالقائـد في المعركـة الـذي يمسـك زمـام الأمـور ويصـدر التعليـمات لينجـو الجميـع ويخـرج منهـا بأقـل الخسـائر. موقـف ألهـم غـيره مـن رجـال وشـباب هـذا الفنـدق الغربـاء أن يقدمـوا المسـاعدة للنـاس والمحتاجـين، وكـما ألهـم غيرهـم مـن سـكان الحـي ليقدمـوا العـون بفصـل الكهربـاء وفحـص الأعمـدة ولوحـات الإعلانـات وإزالتهـا حرصًـا عـلى أرواح المواطنـين، فلقـد تسـببت النـوة في خسـائر ماديـة وحـوادث بسـبب الريـاح ومياه الأمطـار الغزيـرة خـلال هذيـن اليومـين. ومـع ازديـاد شـدة الريـاح تطايـرت لوحـة إعلانـات لتسـقط مـن أعـلى الفنـدق فـوق رؤوس المتطوعـين فيـصرخ أحـد العاملـين بالحـي:

- خد بالك يا باشمهندس!

تهـاوت اللوحـة الضخمـة عـلى الأرض لكـن شـظاياها تطايـرت في كل مـكان لتصيـب المهنـدس عبـد الرحمـن وبعضًـا مـن المتطوعـين والمـارة.

تكاتـف الجميـع لنقلهـم إلى أقـرب مستشـفى لكـن القـدر كان أقـوى

فلفظ المهندس عبد الرحمن أنفاسه وهو يسارع لإنقاذ أرواح الآخرين. خلَّد سكان الحي ذكرى ذلك الجندي المجهول الذي نزل لهم من السماء ليفديهم بروحه، وعند هبوب كل نوة لا يفوتهم أن يدعو له بالرحمة. وكما قال المهندس عبد الرحمن لقد كانت آخر مرة ينزل فيها الإسكندرية لكن روحه لن تبرحها أبدًا.

اسمي مريم

بقلم: ريهام عبد الله

في جنبات تلك المستشفى بأرضيتها الباردة تركوني وحيدة، كان مُطالَب مني أن أواجه مرضي بشجاعة وصمود، كيف ذلك وأنا سنوات عمري لم تتعدَّ اثني عشر عامًا هي حصيلة ما أملك في الحياة!

نعم، كنت أواجه بشجاعة أقراني في المدرسة، وكنت متحدثة لبقة فلقد كنت ألقي شعرًا وكُرمت في عدة مسابقات في المدرسة.. كم أفتقد تلك الأيام! لقد كانت مُدرستي تشجعني دائمًا أن أتحدث في الإذاعة وأن أقوم بالتمثيل أيضًا، كنت أحبها وأفتقد وجودها إلى جواري الآن.

أعلم أنها لا تعلم أني مريضة وأنها إن علمت لأتت، كم أريد رؤيتها! ماذا ألم بي وكيف تدهورت حالتي الصحية إلى هذا الحد؟

لا يسعني الآن إلا التفكير، ولكن بمَ أفكر؟

في هذا التوقيت يمر عم حسن بالآيس كريم، كنت أقنع أمي دائمًا بأن تسمح لي أن أشتري منه، لَكم كان رائعًا.. طبيعي ونظيف كما تريد أمي. كنت أحب مداعبته لي وأن أضحك له دائمًا، وقد كان يتوصى بي دائمًا.

آه تلك الآلام التي أشعر بها.

كم أفتقد تلك الحلويات التي تشتريها لي أمي!

تلك الشوكولاتة التي دائمًا ما أسعد بها.

وتلك الخطابات التي كنت أكتبها لها لأرى البسمة على وجهها.

أين أنت الآن يا أمي؟ أريد أن أكمل رسمي ومشروعنا سويًّا في إنتاج رسوماتي على الأقمشة.

سيبدأ العام الدراسي قريبًا وسأعمل جاهدة على أن أشترك في المسابقات، إن لحظة التكريم هي اعتراف بموهبتي التي لا أجد من يشجعني دائمًا عليها.

الرسم، ذلك الفن الذي أحبه منذ الصغر ولقد رزقني الله بمدرسين يشجعونني عليه، لكم أفتقد رسوماتي، وذلك اليوم الذي ذهبنا فيه إلى سفارة الهند (اليوم الهندي)، هل عساني سأذهب مرة أخرى؟

أأنا في افتقاد الآن أم أنه فقدٌ لكل ما هو جميل حولي؟

تلك الآلام التي لا تنتهي. كم أود أن يصاب ذلك المرض اللعين بنفسه ليعلم تلك المعاناة التي يعانيها مرضاه!

لم يخبرني أحد بطبيعة مرضي، ولكني أعلم وأشعر وأحس بتلك الآلام الفظيعة التي لا أطيق معها صبرًا.

يا الله، لماذا يعاملني الجميع على أنني طفلة لا تفهم وأنا أفهم وأعي كل ما حولي وأستطيع تدبر أموري.. ألا يرون فيما أفعله فهمي؟!

ما زلت أذكر بيتي، ذلك الذي أكملت أركانه من تلك الكارتونة التي كانت تود أمي أن تلقيها.

إن الأبداع غير مربوط بسن، فكيف بالألم أن يرتبط بسن!

لا أدري كلما أوجه تفكيري نحو كل ما هو جميل أجد ما أشعر به من ألم يشدني ثانية في صراع لا أعرف كيف ينتهي.

كم أفتقد مضايقتي لأختي الكبرى، تلك المشاحنات التي كنت وما زلت أنتصر فيها دائمًا.

أما لتلك الآلام أن تنتهي!

يالـه من يوم جميل، الحمد لله لا أشعر بأي ألم. أخيرًا انتصرت على مرضي. يا الله، لك الحمد! فرب الخير لا يأتي إلا بالخير.

أمي حبيبتي كيف حالك؟ لماذا لا تجيبني أمي؟ ولماذا هي بذلك الحزن؟

لماذا تقبل يدي دون أن تتكلم. ماذا حدث؟ أخيرًا سأذهب إلى البيت.

ماذا ألمَّ بداري؟ لماذا يتشح الجميع بالسواد؟ ولماذا الكل حزين هكذا؟

يا الله! مُدرستي التي أفتقدها أخيرًا جاءت إلى بيتنا.

لماذا تبكي؟ لماذا الجميع من حولي يبكون؟

أنا لاأفهم شيئًا! ماذا حدث لي!

«البقاء لله. ربنا يرحمها برحمته الواسعة.»

من الذي مات؟ ماذا حدث؟

«مريم ماتت.»

في اتجاه البحر

بقلم: ريهام عبد الله

بـروح مثقلـة فاضـت مـن بـين جنباتهـا الهمـوم تناولـت بيـدٍ أرهقهـا العمـل حجـرًا لتلقيـه بعيـدًا، ذلـك الارتطـام الـذي أحـدث دويًّـا كـدوي بـركانٍ مخلفًـا وراءه حمـمًا مـن كافـة الأشـكال.

ماذا حدث؟ لماذا كل هذا؟

ماذا ولماذا سؤالان لا معنى لهما الآن.

أسئلة تدور في فلك لا مدار له، تحير تلك الكواكب الصماء.

بيدٍ جريحة تناولت حجرًا آخر لتلقيه بعيدًا..

أكان دويه أشد أم أن البركان على وشك الانفجار؟

ماذا حدث؟

ما زال السؤال يتردد صداه قويًّا في جنبات نفسي.

ماذا حدث؟

هذا التكرار الممل.

كيـف لي أن أعـرف الإجابـة وأنـا حائـرة كذلـك الحجـر الـذي تتلاطمـه

الأمـواج ليسـتقر في مثـواه الأخـير في القـاع.. مهلهلـة النفس،مشـتتة الفكـر، حائـرة لا تعـرف!

أخيرًا وصلت إلى موطنها، أم عساها استقرت بغير ذات!

ضاعت في أرجاء حياتها الحياة.

أفاقـت مـن شرودهـا هـذا عـلى ذلـك السـؤال الـذي ملـت سـماعه وملـت تلـك الإجابـة التـي لا تسـبر أغـوار تلـك النفـس الحائـرة بـين جنباتها..

«لا أعلم.»

ظـل هـذا السـؤال وتلـك الإجابـة محوريـن تـدور في مدارهـما الخـارج عـن نطـاق المجـرة..

لا تعـرف هـل سـيكون مصيرهـا يومًـا كذلـك الكوكـب المتناهـي في الصغـر الـذي خـرج عـن المجـرة..

أعسـاه كان موجـودًا يومًـا أم أنـه وُجـد خطـأ أو كان لسـبب مـا وكـما وُجـد السـبب انتفـى؟

«أما زلت في هذا الشرود تعبثين؟»

الآن علِمَتْ فقط أن هناك من اقتحم عليها خلوتها..

كمكـوك فضـائي عـلى كوكـب مجهـول يـود أن يستكشـف أسراره. مـن يكـون رائـد الفضـاء هـذا؟

لا يهـم، فهـي سـتترك لـه الكوكـب بـأسره يعيـث بـه فسـادًا كيفـما شـاء. قامـت مـن جلسـتها دون أن تلتفـت إلى محدثهـا وبخطـى متثاقلـة ذهبـت ولكن..

في اتجاه البحر.

مَن أنا؟

بقلم: ريهام عبد الله

«هل هناك أمل أيها الطبيب؟»

كان هـذا سـؤالي وكنـت أخـشى الإجابـة، فمنـذ أن دخلـت أمـي في تلـك الحالـة وأنـا أخـشى الإجابـة، لا أعلـم مـاذا سـأفعل، لقـد قـررت بعقلهـا الـلا واعـي الدخـول إلى تلـك الحالـة التـي هـي فيهـا الآن، حالـة انفصـال شـديد عـن الواقـع.. لقـد قـررت أن تحيـا هـذا اليـوم فقـط ولا أحـد يعلـم مـاذا حـدث في هـذا اليـوم سـواها.

تسـاؤلات كثـيرة مـرت بنـا ولم نقـف عـلى إجابـة أي منهـا، إنهـا هـي وحدها مـن تملـك الـسر ومـن تملـك المفتـاح، كانـت ومـا زالـت هي مـن تمسـك بمقاليد الأمـور.. ولكنـي أنـا ابنهـا، هـل أقـف في موقـف المتفـرج لأراهـا تضيـع منـي؟ أخـذت تسـاؤلاتي إلى والـدي، أريـد أن أعـرف مـاذا حـدث، لمـاذا هـي هكـذا؟ لم يكـن بأعلـم منـي بمـا حـدث، مـا الذي دفعهـا إلى هـذا، أهـي ذكرى عـادت بكل قـوه لتفقدهـا ذكراهـا الحاليـة؟ أيكـون حقًّا هذا سـبب المـرض النفسي الـذي ألمَّ بهـا؟ لا أحـد يـروي عطـشي نحـو الإجابـة.. وأنـا أجدهـا كل يـوم هائمـة، ليسـت

معنا، تحيا وحيدة بعيدة.. أيكون هذا عقابًا لبعدي عنها وسفري لفترة؟ ولكني عدت الآن، أتراها لم تسامحني بعد؟

كانت يد الطبيب هي التي تهون دائمًا علينا جميعًا: «هونوا عليكم، لقد اختار عقلها حمايتها»، «ولكن مَمَ؟»

«مما اعتبره خطرًا عليها، لم تتحمل ذكرى حدث معين فاختارت أن تنسى حياتها بأسرها»، «أتكون تلك الذكرى أقوى من ذكرانا، أقوى من حياتنا؟ أيكون لذكراها تلك القوة التي أبقتها متماسكة طوال تلك السنون ومع انهيار ذكراها انهارت افتراضات وضعتنا جميعًا في حيرة ثلاث سنوات مضت؟»

يأس أبي من عودتها وأراد أن يعيش حياته بدونها، لفظها كما لفظته بذكراها التي تحيا بداخلها.. ولكني أنا، ماذا عساي أن أفعل؟ أسأكون بارًا بها وأظل معها، أم أرى حياتي بدونها؟ لم أجد إجابة تشفي غليلي، ومكثت غير بعيد أراقب حياة أبي بعيدًا عنا وأراقب أمي وهي تنزوي أمام عيني.. للحظة فكرت أن أودعها مصحة نفسية، وبالأخرى قررت أن أسافر أنا وهي نبحث عن دواء لداء لاأعلم كنهه. بدأت بتجهيز كافة الأوراق مشغول الذهن والبال، أين سأذهب؟

«مكة.»

ثلاثة أحرف حصيلة صمت ثلاث سنوات.. لم أصدق أذني! اعتدت دائمًا أن أتكلم معها، كانت تنظر لي تارة أشعر أنها تعرفني وتارة أخرى أشعر وكأني غريب عنها اقتحم خلوتها، ولكنها أبدًا لم تتحدث، اختارت لغة الإشارة بديلًا للحديث، حتى إن لم يفهمها أحد كانت تكتفي بالابتسام وتغلق على نفسها غرفتها. أعتدنا على صمتها حتى ما إن تكلمت لم أصدق ما أسمع. هللت من الفرحة واستجديتها

وأقسمت عليها أن تعيد ما قالت، ولكن هيهات، لقد عادت لصمتها شاردة بعيدة تمام البعد عنا. أتريد أن تغسل همومها هناك، أم تريد دعوة مستجابة من الله لها بالشفاء؟ لماذا مكة دون بلدان العالم تريد الذهاب لها، ولماذا الآن تحديدًا، أيكون لأني نويت بها السفر؟ إن موسم الحج يقترب، أيكون مناسبًا أن أذهب بها إلى الحج، أم عمرة، أم نقيم بمكة؟ يا الله ألهمني الصواب! تلك الليلة لم أنم، وكيف لي بنوم وأنا على تلك الحيرة من أمري.. وأبي لا أجد منه نفعًا، فلقد ساءه مني سؤالي له عما أفعل تجاهها واستجدائي له الرحمة والشفقة بها، فطلقها، وجد أن هذا خير سبيل في أن يجد راحة مما لا راحة فيه.. ولكني ابنها، ماذا أفعل؟ يا رب ألهمني جادة الصواب! تلك الليلة كنت أبكي وأنا أفترش سجادة الصلاة لعل الله يربط على قلبي بالسكينة، لأجدها إلى جواري.. «لكم اشتقت إليكِ يا أمي! ذلك الحضن الذي حُرمت منه طيلة سفري وبعد مرضك.. إني أعاني يا أماه، لا أريد تركك ولكني لاأعرف ماذا أفعل.. احتار الأطباء في حالك.. ما تلك الذكرى التي تحيين فيها وتركتيني من أجلها؟» كانت دموعها تنهمر كنهرين صغيرين فاقا في فيضانهما فيضان نهر حقيقي.. «إني أعلم أن مشاعرك يا أمي حقيقية كدموعك، ولكن ماذا ألمَّ بكِ؟ ماذا حدث؟ أرجوك أخبريني، أريحي قلبي المتعب، يريد قلبي أن يرتاح كما عقلي على صدرك».. لم أعرف أأفرح أم أحزن وهي تقول: «ستعرف عما قريب»، وتركتني وحيدًا. في مكة تبدل الحال، كنت هائمًا وكانت هي منشرحة الصدر تقوم بكافة المناسك والبسمة لا تغادر ثغرها.. «أكنتِ تحتاجين إلى أن تكوني هنا لأرى بسمتك مرة أخرى؟» اكتفيت منها ببسماتها واكتفت مني بنظراتي الشاردة التي اكتسبتها منها.. وبعد أن انتهينا من مناسك العمرة وجدتها مقبلة عليَّ وأنا في حجر إسماعيل تكلمني:

«هيا بنا أريد أن أحادثك في أمر ما»، اعتدتُ على الصمت، فلقد اكتسبت منها عادات عدة.. ذهبنا خارج الحرم لا أعلم وجهتي إلى أين، وجدتها تستأجر سيارة تبتعد بنا عن مكة.. «إلى أين يا أمي؟»

اكتفت بابتسامة واكتفيت بقلقي، لم أكن أريد أن أعرف ماذا ألمَّ بها، كنت أخشى شيئًا ما، لا أعلم ما هو غير أني الآن لا أريد المعرفة!تحت سفح هذا الجبل هبطت أمي وظلت تمشي للحظات حتى وجدنا أنفسنا عند المقابر لتقول أمي: «يا ولدي، اقرأ الفاتحة على روح والدك.»

لم أستطع كتمان تلك الشهقة: «أمات أبي؟ متى؟ وكيف جاء إلى هنا ودُفن هنا؟ من قال لكِ ولماذا لم يخبرني أحد؟ من قال لك؟»

أشفقت عليَّ أمي لتقول: «إنه ليس من تعتقد، بل إنه والدك الحقيقي.»

لم أستوعب ما قيل لي للتو، «ومن هذا الذي قام بتربيتي وأحمل اسمه؟»

أخذت أمي تحكي منذ البداية، فاسم من كنت أحسبه أبي يتشابه مع اسم والدي إلا الاسم الخامس وهو الذي لم أعرفه قط.

أخذت تحكي عن زواجه لأكثر من مرة عليها وخيانته المتكررة، لها حتى كانت المرة الأخيرة التي قسمت ظهر البعير.. ذلك اليوم الذي خرجت فيه طوال النهار، كانت قد جاءتها مكالمة جماعية منه خطأ يحادث أخرى ولم ينتبه أنه أدخل أمي في مكالمة جماعية.. كانت تحكي وعيونها تفيض دمعًا وملامحها تنطق بالثبات: «كنت أستمع إلى حديثهما وقلبي يتمزق ولا أعلم ماذا أفعل، إنه يا بني قد كتب كل ما أملك مناصفة بيني وبينه ووضع شرطًا أنه إن طلبت الطلاق منه تؤول له ملكية الشركة التي تركها لك

والـدك، فـأردت أن ألقنـه درسًـا أخـيرًا لاينسـاه أبـدًا!»

سـافرت إلى الإسـكندرية واسـتشرت طبيبًـا مشـهورًا في علـم النفـس عـن الحالـة التـي كنـت فيهـا، كنـت أنـت مـن يقـض مضجعـي ولم أسـتطع البـوح لـك، وحينـما شرع في الطـلاق وكلـت محاميًـا ليقاضيـه بموجـب العقـد والـشرط الـذي وضعـه، وذلـك سـبب معاملتـه السـيئة لـك فيـما بعـد.. كنـت أريـد أن أضمـن لـك حقـك الـذي أضعتـه حينـما وافقـت عـلى زواجـي منـه وكتابـة هـذا الـشرط في عقـد الشركـة.. سـامحني يـا بنـي، كنـت صغـيرة السـن أرملـة وطفـلي رضيـع، أملـك شركـة، مطمعًـا مـن الجميـع، توسـمت فيـه الصـلاح ولكنـي بعـد أن علمـت أفعالـه قـررت أن أحافـظ لـك عـلى مـا تبقـى.

«ولماذا لم تفعلي هذا من قبل؟»

«لأنـك لم تكـن موجـودًا، فلقـد سـافرت للدراسـة ثـم للعمـل، وحينـما أتيـت للاسـتقرار أردت أن أوفـر لـك حيـاة كريمـة بـأن تبـدأ بمـال أبيـك، وعرضـت عليـه تـرك الشركـة لـك ولكنـه رفـض، فـكان أن مكثـت مريضـة مرضًـا ميؤوسًـا منـه لا أحـد يعلـم مـا هـو، والمـرض النفـسي منتـشر والعقـل البـشري معقـد ولا يوجـد مَـن أسـبر أغـواره إلى الآن، وأنـا عـلى ثقـة بأنـه لـن يتحمـل مصاريـف علاجـي مـع عـدم وجـود تقـدم.. لم يتخيـل مطلقًـا أني في كامـل الأهليـة إلا حينـما رآني أمامـه في المحكمـة أحادثـه بشـكل طبيعـي، لم يتحمـل أني ضحكـت عليـه - كـما قـال - لـذا فعندمـا اسـتشرته كاد أن يصـب جـام غضبـه عليـك.»

لم أعـرف هـل أفـرح أن أمـي بخـير وعافيـة أم أحـزن لتلـك الحقائـق التـي أسـمعها الآن لأول مـرة وكأني لا أعلـم مـن أنـا؟

جزيرة المتفذلكين

بقلم: إيمان عبد البديع

في مكان نجهل وجوده على الخريطة، لم يمر عليه كولومبوس ليكتشفه وهو في طريقه إلى أمريكا، كان مكان هذه الجزيرة.

وفي زمن غامض ربما مضى وربما هو آتٍ، كانت أحداث هذه القصة..

هي جزيرة خرجت من حدود الزمان والمكان، حتى البحر المحيط بها لم يحمل إليها سوى كائنين فقط للعيش على أرضها.

ليجدا أنفسهما وحيدين هناك متشابهين بشكل كبير رغم اختلافهما، ينظر كل منهما للآخر وهو محمل بآلاف الأسئلة.. فبادر الكائن الأول بالسؤال: «إحنا فين؟!» فتبعه الثاني: «إحنا مين أصلًا؟!» حاول الأول أن يبادر بالإجابة كما بادر بالسؤال: «مش عارف»، ولم يستطع أن يخفي سؤاله التالي: «طب ليه إحنا لوحدينا هنا؟!» فلم يرهق التاني نفسه في اختيار إجابة مختلفة وقال: «مش عارف، بس أنا مخنوق قوي.» فتعجب الأول من إحساسه: «مخنوق إزاي الجو كويس!» فنفى الثاني تقييم الأول للجو: «لا الجو ده مش مريحني.» فأراد الثاني إلهاءه عما

يشعر به: «طب تعالى نتفرج على المكان ونشوف حاجة ناكلها».. فعاد الثاني للتساؤل: «هو إحنا بناكل إيه أصلًا؟! لن تضيف إجابة الأول الكثير فهو أيضًا لا يعلم، لكن ما يمكن أن يفيد أنه رأى كائنًا ثالثًا ظهر من بعيد وظهر معه الأمل من جديد، فهتف في فرح: «بص هناك، فيه حد غيرنا، أكيد هيفيدنا بحاجة!» واتجها نحوه بسعادة بالغة غير مبررة، فقد يكون متسائلًا جديدًا لا يحمل أي إجابات مثليهما، لكنه تعلُّق الكائنات بالأمل هو المحرك.. فلولا الأمل ما صدق أحد قول الشاعر «ضاقت فلما أحكمت حلقاتها فرجت»، ولا أكمل الداعي وقت اليأس دعواته، ولا شعر هذان الكائنان بالسعادة وهما لا يعلمان يقينًا ما ينتظرهما.. على كل حال وصل بهم الأمل سريعًا إلى الكائن الثالث الذي بدا ضخمًا جدًّا كلما اقتربا منه، لكن شجعهما على الاقتراب حالته المذرية وعدم قدرته على الحراك، حتى توقفا أمامه في ذهول وفي لهفة لمعرفه أي شيء يفيد، فتسابق الاثنان في طرح السؤال: «إنت مين؟!» فقال الثالث في كلمات متقطعة: «أنا بموت خلاص، بس عايز أوصيكم وصية، لو مت ارموني في البحر.» تعجبا من طلبه، «نرميك في البحر ليه؟!»

«هو كده اللي بيموت بنرميه في البحر.»

شعر الثاني بالتوتر والقلق على نفسه وقال: «طب إنت حاسس بإيه أصل أنا مخنوق.» فأكد الثالث مخاوفه: «أنا كمان مخنوق وروحي بتطلع.» قال الثاني في حزن: «يعني أنا هموت!» فضحك الثالث في سخرية: «إنت متوقع إيه بقعدتك هنا! هتموت طبعًا.» هنا حاول الأول الحصول على أي معلومة تضمن نجاته: «طب تقدر تقولنا إحنا مين قبل ما تموت؟» عجبًا! هل تهتم الكائنات بهويتها أكثر من الاهتمام بوسيلة للنجاة.. بماذا سيفيد من أنا إذا كنت هالكًا

لا محالة، لكنها الأنا المتحكمة.. لم يهتم الثالث بتحليل السؤال وأجاب: «إنتو اتنين اتقابلوا عاشوا مع بعض لكن لازم يجي وقت تفترقوا.» فأصاب الهلع الأول: «يعني إنتو الاتنين هتموتوا وتسيبوني، طب قولي أمشي إزاي من هنا؟» وفي هذه اللحظات زاد الخناق على الثاني وبدأت تنقطع أنفاسه ورقد بلا حراك. قال الأول في أسى: «سامحني يا صديقي، مضطر أرميك في البحر.» وودعه في حزن وألقاه في المياه وإذا به يأتيه صوت الثاني بين الأمواج: «إيه ده أنا عايش، أنا بتنفس، أنا مبسوط هنا!»

فرد الثالث: «طبعًا لازم تبقى مبسوط، إنت سمكة يا بني.» فتخلص الأول سريعًا من ذهوله وأسرع بالسؤال: «طب وأنا، أنا مين؟!»

«إنت ضفدع صغير بدأت تكبر وشكلك يتغير.»

غمرتهما السعادة الحقيقية المنطقية الآن بمعرفة هويتهما، فيبدو أن العيش بهوية واضحة في مكان مجهول خير بكثير من عكس الأمر.

ولم يتبقَّ في جعبتهما من أسئلة إلا سؤال واحد: «طب إنت مين، وكنت ليه عايزنا نرميك في البحر؟!»

فردَّ الثالث في فخر:

«إنا إنسان هندي.»

تمت

العبور

بقلم: محسن صالح

الساعة السادسة صباحًا. لقد اتخذ قراره الذي تردد في فعله عدة مرات. لقد مرت على صلاة الفجر التي يؤديها خارج المنزل في الزاوية المجاورة لمنزله القديم فترة كافية حتى صار للنهار عينان كما يقولون، وأنهى كل أحاديثه وحواراته مع عم زكي والحديث عما تحتاجه الزاوية من إصلاحات وترميمات. فقط مشهد واحد يسيطر عليه منذ شهر ويعاد في ذهنه من زوايا متعددة، إنه عبور الشارع الرئيسي وإحضار طعام الإفطار لأسرته كما كان يفعل من زمان وهو يضحك ويغني أغاني عبد الحليم حافظ.

تشوشت الصورة في عينيه قليلًا وكادت تتعثر قدماه وهو يخطو خارج الزاوية لولا قبضة عم زكي على إحدى يديه. اتضح باب الزاوية أمامه وهو يعبر عتبته وإن كان هناك ضباب يلفه، كأنه حلم أو باب الأحلام، ترك تأثير هذه الرؤى جانبًا وتحركت قدماه المرتعشتان خارج الزاوية تصحبهما دعوات عم زكي له بدوام الصحة وطول العمر.

تحريك نظارته السميكة العدسات أحيانًا يفيده في إضاءة جنبات

الصورة من ضبابها، ولكن تظل الخطوات التالية قلقة ومترددة وحائرة، وذكرى كسر الحوض لزميله خميس في العمل وما ترتب على رقدته الطويلة في السرير وزيارته له عدة مرات، وهو الذي يصغره بخمس سنوات، لا تزال تدق عظامه وتزيد من ارتعاشة يديه وتعثر خطواته وتفكيره وزيادة تحديقه قبل أن ينقل خطوته التالية.

لقد مرت السنوات أمام عينيه ورائحة الملفات في الأرشيف تهجم على أنفه فيتذكرها ويتذكر كيف أنه في آخر سنوات حياته كان يذهب ليوقع في دفتر الحضور والانصراف فقط ويراقب الشغل من وراء نظارته السميكة ويحتسي كل المشروبات الممكنة حتى يعود لمنزله ويعبر الشارع العريض في خطى قصيرة ومتعجلة حتى لا تصدمه إحدى السيارات المسرعة أو عربات النصف نقل، وما أكثرها وأكثر غباء من يقودونها من الشباب المتعجرف الفظ!

ها هي تضح معالم نهاية الشارع الجانبي المطل على الشارع العريض شارع عثمان باشا. يستغرب من سماعه لكل ما يدور حوله بأذن لاقطة، ولكنها نظارته التي تخونه رغم شدة حرصه على التحديق فيها حيث تجعله يتعثر. تبًّا لها!

شد من ظهره وهو يحرك مسبحته الطويلة التي يفضل ملمسها ورائحة المسك التي تفوح منها حينما يضعها بالقرب من أنفه ويتذكر سنوات مضت، كان نسيانه لهذه المسبحة يعني قلقًا داخليًّا لأنها تضبط صلته بربه.. طرد الفكرة وتحركت إحدى قدميه لتهبط من على الرصيف وتتخذ وضعية بدء عبور الطريق. صرخات سيارة لا يدري أقريبة أم بعيدة دقت عظامه، ولكنه بعد عبورها تمالك نفسه ونفث عن صدره كمية خوفه لعله يتشجع ويعبر الشارع لإحضار

طعام الإفطار ويشتري الطعمية الساخنة طعامه المفضل في الصباح رغم أفاعيلها بمعدته التي شاخت.

بالكاد مر أمامه شيء في وسطه ضبابة بيضاء ومن أمامها وخلفها شيء لونه أحمر، أذنه أكدت له أنها سيارة ولكن عليه الأخذ بالحيطة والتريث في الخطو.

في خطوته التالية زادت صرخات العربات ومعها نداءات وسباب، وفجأة جاءت ضربة في كتفه لم يدرِ ما هي ألقته على الأرض، توقف الشارع، حيث لم يسمع أي صوت للعربات من حوله سوى كلمات «لسة عايش».. «أوقف الدم ده».. «يا والدي رد عليَّ».. «عايز يروح المستشفى».. «جرح بسيط».. «سايبينه لوحده».. «ربنا ستر»..

الأنفاس تلفح وجهه المتغضن وهو يستعيد وعيه ويرى ضباب الوجوه ثانية. فجأة جاءت صرخات من بعيد، إنه صوت ابنه مراد وهو يقترب ويصرخ في المكان، أحس به يحتضنه وهو يتحسس كل جسمه خشية وجود أي كسور، ثم يجد مكان اللسعة في جبهته يخف تدريجيًّا بعدما أحس بشيء بارد عليها.

لقد تذكر، إنه الجرح.. إنه الجرح الذي كلفه أن يفقد آخر فرصة له في الذهاب للصلاة في الزاوية القريبة بمفرده خشية أن يسقط في أي مكان من على السلم في المنزل أو الزاوية ويحدث ما لا يحمد عقباه. الغرز الخمس في جبهته والكدمات التي أحدثها الموتوسيكل اللعين المفاجئ كانت القاضية على آخر متنفس له في شم هواء الشارع وهواء الحرية.

تدحرجت دمعتان على خديه وهو يسمع تعليمات ابنه الأكبر مراد وهو يخبره بأن ابنته الكبرى وداد ذات الصوت العالي والضحكات الصاخبة والخطوات المزعجة ستأتي لمدة أسبوع للإقامة معه في الشقة، شقته، هي وأولادها الخمسة. هز رأسه وانقباضة تأخذ بقلبه وصدره، وذكرى عبوره للطريق التي قضى عليها الموتوسيكل اللعين تمر في مخيلته، وملمس قرطاس الطعمية الساخنة المرتقب في يده ورائحتها المفضلة تملأ أنفه، وهو يدفع كل هذا الأفكار بضغطات من يديه على مسبحته التي يبثها مناجاته أحيانًا ويوصي أولاده بدفنها معه في قبره لتؤنس وحدته.

عمارات الكهربا

محسن صالح

يتواجد على نهاية شارع المتوكل حيث توجد العمارة التي بها شقتي، شارع الأهرام الذهبية العريض والذي تقع في نهايته مجموعة من العمارات العالية تسمى عمارات الكهربا. هذه العمارات منغلقة على نفسها بسور يحوطها من كل الجهات، كأنها مجموعة من المعابد التي يتقي ساكنوها الاختلاط بمن حولهم. يوجد داخل العمارات مقام سيدي المتوكل والذي أُطلق اسمه على شارعنا الجانبي شارع المتوكل. يلوح مقام سيدي المتوكل من خلف البوابة الحديدية حيث توجد عمامة خضراء كبيرة ومسبحة حباتها كحبات البرتقال خشبية، لكم داعبت خيالاتي وأنا صبي يمر بالمكان مع أمي حينما كنا نريد شراء الحلوى من المحل المجاور للمقام. «عمارات الكهربا» نكررها في حواراتنا ويصرخ صبية المكروباص فينا: «عمارات الكهربا، كهربا!»

تتعدد العمارات التي تجاوز الثلاثين تتوسطها حديقة ومسجد، وهناك بوابات حديدية على سورها تربطها بمن حولها من مناطق. بعدما أنهيت الدبلوم عملت لدى ورشة لعمل فورم الجبس التي

تزين أسقف المنازل والشقق، كنت أبذل قصارى جهدي لشرب هذه الصنعة، أحبني عم محمود صاحب الورشة وتزوجت ابنته وترك لي الورشة ورحل عن دنيانا بعدما حمل نجلي الأول هشام.

كنا نسمع ونرى في المساء العجب العجاب في منطقة عمارات الكهربا، وذلك بعدما سكنتها فئات قادمة من مناطق شعبية وبيئات مختلفة، كنت أسمع من أصحاب المحلات المجاورة الكثير من الحكايات والوصف عما يحدث بعد غلقنا للورش. لقد تأخرت ذات مساء للعمل في ورشتي وسمعت حركة غير عادية في الورشة المجاورة، أمسكت بالماسورة الحديدة وذهبت لأجد اثنين من الشباب يرفعان مطواة في وجه جاري عم أحمد، عاجلتهما بضربتين سريعتين وكان معي بماسورته الحديدية أيضًا عم عاطف، جرى الشمَّامان - كما وصفهما عم أحمد - وظللنا على مدار شهر نتحدث عن البلطجة التي عمَّت المكان ومستوى الحال الذي وصلنا إليه.

حدث ما حدث ذات مساء وكان عليَّ أن أسهر في عملي وأغاريد أم كلثوم تلفني تقطعها سلامات أصحاب الورش من حولي وهم ينصحونني ألا أتأخر. لم تكد تمر ثلاث ساعات حتى لمحت عيناي ثلاثة شباب طوال القامة قد سدوا باب ورشتي الصغيرة ومن حركة أجسامهم عرفت أنهم يحملون أسلحة بيضاء ونارية. لم أكن في حاجة إلى المقاومة. أخذوا كل ما معي وكادوا أن يفتكوا بي لولا أن رأوا ما أنا فيه من عرج خفيف فتركوني وهم يحذرونني من مغبة الإبلاغ عنهم.

تركوني جالسًا على الأرض بالقرب من فورم الجبس أنظر إلى الظلام خارج الورشة وكأنني أنظر إلى اللاشيء. أغلقت محلي وداخلي يعوي الغضب كغضب الريح التي تحوطني من كل مكان. رجعت إلى شقتي

في نهاية شارع المتوكل يلفني الحزن، لم آكل شيئًا ولم أوقظ زوجتي وابني، ونمت وأنا أدعو على من سرقوني بالفناء والعقاب من الله، نمت وأنا أردد قول «حسبي الله ونعم الوكيل.»

مر أسبوع وأنا لا أفتح ورشتي إلا لإنهاء الضروري من الشغل. رفضت الاتفاق على أي شغل جديد. وكنت أمشي منكس الرأس أسلم على من أعرفه وأنا سارح العقل شارد النظرات. استيقظت ذات صباح على حركة غير عادية في شارعي المتوكل وشارع الأهرام الذهبية، وعرفت من اللغط أن الشرطة وجدت ثلاث جثث لثلاثة أشقياء ممن كانوا يفرضون الإتاوات على أهل المنطقة. سكتٌّ. وفي جريدة المساء تحت عنوان «وفاة بلطجية منطقة عمارات الكهربا» وجدت صور اللصوص الثلاثة الذين جردوني من مالي منذ ما يقرب من أسبوع. هنا تذكرت سيدي المتوكل والنذر الذي نذرته في نفسي منذ فترة، وتوجهت إلى المقام ووضعت النذر وأنا أدعو لصاحب المقام وأردد في نفسي بصوت أكاد أسمعه: «الحمد لله، الحمد لله، استجاب دعائي واقتص ممن سرقوني.» زايلتني الحالة التي كنت عليها وأقبلت على ورشتي وأنا أقول مرحبًا بالعمل ووداعًا للكسل.

أين أمي؟

وسام البحيري

بـدأت أسـمع أزيـز الطائـرة، أدركـت بـأن مهمتهـا قـد حانـت.. كلي لهفـة وشـوق لأن أقابلهـا وارتمـي في حضنهـا.. وأسـمع نبضـات قلبهـا.. يقـول إن نبضـات قلبهـا ليسـت كأي نبضـات.. قـد تصـل لدقـات عنيفـة لكنهـا سـتكون رحيمـة.. كل مـن كتـب عـن ذلـك المشـهد وتلـك اللحظـة انتهـوا إلى أننـا مهـما وصفنـا فلـن نصـل لواقـع هـذه المشـاعر الدفينـة.

إنهـا أجمـل هديـة مـن أبي التـي وعـدني بهـا بعـد اجتيـازي مرحلـة الثانويـة بتفـوق مـشرف لـه، سـألتحق بكليـة الطـب في فرنسـا.. حسـب اتفـاق قديـم بينـه وبـين أمـي.

ظللـت أهـرول بـين ذكريـات باهتـة وأحـلام واهنـة. انغمسـت في مقعـد الطائـرة كانغـماس أصابعـي في طبـق العسـل، وأرسـلت ناظـري خـارج نافـذة الطائـرة أرسـم بغيـمات السـماء ملامـح أمـي التـي لم أرهـا منـذ.. منـذ متـى؟ لا أدري.

إنهـا عـلى مقربـة منـي.. إنهـا سـاعات تفصلنـي عنهـا بعـد أن كنـت

محاصرًا بسنوات من الهجر والبعد وأشياء أخرى لم يخبرني بها أبي.. سأصل إلى ليون حيث بيت أمي.. أستقر معها ومرحلة حياتي الجديدة.

هل تشبه أمي عمتي بهية، أو عمتي حسنة التي تتسابق القرية نساء ورجلًا على الغمز واللمز حينما تطل على الناس من شرفتها أو تطوف السوق أو تصنفر قدميها على باب بيت جدي؟

كثيرون يقولون إني أشبه أمي.. لكن هل هي تشبه عمتي بهية؟ ليتها تشبه حسنة وهي بملاءة حريرية سوداء وخصر نحيل، أو عندما ترتدي الطرحة التل وتتغنى بأشهر أغنيات الراديو المثبت في عقر الدار وهي تترنح سكيرة للحياة والأرض من تحتها محمومة!

سأشم فيكِ يا أمي رائحة عرق الأرض.. وفي يديك أطلال العيش الشمسي..

تلفت حولي فوجدت أبي مستغرقًا مع صحيفة يقلبها، هممت بطرح سؤالي عليه:

– صف لي ...؟ لكني تراجعت، فهو مثلي لم يرها منذ زمن، ولكنه بالتأكيد يدرك ملامحها جيدًا.. لا.. لا.. سوف أرسم لها صورة في مخيلتي. حاولت أن أجمع لها شيئًا مما بقي من آثار الماضي في ذاكرتي، كل خطاباتها الخمس التي كتبتها لأبي ذهبت مع الريح وصورتها الوحيدة ذابت في طشت الغسيل.. لم يندم يومها أبي.. نعم أتذكر جيدًا هذه الحادثة، فقد طفقت عمتي بهية تفك اشتباك أطراف الصورة لكنها زادتها هلاكًا وأبي لم يحرك ساكنًا.. لم يغضب.. أغلق باب غرفته على نفسه.

على هذه الحالة كانت حياتنا ساكنة، باهتة، فاترة، مملة.. حتى غدت ريح التغيير بمنزلنا على يد حسين ساعي البريد حيث اخترقت صيحاته صمت المكان مرددًا: «جواب يا أبو أدهم!»

خرجنا من جحورنا نلقي بالنظرات على بعضنا بعضًا.

أنـا، عمتـي، أبي.. عمتـي، أبي، أنـا.. أبي، عمتـي، أنـا.. انطلقـت ناحيـة البـاب وهممـت بفتحـه، لكـن يـد أبي سـبقتني واحتـوى سـاعي البريـد بجنيهـات واحتفـظ لنفسـه بخطـاب فرنسـي ليعـود لغرفتـه ولم يخـرج منهـا سـوى صوتـه مناديًـا عـليَّ ويقـص عـليَّ الأمـر.

عرفـت لمـاذا حجـب عنـي اسـتعمال هاتـف أو إدخـال هاتـف لبيتنـا.. كان يحـاول أن يعزلنـي عـن أمـي.. لكـن لمـاذا؟ لم يفصـح عـن السـبب.

اشـتريت ملابـس جديـدة وكثـيرة، ورأيـت أبي بـلا جلبابـه المعتـاد.. يرتـدي بنطلونًـا وملابـس كاجـول، كان مهندمًـا لا يثـير التهكـم، فـما زال محتفظًـا بجسـدٍ ريـاضي، فقـط أثـار دهشـتي، لكنـي أحببـت هيئتـه هـذه.

انتزعنـي مـن ذكريـاتي صـوت قائـد الطائـرة بفـك وثاقـي مـن مقعـد الطائـرة لأنطلـق إلى أمـي.. لكـن أيـن هـي.. تتبعـت إبهـام أبي مشـيرًا إلى سـيدة تلـوح لنـا مـن بعيـد.. «أمـك.»

لكـن أيـن الطرحـة التـل والمـلاءة اللـف.؟ ارتميـت في حضنهـا فلـم أجـد رائحـة الريـف.. أيـن دفء يديهـا.. أيـن حضـن أمـي؟ أبي، أيـن أمـي؟

أين درش؟

بقلم: وسام البحيري

هرولتْ لاستقبال أشعة الشمس فوق سطح دارها حاملة فوق رأسها عجانًا مليئًا بالدقيق.. وصوت وابور الجاز ينخر ذلك الهدوء بينما العصافير تموج صوتًا وحركة في فلك السماء.

في كل يوم أربعاء خَبزُ العيش الشمسي.. كان مصطفى يجهز كل شيء في ذلك اليوم، كانت أمورًا لا تخصه في عرف إخوته الذكور وكذلك الإناث.. لكنه كان مهتمًّا بأمه، راغبًا في التخفيف عنها، فلا فائدة مرجوة من إخوته الذكور.. ولا من إخوته البنات في أحيان كثيرة.

تلفتتْ يمينًا ويسارًا كأنها تبحث عن شيء.. كل شيء جاهز.. كل شيء في مكانه.. لكن علام تبحث؟

– أسماء.. ألم يستيقظ درش بعد؟

كان يحمل عني العجان وأنا أصعد درجات السلم.. مع كل درجة كنت أقول إنه الآن سيفزع ويطوي درجات السلم ويحمل عني العجان.. بل يحملني لو استطاع.

تبتسم وهي تتذكر مواقفه هذه بينما هي تنهره بضحكتها الذهبية..

– لا توقظيه، دعيه ينام، فلكم كان يرهق نفسه بين الكتب والمحاضرات.. لا تنسي يا أسماء مع أول رغيف شمسي يخرج من الفرن شقيه نصفين وضعي في أحدهما سكرًا وسمنًا.. مصطفى يعشقه كثيرًا.. وفي النصف الثاني نضع له «التقلية» حينما نجهز الطعم.. لا تنسي يا أسماء.

أطرقت أسماء في العجان منهمكة في خلط الماء بالدقيق.. انهمرت دموعها تروي العجان.. تعصر العجين ويعتصر قلبها على أمها.. احتمت من عينها المكلومة بمظلة متهالكة تهش أسفلها عصافير متربصة بخبز عجين لتلتهم منه مايسد جوعتها.

رقدت الأم أمام الفرن تطعمه خشبًا وورقًا ليرتفع لهيبه ويملأ دخانه المكان. تختلط دموع الأدخنة بدموع الأحزان، حجبت غمامة دخان كثيف صراعًا بين الثبات والانهيار.. بين القوة والضعف، بين الأم وابنتها.. كلاهما توارى خلف الحجب ليوقظ الماضي الذي ينهش في حياة الحاضر.. لكنه يلفظ أنفاسه سريعًا حينما ترتمي الفتاة في حضن أمها.

– أماه، مصطفى يريد أن يطمئن عليكِ.. هوني على نفسك.. لن يعجبه ما أنت فيه.. أخي رحل منذ عامين في حادث سيارة.. دعيه يرقد بسلام.. ألا تعلمين أن الموتى يقلقون على المحبين الموجوعين، ألا تعلمين أن روحه تحيط بك؟ اتركيها تصعد لباريها في سلام.

– قومي يا بنيتي قربي الأرغفة لنضعها في الفرن.. ولا تقلقي فما زلت بعقلي.. لكن أيعقل أن نضع الطيبين في سراج النسيان؟ كل ما أفعله أن أجدد ذكراه، فلكم كان وفيًّا بي! هيا هيا نوقظ درش ونجهز العيش الشمسي من أجله.

الهَزْم

بقلم: وسام البحيري

حينما استقرت قدماي في بلدتي كنت أظنها زيارة وليست عودة.. بدت أقدامي مسلسلة في طموحاتي التي لا تنتهي، ما تكاد تخطو خطوة إلا وفكرت ألف مرة في الخطوة التالية.. كلما تعددت خطواتي بدأت الاقتراب من شفا جرف هار.

مضيت نحو داري يصحبني عم عبد الرحيم، وفي كل خطوة يبرز لي محاسنها.. «انظر، إنها لا تعوض.. إنها لا مثيل لها.. تأمل حسنها ودلالها.. لقد أسرت الشعراء وتغنوا بها..»

كان يكثر عم عبد الرحيم من مواهبها التي لا تقارن وصفاتها التي ليس لها نظير.. لكنه لم يجد سوى الصمت تعقيبًا مني على حججه الداعية للتمسك بها.

طفت بناظري في زوايا قريتي، لم تزل القرية كما هي منذ تركتها.. لم يتبدل فيها شيء.. خمس سنوات لم تصعد بها درجة، وأظنها لو تركتها خمسين عامًا لن تتغير.

طرقها متعجرة، منازلها لبنية، وأظن السماء بنجومها وشمسها

أبقت على ملامحها حتى لا أضل طريقي إلى بيتي.. لم تزل كغيرها من القرى متشحة ثياب الفقر والتخلف، مكتنزة بأقدام حافية وعقول خاوية.. متعكزة على هموم الحياة تروي حكايات تجاعيد روحها الواهنة، تعزف لحن أساها على أوتار أعمدة إنارة متهالكة.

لكنها لم تعد من أرغب في ضمها لصدري، فحنيني ليس للماضي وإنما للمستقبل، لتكن هي مرفأ ذكريات أزوره وقت حنيني للماضي، لكن مستقري لا بد أن يكون حيث طموحاتي وحياتي التي بلا حدود.. «عليك أن تعيد حساباتك مرة أخرى».. كان هذا بقايا ما علق في أذني من حديث عم عبد الرحيم.

لقد دعمت الطبيعة موقفه وبدأت تثير رياحًا محملة بالرمال والأتربة تدفعك لأن تغمض عينيك.. كنت أقاوم وأقاوم رغبةً في الرؤية، لكن أي شيء تريد أن تراه وأنت ساخط عليه رافض له! بدأت أشم رائحة لكم راودتني في الإسكندرية دائمًا وبخاصة وقت الشتاء، أظنها ثماني عشرة نوة.. من شوقي لها تعرفت عليها وأتلهف موعدها.. نوة رأس السنة، ونوة الفيضة الكبيرة، ونوة الغطاس.. لكنني هنا في قريتي التي تبعد عن الإسكندرية مائة كيلومتر، فأي نوة هذه وأي رياح مصحوبة بها؟ عليَّ أن أقاوم، يبدو شيئًا غير عادي.. كأن الرياح العاتية تقول لي انتظر لا تفتح عينيك الآن.. سمعت خَوَايَةَ المطر الذي ما لبث وأن اشتد.. إنه هزيم المطر.. بعد ساعة وجدت أنفاسي تهدأ وأفتح دون مقاومة جفني عن عين شغوفة لترصد ما كان يحدث..

«منذ زمن لم نُرزق بمثل هذا المطر.. الخير حل بمجيئك».. هكذا كان تعليق عم عبد الرحيم على ما حدث.. لكني رأيت عالمًا آخر..

قرية تمرح تحت المطر.. اغتسلت من أدران سنوات ماضية.. إذا كانت الطبيعة فعلت هذا أفلا يستطيع بنو البشر تحدي الطبيعة وتغيير هذا العالم المحيط بها كما فعل المطر؟! همست في أذن عم عبد الرحيم: «يبدو أنني اقتنعت بكلامك.»

الجميز تخين

بقلم: وسام البحيري

ها هي رحلتي اليومية إلى المدرسة تبدأ من جديد، أحمل حقيبتي فوق ظهري، أدهس الأرض الوعرة بقدمي.. أتوارى خلف شجرة عجوز حتى يمر المزعجون.. لقد عرفوا مخبأي، أصواتهم تقترب رويدًا رويدًا.. «جميز تخين.. جميز تخين..» عليَّ أن أستجمع قواي وأغيب عن عيونهم.. تقطعت أنفاسي وعلت ضحكاتهم.. هيا، هيا.. لقد اقتربت من مدرستي.

استقبلني مدير المدرسة بسؤاله الممل عن سعر كيلو اللحم العجالي.. طوقت راسي بيدي لإزالة فيضان من العرق المتصبب..

كثيرًا ما حاولت أن أتخلص من دهوني المتراكمة دون جدوى.. كرهت الركض خوفًا.. كرهت «جميز تخين».. كرهت المدرسة.. حتى الرسم الذي أجيده كرهت حصته.. فالسخرية عما سأرسم من معلمتي، وتعليق المزعجين بأني سأرسم فيلًا أو حوتًا يسد جوعتي.. كل ذلك جعلني أكره كل شيء، إلا نفسي.. فليس لي في عطاء الله اعتراض.

«ها هي رحلتي يا جدتي، وبسبب هذا تغضب أمي ويضرب أبي.»

جلست الجدة غير قلقة من كلامي وارتسمت على وجهها ابتسامة أزالت ما بي من ضيق، ودست في يدي قطع حلوى ممنوعة عنها، منبهة لي ألا أخبر ابنها بأمرنا هذا.. ضحكت وارتميت في حضنها.

«ماذا يحدث إذا ضربت رأسك في هذا الحائط؟» قلت لها بسرعة: «ستُفتح رأسي ويسيل الدم وتضربني أمي، بل أبي.»

«هكذا عليك أن تتخيل من يتهكم عليك ويقول عنك إنك تخين»، «بل يقولون «جميز تخين» لأني كثيرًا ما كنت أحتمي بشجرة الجميز هربًا من سخافاتهم.»

«إنما شجرة الجميز لتلعب تحتها وليس لتحتمى بها.»

«وماذا عن معلم الفصل الذي يطلب مني أن أجلس في منتصف الفصل حتى لا تميل بنا؟»

«تخيله أيضًا يضرب رأسه في الحائط وأنت تسخر من فعله.. اضحك.. واضحك!»

«وماذا عن أبي؟» قالت: «وأبوك أيضًا.. كن قويًّا بعقلك.. لا تنظر خلفك.. طاردهم بنجاحاتك، النجاح قوة.» وجدت ضالتي عند جدتي.. أظلني الليل ولأول مرة أجد نفسي شغوفًا لأن تشرق الشمس.

مررت بجوارهم.. وهم يسخرون مني وأنا أضحك.. وقفت بجوار شجرة الجميز وطبعت قبلة على خدها.. لم يلحظ مدير المدرسة أني في انتظاره في طابور المدرسة.. مل الجميع من لقب جميز تخين.. وتملكهم الفضول عن سر ضحكتي التي من القلب.

اقترفت حبك عمدًا

د. نيفين صبح

في معتقل الصمت، دائمًا ما تنفلت الآهات والأفكار أحرارًا. آهات لا تتسول شفقة وأفكار لا تخشى سخرية. نعم أعترف.. لقد وقعت في براثن حبه عمدًا وأنا بكامل وعيي البريء وحرة قراري. لكنني اكتشفتُ منذ أحببته أنني أتقنت مهارة الصمت لا الكلام.. مهارة الشرود اليقظ لا الشعور بالأمان والاحتواء. عبثًا حاولت في البداية تحليل الأمر، لعلي أفهم متى وكيف حدث ما كنت أخشاه وأتجنبه، وانتهيت بعد عناء مضنٍ إلى الإذعان إلى تلك القاعدة الحياتية العظيمة التي تقول: «نحن نعيش في عالم بائس ولكن الأكثر بؤسًا هم من يحاولون فهمه.» إذًا كفاكِ بؤسًا يا صغيرتي ولا تحاولي فهم شيء، فلديك في حياتك من اللا مفهوم ما يفيض عن المنطقي وبل ويكفي أيضًا لتصديره إلى حياة الآخرين.

كل ما أتذكره في أول لقاء بيننا تلك اللحظة الخاطفة، والتي بحسابات الوقت العادية لم تدم أكثر من دقيقة، لكن وقعها كان كالصاعقة التي عصفت بي فغيرتني لبقية العمر. عندما رأيته كساني صمتٌ مهيب وثبتُّ

نظري في عينيه، فبادلني الصمت بصمت وأبت عينانا السكوت. اقتحم قلبي بنظرة عين جريئة يملؤها الفضول لاكتشافي، نظرة حانية مغلفة بحزن ملفت أثار فضولي أيضًا. كان في عينيه من الحزن ما عكس وهن روح واضحًا لمن يريد أن يرى، فأطلت التحديق في عينيه وكأنني أنظر إلى مرآة تعكس صورتي أنا أو إلى توأمي المتطابق.. وهذا ما أدهشني وروعني في نفس الوقت حينها. ولعله فطن هو الآخر مني ما فطنتُ منه واجتاحه نفس الشعور، لأنه أطال النظر والتحديق في عيني أيضًا مثلما فعلت أنا معه. تملكني حينها إحساس أنه يعاني بشدة، على الرغم من مظهره الثابت الأنيق وبرغم رائحة عطره الأخاذ التي أشاعت شعورًا مفعمًا بالبهجة بمجرد دخوله المكان.. لقد سيطر عليَّ لحظتها إحساس غريزي بالأمومة التي لم أجربها وعاطفة بالحُنُوِّ لم أعهدها في نفسي، كانت تدفعني دفعًا للاقتراب منه وطمأنته. لكنني بالطبع لم أفعل، لأنني في الأساس لا أعرفه.

من كثرة الألم وتجارب الخذلان التي مررت بها بت خبيرة في نظرات عيون البشر وفي سبر أغوار معانتهم من تلك النظرات، والتي يتفننون في مداراتها، لكن هيهات. مؤمنة أنا أننا جميعًا نناضل في حروب ضروس وبشكل يومي، نحاول فيها جاهدين أن ندافع عن آخر ما تبقى من أراوحنا النقية التي عهدناها في أنفسنا، آملين أن ننجو من قبح هذا العالم. لكن هيهات.. تعددت الحروب وفتات الروح واحد؛ ففي لعبة الحيوات المتقاطعة التي نحياها جميعًا، نظل نحلم دائمًا بالنهايات السعيدة التي لا تأتي أبدًا، فينعكس ذلك في صورة حزن مقيم في أعيننا، نعجز عن مدارته ببهرج الثياب والعطور مهما حاولنا ويظل جليا في أحداقنا، يمكن أن يلمحه كل من كان به بقايا قلب إنسان يحس ويشعر.

بمجرد أن عرفته أشرق وجهي بشمس عشقه، فأشرقت حياته. حينها أدركنا أن نور حبنا هو الشمس الحقيقية التي ستمحو ظلام ماضينا الدامس

وتطوي صفحات ذكرياتنا الأليمة طيًّا. هو وأنا كنا قد كفرنا بالحب، حتى أصبح مادة للسخرية في حديثنا مع الآخرين.. ثم عدنا وعاهدناه من جديد بكامل إرادتنا بعد أن جددنا له البيعة. كانت النظرات كلامنا والموسيقى حديثنا. لقد اكتشفنا ونحن معًا أن هناك ثمة موسيقى كالقُبلة.. كالسجدة.. لا يمكن أن نتذوق حلاوتها إلا ونحن مغمضي العينين متشابكي اليدين، فذُبنا فيها وتركناها تذوب فينا لتجدد خلايا قلبنا، الذي خُيل إلينا من الأسى أننا فقدناه أثناء رحلتنا المريرة مع الحياة. كانت تلك الموسيقى تشيع في أرواحنا أعذب أحاديث العشق دون أن نحتاج إلى أن نترجم أحاسيسنا إلى كلام مسموع. لقد تجسدت بطلته البهية صورة فارس أحلام حقيقي أمام عيني الذي كان حين يمر من أمامي ينير بعبق عطره المكان، فيوقعني في حيرة ويجعلني أتساءل.. كيف لعطر أن يغير جغرافية مشاعري لفرح من بعد أحزان.. وأصبحتُ سلطانة قلبه التي جعلها بحبه تعتلي عرش الحياة وتمتلك خزائن كنوزها. في تفاصيل ملامحه تجسدت في عيني الجنة، فرحتُ أنهل من أنهار العسل في عينيه وشربت كثيرًا لكن ما ارتويت. كل شيء معه كان مبهرًا غريبًا وخاطفًا. كان ممن منَّ الله عليهم من العلم الغزير ودفء المشاعر بوافر فضله، وهو ما فتح به أمامي أبواب دنيا جديدة لم تطأها قدماي من قبل في مجالات شتى.. لقد جعلني أكتسب الحياة بعيون جديدة وكأنني طفلة تكتشف من خلاله العالم. كان يفرحه بريق عيني الطفولي الساذج أحيانًا عندما كنت أتعلم منه شيئًا جديدًا، فأنبهر وأضحك بتلقائية، كضحكة طفل فاجأته أمه بطبق من المثلجات بالنكهة التي يفضلها. كثيرًا ما كنت أسرح أثناء لقاءاتنا في وقع رنين صوته المتقطع الهادئ على مسامعي وكأنه أحد أغاني فيروز الصباحية يحمل في طياته عبق رائحة القهوة التي أعشقها. لا بل كان صوته خمرًا، وكل الخمر حرامٌ إلا خمر صوته هو عين الحِلِّ لمن فيه هام.

لكن هكذا هو حال الدنيا، دومًا بلا كمال، فبرغم الحلم الجميل

الـذي عشـته معـه تبـين لي بمـرور الوقـت أنـه يعـاني مـن مـرض الرجـل الشرقـي العضـال، الـذي لسـوء الحـظ لم يكتشـفوا لـه ترياقًـا حتـى الآن. إنـه ذلـك المـرض، الـذي تظهـر أعراضـه في إحسـاس مزمـن بحـق البطولـة الفرديـة المطلقـة وحـق تقريـر مصائـر النسـاء في حياتـه دون الرجـوع إليهـن. مـرض جعلـه يكفـر بحبـه بمجـرد أن ظهـرت مسـئولية لم يقررهـا هـو، فأصبحـت المـرأة التـي عشـقها والتـي كان ينـاصر حقوقهـا ضـد مجتمـع يملـؤه الرجعيـة والتخلـف، امـرأةً لعـوب فجـأة، غـررت بـه وأغوتـه كشـيطان محـترف، بـل وانتهكـت براءتـه الملائكيـة بدعـوى الحـب. ولأن الحـب كالحـرب لا ينتـصر فيـه سـوى الفرسـان الشـجعان، كان قـدري أن أعشـق فارسًـا جبانًـا ممـن تولـوا يـوم الزحـف. لكـن كيـف لي أن ألومُـه أن طغـى وأطفـأ في العشـق شـمعي، وأنـا مَـن أنزلـتُ رَحْـلي عنـده بـوادٍ غـير ذي زرعٍ! مـرت عـلى قلبـي ليـالٍ دامسـة وشـهور حالكـة زادَ عـليَّ فيهـا مـن كل ألـوان الصَّـدِّ، فخَفَـت الـودُّ وبـات الوصـال مُحـال. نعـم، لقـد زَرَعـتُ الصـبر في قلبـي سـنين عـددًا، فـزادني مـن سـنينه العجـاف المزيـد، فـلا الصـبر الجميـل داوى جـراح قلبـي ولا أهَلَّـت ريـح بـشرى تعـد معـه بـأي شيء جديـد. لقـد حولنـي بهجـره لحلـزون رخـو مجبـور عـلى الزحـف ببـطء عـلى نصـل حـاد.. ثباتـه يـؤلم ومسـيره يجـرح.

نعـم، لقـد أرهقنـي الانتظـار لسـلام لا يـأتي فتحاشـيت، وأذابتنـي نـار الشـوق للقـاء لا يجـيء فتلاشـيت.

أيا أيها العاشقون الصادقون:

أحبُّوا الحزن.. اعشقوا الخذلان..

املؤوا بهما ثنايا قلوبكم!!

ذوبوا فيهما بكل صدق!..

فلعلهما يرحلان مثلما رحل كل شيء أحببتموه.

لحظات عصيبة

بقلم: حبيبة وسام البحيري

كان العام الأول في المرحلة الإعدادية في مدرستي الجديدة، بدأت التعارف مع زميلات فصلي.. يومًا بعد يوم ونحن نتعارف ونتبادل الأسماء وأرقام هواتفنا فيما بيننا، كنا نقضي أوقاتًا طيبة، حتى كان ذلك اليوم العصيب الذي لا أنساه.

رجل معلق في حبل خلف مبنى شبه مهجور، الرجل صار اثنين.. ثم ثلاثة.. الدماء تتناثر.. عيونهم جاحظة.. قطط سمراء في الممر المهجور.. صياح وصراخ رعب.. الكل يجري.

هكذا روت بعض زميلات المدرسة ما رأينه خلف المبنى، كن يقفن على أطراف الممر ويهرولن مسرعات وقد تملكهن الخوف والرعب.. سرت هذه الحالة في جسدي.. شُل تفكيري، ماذا أفعل؟ فلم أقع في مثل ذلك من قبل.

وأنا في طريق العودة مع أبي، كنت لا أتحرك وعلى غير المعتاد لم أطلب سماع أغنيات بعينها، بدأ أبي يتأملني من مرآة السيارة متسائلًا: «هل من أمر ما حدث؟»

أخفيت عليه الأمر.. لم أستطع النوم في تلك الليلة ولا التي بعدها.. قررت أن أخرج من صمتي وارتميت في حضن أبي أحكي له ما حدث، فإذا به يزرع الأمان في قلبي ويقرر أن يدخل معي هذا المبنى المهجور.

مشيت على الممر المهجور مطمئنة بصحبة أبي، بينما زميلاتي ينظرن للأمر بدهشة، علمت أنها مجرد خدعة، اتَّبعنا الجميع دون أن نُعمل عقلنا أيعقل هذا أم لا.. ومن يومها تعلمت ألا أكون إمعة.

بنت القرية

بقلم: ياسمين وسام البحيري

كانت هناك فتاة لا تستطيع الخروج من بيتها لأنها لا تمتلك ملابس جديدة، فحينما تخرج لشراء احتياجات بيتها تجد الأطفال في عمرها يسخرون منها وتشعر بالضيق.

ذهبت إلى أمها قائلة لها إنها تشعر بالضيق لأنها ليست في أفضل حال مثل أطفال القرية، فقالت لها أمها: «إن شاء الله سنكون غدًا في حال أفضل.»

انتظرت غدًا حتى تكون في حال أفضل.

عادت البنت من مدرستها لتجد أمها تبيع بجوار بيتها قليلًا من الحلوى، وسألتها: «ما هذا يا أمي؟» فأجابتها: «هذا ما يجعل غدًا هو الأفضل.»

يومًا بعد يوم كانت الفتاة تساعد أمها في البيع والشراء، ومع انتهاء سنوات دراستها في الإعدادية أخبرتها أمها أنهما ستنتقلان إلى بيت جديد في المدينة فقد أجَّرت بيتًا هناك.

فرحت بنت القرية، فقد جاء اليوم الذي صارت فيه في أفضل حال.

(١) دوران

بقلم: إيمان يوسف

بين القصائد الشعرية وأقوال من حب وغزل جميعها قفيتها بك، حتى ما عاد لي حديث غيرك.. أيهمني الحب والصدق أنا!! أيهمني العشق أنت! أقف بين السطور أتأملك بين حائل قلمي وقلبي، أتخلل بعينيَّ بين العالم لعلني بنهايته أقف إليك.. أتظنني عنك تخليت؟ وكيف يكف النبع عن جريانه! هل تكف الشموس عن الدوران وتكتفي بالظلمة؟ هل تكف النجوم عن البحث عن قمرها، وتحترق؟! قمر أنت مضيء أراه كيفما حللت بذات الأرض وإنني إن غفوت تعلو سمائي وتجذبني إليك.

(٢) كأني

بقلم: إيمان يوسف

كأني أراك للمرة الأولى.. تلك اللمعة في عينيك ومضت بقلبي.. انعكاس قمر بها.. تلك الابتسامة المخبأة لداخل ثغرك تجرني للغرق فيهما.. بمسارات شفتيك أنسى نفسي.. بين حروف تنساب بينهما فتلفظني خارجها، فلا أجدني.. أكاد من طرفة عينيك أن أنهار سقوطًا للأسفل.. أتشق لي الأرض نفسها؟ ولكني لا أجد أرضًا أو سماء.. تنسحب الأرض تحتي بلا جاذبية.. فقد تُركت لك كاملة.. سحقًا لتلك القوانين.. إنني بعالمك الخاص الآن.. أرى بعينك مجرات وكواكب.. جميعها يحترق كلما أقترب.. وأجدني ها أنا أقترب.. تلك الأنفاس المشتعلة بصدري.. تزايد على شهب عينيك.. فتغرس بقلبي أسهمًا تشتعل.. تعيد ترديد اسمًا كان لي.. ولكني أنصت لصوتك يشدو بأذني.. فهو لك.. كيفما وُجدت فهو لك.. وإن اختل عالمي بالكامل.. فلم أعد أجد لي قاعًا أو أفقًا.. إنني بفضائك أطفو بلا جسد.. وتلك النجوم التي نثرتها.. هي ضحكاتك التي نسيتها.. تتلألأ لي كل يوم..

(٣) ذراع مجرة

بقلم: إيمان يوسف

أغمضت عيني.. لعلني أجدك.. ها أنت هنا لأصفك.. بين قلبي وقلبك.. تلك المعضلة.. إننا نتشارك سرًّا يقتلنا.. ولكني أراك بعينيَّ ترسم حبًّا، لونًا أحمر.. يسكن قلبي.. رفقًا رفقًا.. أشهق أنفاسي بصعوبة.. أهو حلم؟ كيف لو كنت تراني أكتبك.. ارتعاشة يد بين حروف تقوى عليها.. صمت يجبر بوحًا أن يتنازل أحدهما.. فلا ينتصر أحد منهما.. تبدو عيناك ذراع مجرة، تسحب من يقترب لداخلها.. حمقاء من تقترب.. فأنت تجيد فهم نسائك.. ولكني أجيد تلك القدرة.. تحيطنا نفس الهالة.. نورانيان بجدارة.. لا يتلاعب أحد فينا بمن لا يجذبه.. إن الشمس والقمر لا يغريهما تعدد النجوم.. وإني أراك قمرًا بسمائي.. عاشقًا وإن لم تعشق.. ساحرًا وإن ادعيت غير ذلك.. تحيط عينك تلك اللمعة تخفيها.. إنك تجيد غموضك فينا.. ولأن الحب يوصف قلبك.. لا تخبرنا.. ولهذا أجدني أريدك.. أريد أن أصفك.

القديس

بقلم: محمود العادلي

نهضت هند ثقيلة من نومها، وجلست على طرف السرير، تنظر إلى الأرض، تدافع أكثر من فكرة وذكرى قاتمة وجاثمة فوق أنفاسها. مشت مريم مشعثة الرأس عبر غرفة نومها، تتمنى لو أن دورة المياه فارغة، والممر فارغ، والغرف فارغة، ولو أن هذا البيت كانت تحيا به بمفردها، دون أن يزعجها أحد.

خرجت نهى من الخلاء، ورأت أباها وعمها جالسين هناك في البهو يطالعان الجريدة ويرشفان من كوبي شاي، راقبتهما للحظات كأنها تتأكد أنهما أبوها وعمها، نظر إليها أبوها وقال: «صباح الخير»، لكنها لم تجب.. فقط اكتفت بالحملقة الباهتة ثم عادت إلى غرفتها.

هند تكره الصباح، وصوت المذياع الذي ما زال أبواها يستغنيان به عن التلفاز، وتكره صوت الهاتف حين يدق بالأرقام الغريبة، بعد أن كانت منذ أشهر يدق قلبها فرحًا وأملًا كلما ظهر على الشاشة رقم غريب، لكنها الآن تخاف منها؛ لأنها منذ مذبحة حبيبها العشقية دومًا ما تأتي بالأصوات النسائية المغلفة بالخيبة، ولا تأتي أبدًا بصوته الذي تشتاقه جحيمًا في يومها

.بدلت مريم ملابسها مسرعة، ووقفت أمام «التسريحة» العريضة المقسومة إلى شطرين كل شطر يحوي نسخة من أحمر الشفاة وأقلام الكحل ومساحيق التجميل والعطور، لكن أقلام الشطر الأيسر كانت طويلة وعبوات مساحيقه وزجاجات عطره كانت ممتلئة.. أمام الشطر الأيمن عدلت من شعرها واكتحلت ووضعت المساحيق، ورفعت أحمر شفاها القاتم، وهمَّت أن تلون شفتيها به، لكنها نظرت إلى المرآة قليلًا ثم مدت يدها في تردد إلى أحمر الشفاه الناري فوق شطر التسريحة الأيسر، ورفعته إلى شفتيها ولونتهما به في بذخ، ونظرت إلى فتاة جميلة كانت تقف أمامها في المرآة وابتسمت كل منهما للأخرى، ثم أخذت حقيبتها وخرجت من غرفتها.

مرت نهى بالممر ثم توقفت عند مدخل البهو، وخلف الحجاب الفاصل بينهما أغمضت عينيها، وصنعت تقطيبة قاسية على جبينها، وتنهدت بنفس عميق، ثم رفعت الستار وسارت بخطوات سريعة نحو باب الشقة، حين صاح عمها باسمها، فتسمرت مكانها ولم تلتفت إليه، قال لها: «إلى أين؟» قالت: «إلى إحدى صديقاتي»، سألها إن كان معها ما يكفي من النقود فأخبرته أن نعم، لكنه أصر على أن يعطيها المزيد، فسارت على مضض نحوه، وسحب في خفة من جيبه مائة جنيه، ومد يده بها نحوها، لم تكن تنظر إلى عينيه، مدت يدها لتأخذها منه لكن يدها لامست يده عرضاً، فأصاب جسدها رعدة شديدة وسحبت يدها من فورها، وسقطت ورقة المائة جنيه على الأرض.. نظر إليها أبوها في تعجب وسألها: «ما بك؟» لكنها لم تجب، فقط حملقت في عمها في فزع ثم أسرعت نحو الباب وغادرت، وأخذت تعدو فوق الدَرَج كهارب من حريق، سأل عمها أباها في براءة مصطنعة: «ما بها؟» فأجابه: «دعك منها إنها مخبولة!»

أمام بيتها، لم تنتظر هند طويلًا حتى جاءت سيارة أجرة وقفزت في مقعدها الخلفي، ونظرت في ساعة يدها في قلق، إنها ستتأخر عن معادهما الأول، فكرت أن رجلًا مثله لا شك لا يقلق من المواعيد الأولى كما تقلق الفتيات المتواعدات معه، لا بد أن أسئلته وجمله جميعها معدة مسبقًا، وساحة المعركة مهيأة لنصره وهزيمتهن قبلًا، مهما شحذن أسلحتهن من أجوبة الهروب ودروع الصمت، لن يصمدن أمام رجل في براعته.. لكنها لم تكن تريد هزيمته، بل بكل كيانها تتمنى لو يهزمها، ويحتلها ليمحو كل أثر لمحتل سابق قد حطمها.. تتمنى لو يشفيها من حب الراحلين ولو بالكلام المرير والدواء المر، وينتشلها من حواف الانتظار المهين التي قضت أشهرَ فاتت فوقها بين الحياة والموت.. أيقظها من سبات أفكارها أبواق السيارات خلفها تنبه سائق سيارتها أن الإشارة قد انقلبت للأخضر، لقد كان في شغل عن أخضر الإشارة بأحمر الشفاه الناري المثير فوق شفتي تلك الفتاة التي تقود السيارة الفارهة على يساره.

في ضيق، أغلقت مريم زجاج السيارة الأيمن، وانطلقت، ثم نظرت إلى المقعد الخالي عن يمينها، تحسسته بيدها، لقد مل هذا المقعد الفراغ، لقد اعتاد أن يحوي مرام حين تقود مريم أو يحوي مريم حين تقود مرام، واعتادت المسافة بين المقعدين أن تحوي نكاتًا وضحكًا وعتابًا وشجارًا، وطمأنينة أن «توأمي هنا بجواري»، لكن مرام الآن ليست هنا، إنها بعيدة جدًّا، بعيدة بقدر ما تبقى في عمر مريم! حين واتتها تلك الفكرة، تسلل الدمع من عينيها، ودهست بكل قوتها دواسة البنزين، تريد أن تدهس ما تبقى من عمرها كي تلحق بمرام، ولكنها تذكرت ذاك القديس الفصيح الذي قابلته منذ أيام، وكلماته البلسمية التي أعطتها أملًا ولو ضئيلًا في الحياة، وتذكرت وعدها له أن

تعتني بنفسها ولا تؤذيها مهما كان، إن لم يكن من أجلها أو من أجله فمن أجل أختها مرام، وأن تأتي في ميعادهما اليوم محملة بالأمل ولا شيء آخر، فدهست بكل قوتها مكابح السيارة بعد أن كادت تصطدم بسور الطريق..

توقف ميكروباص بجوار سيارتها، ونزل سائقه والركاب للاطمئنان عليها، إلا راكبة واحدة كانت تجلس منكمشة في المقعد الأخير، نهى.. تجلس شاردة عن كل ما يحدث منذ أن استقلت العربة ووضعت حقيبة يدها بينها وبين ذاك الرجل العجوز الذي كان بجوارها، كانت تفكر في تلك الجرائم البشعة التي تحدث كل يوم في الغرف المغلقة والتي دومًا ما يفر جانيها من العقاب، بل لا يحتاج فيها الجاني إلى الفرار ولكن يواجه ضحيته في الصباح في وقار وقح متقمصًا دور العمومة، بعد أن كان ذئبًا في الليلة السابقة يفتش في الغرف عن ابنة أخيه التي اعتاد أن يتحرش بها منذ صغرها.. إنه يحب خجلها، الذي كان يمنعها من أن تمنعه، ويمنعها من أن تخبر أباها عما كان يفعل أخوه بها، وزيادة للحرص وأأمن للسر فقد ظن أنه بإمكانه أن يشتري سكوتها، بالرشاوي الصباحية، بدءًا بالحلوى في صغرها وانتهاء بالمائة جنيه الآن! لكنه كان مخطئًا.. لطالما ظنت أنها ليس لها من سبيل أن تفصح لأحد بما يجري، لم يفهم أبوها قط سر زيارات أخيه المتكررة، ولم يفهم سر امتعاضها وخوفها وتربسة باب غرفتها كلما جاء، بل كان يسبها ويهم بضربها كلما عاملت عمها بأسلوب فظ.. هو لم يفهم، أو لم يرد أن يفهم، لكن لايهم، لقد وجدت أخيرًا من تستطيع أن تفصح له بكل شيء دون خوف، لقد أخبرها قبلًا أنها ليس عليها أن تشعر بالعار أو تأنيب الضمير، وأنها فقط ضحية، وكل من حولها قد تواطؤوا عليها بقصد أو بدون قصد.. إنه الرجل الأحد الذي تثق به، وتحب

رؤيته والجلوس إليه، النسيم القادم من النافذة والمعبأ بالأمل يداعب وجهها، إنها في طريقها إليه الآن!

عند مدخل بناية فخمة توقفت سيارة أجرة، وترجلت منها هند وسارت في تردد نحو الدرج، وصعدت طابقين، لتقف أمام شقة مفتوحة الباب، إنها شقة القديس أخيرًا، كان هناك رجال ونساء متناثرون فوق مقاعد البهو، ودون أن تختار مقعدًا ذهبت قدماها نحو ذاك المقعد الفارغ بجوار فتاتين في مثل عمرها جميلتين مثلها، جلست الثلاث في صمت، وكل منهن تظن أنها أشقى فتاة خلقها الله، وأن خلف ذاك الباب المكتوب عليه «غرفة الطبيب» ربما يجدن لشقائهن دواء.. ربما..

حكاية سارة الراوي

بقلم: أحمد محروس

- طب بس أما أشوفك يا إبراهيم.. والنبي لأطين عيشتك.. علشان أنا قلت لك ميت مرة قبل كده تبقى تسيب موبايلك مفتوح علشان ترد على مكالماتي خصوصًا لما أبقى مسافرة.. أكتر حاجة بتجنني من إبراهيم لما يهمل في الرد على مكالماتي خصوصًا لما أبقى مسافرة أو عند ماما.. أنا.. أنا تعمل فيا كده بعد الحب اللي حبتهولك ده كله.. وِدِيني لأطين عيشتك وأخلي نهارك أسود من قرن الخروب..

هكذا خاطبت نفسها وهي تنزل سلالم الفيلا الخاصة بها في مرسى علم، حاملة طفليها سمر وهاني لتضعهما في السيارة الموستانج الحمراء لتبدأ رحلة العودة الجنونية من مرسى علم إلى القاهرة بسرعة ١٤٠ كلم في الساعة.. الرحلة التي لن تستغرق أقل من ١٠ ساعات حتى تصل إلى مشارف القاهرة.

«أنا سارة الراوي.. خريجة كلية الفنون الجميلة بالزمالك.. عمري ٣٥ سنة.. أبويا عبد العزيز بك الراوي.. من كبار موظفي الدولة في عهد جمال عبد الناصر وفي المرحلة الأولى من عهد السادات لغاية

سنة ١٩٧٧.. أبويا كان واحد من الضباط الأحرار.. خدم مع جمال عبد الناصر في عدة وزارات ومواقع مختلفة: هيئة التحرير.. الإصلاح الزراعي.. الإتحاد الإشتراكي.. وزارة التموين اللي وصل فيها لمنصب وكيل أول الوزارة. لما مسك السادات رحمة الله عليه.. حب يستفيد بخبرة والدي فاستدعاه من وزارة التموين علشان يساعده في تأسيس الحزب الوطني الديمقراطي.. التكريم الأخير لوالدي من السادات إنه عينه محافظ كفر الشيخ من سبتمبر ١٩٧٥ لغاية يناير ١٩٧٧. لما والدي حضر مظاهرات يناير ١٩٧٧ أيقن أن الأسس الاشتراكية اللي اتبنت عليها دولة جمال عبد الناصر في طريقها إلى الزوال والاختفاء.. نفسيًّا آثر الاستقالة والبعد عن السياسة.. وكمكافأة نهاية خدمة من النظام أهدوه توكيل قطع غيار فرنسي لإحدى أنواع السيارات اللي كانت داخلة جديد أيامها في بداية انفتاح السوق المصري، وعرفوه على واحد من باشوات الانفتاح اللي كانوا لسة نازلين جديد في السوق أيامها.. قالوا له: «يا عبد العزيز بك.. آن الأوان علشان تستريح.. إنت تروح النادي تدلدل رجليك في مياه البيسين وتفرد طولك على الشيزلونج طول النهار في الشمس.. وماتقلقش من حاجة، الباشا الصغير (يقصدون رجل الأعمال الانفتاحي) هو هايخلص كل حاجة ويديك نسبتك آخر الشهر.»»

ولأن عبد العزيز بك كان رجل الصراحة والاستقامة اللي خدم طول عمره بأمانة.. فهو اعتقد إن ده اتفاق جنتلمان بين النظام وبين الانفتاحي سيلتزم كلاهما بتطبيقه بحذافيره.. ولكن أنَّى للذئب الجائع الشره أن يلتزم باتفاقات.. أثناء تكوين الشركة المصرية اللي حتاخد توكيل الشركة الفرنساوي، حصل الانفتاحي على أوراق كثيرة عليها توقيع عبد العزيز الراوي ومعظمها على بياض.. وكان الراوي عندما

يسأله يقوله: «امضِ يا عبد العزيز بك.. حنحتاجها قدام».. بعد سنتين من تأسيس الشركة وبعد التزام الانفتاحي بنسبة الأرباح طوال السنة الأولى من عمر الشركة، فوجئ عبد العزيز الراوي بالانفتاحي يطلب منه طلبات غريبة ومريبة.. تأشيرات حج وعمرة.. أذون استيراد أخشاب وحديد.. مساعدته في الحصول على قروض من البنوك بطرق غير شرعية.. وعندما رفض الراوي بك الامتثال.. فوجئ بالانفتاحي يهدده بأنه تحت يده أوراق عبارة عن إيصالات أمانة وشيكات خطية تضعه في السجن ما تبقى من عمره.. أسقط في يد الراوي.. لم يجد غير سارة ابنته يلجأ إليها لتساعده في محنته.. قالت له سارة: «ما تخافش يا بابا.. عندي الحل».. لم يكن الحل في نظر سارة يزيد عن إبراهيم السبع..

ذلك المحامي الهمام الذي تعرفت عليه من أيام الكلية.. كان ذلك في بداية السنة الجامعية التانية في كلية فنون جميلة.. صحيح أن مظاهرات يناير ١٩٧٧ اللي كانت رجت مصر كلها كانت قد مرت.. ولكن كانت الحركة الطلابية الناصرية أو الشيوعية ما زالت نشطة وقوية في سنة ١٩٧٨.. ما إن سرت شائعة بأن السادات في طريقه لمعاهدة صلح وسلام دائم مع إسرائيل، إلا وانفجرت الجامعات بمظاهرات ضد هذا القرار من كافة الاتجاهات.. خرجت سارة الراوي في إحدى هذه المظاهرات المخملية فتم القبض عليها هي و١٥ من زملائها الطلاب وأُودعوا حجز قسم قصر النيل بالدور الأرضي (البدروم) ٤ أيام على ذمة التحقيق.. ٤ أيام قضتها سارة بدون أكل ولا نوم.. استيقظت سارة من غفوة رغمًا عنها في السابعة مساء في نهاية اليوم الرابع بالحجز، لتلمح فارس أحلامها لأول مرة وهي بين النوم والاستيقاظ.. تنظر إلى ذلك الشاب المفتول العضلات.. أسمر طويل القوام.. يشخط في أمين النبطشية بعلو صوته:

- أنـا جايـب أمـر الإفـراج معايـا مـن النيابـة في إيـدي.. العيـال دي حاتـروح معايـا الليلـة دي..

- يـا أفنـدم ماينفعـش.. حـضرة الضابـط النبطـشي مـش موجـود.. الصبـاح ربـاح..

- العيـال دي لـو ماروحتـش معايـا.. الضابـط بتاعـك هـو الـلي حيزعـل الصبـح..

اتصـل أمـين النبطشـية بالضابـط.. فأمـره بـصرف المحجوزيـن الخمسـة عـشر فـورًا.. كانـت سـارة وهـي تخـرج مـن القسـم تنظـر إلى إبراهيـم السـبع كأنـه أحـد أبطـال الأسـاطير.. هرقـل أو سـوبرمان أو مـا شـابه.. وبالفعـل بـدأ اسـم إبراهيـم السـبع يشـتهر كأسـطورة في أوسـاط الحركـة الطلابيـة.. حتـى إن إبراهيـم سـمع اسـمه بالفعـل يـتردد كشـعار (Slogan) في إحـدى المظاهـرات: «مـا دام السـبع جالـك.. اعمـل مـا بدالـك».. أحـس إبراهيـم السـبع بخمـرة النـصر تديـر رأسـه بعدمـا سـمع اسـمه يـتردد في إحـدى المظاهـرات.. شـهرة كاذبـة لم تعـد عليـه إلا بمكتـب محامـاة حجرتـين وصالـة في الزاويـة الحمـراء..

لجـأت إليـه سـارة في أزمـة والدهـا.. إبراهيـم قـال لهـا: «ماتخافيـش يـا سـارة.. كل بنـي آدم في الكـون عنـده نقطـة ضعـف.. المهـم نلاقيهـا.» بـدأ إبراهيـم يفتـش عـن نقطـة ضعـف الانفتاحـي.. وجـد ضالتـه في عقـد زواج عـرفي مـن راقصـة درجـة عـاشرة تملـك إحـدى البـارات المليئـة بالمخالفـات في الشـوارع الخلفيـة في منطقـة وسـط البلـد.. كان إبراهيـم السـبع لـه بعـض أصدقـاء في المحافظـة، قامـوا بحملـة أمنيـة عـلى البـارات غـير المرخصـة، وأغلقـوا الحانـة المملوكـة لزوجـة الانفتاحـي وشـمعوها بالشـمع الأحمـر.. باتـت ليلتـين في الحجـز.. وفي اليـوم الثالـث صباحًـا ذهـب لهـا إبراهيـم

في القسم وأفهمها بأن مشكلتها لن يكون لها حل إلا إذا قالت له شيئًا مفيدًا فيما يتعلق بالانفتاحي.. وكانت المفاجأة.. مفتاح معلق برقبة الراقصة خاص بخزانة في شقة الزوجية يخبئ بها الانفتاحي كل مستندات القذارة والفساد الدسمة.. قالت له وهي تناوله المفتاح: «خد ما بدالك يا أستاذ.. المهم تخلصني من هنا.» ذهب السبع إلى الشقة، وفتح الخزنة، أخذ ٤ مستندات من العيار الثقيل.. العيار الثقيل للفساد.. عمل ٥ صورًا للمستندات.. ثم قام بتوزيعها على أماكن متعددة.. ثم اتجه رأسًا إلى علبة الليل التي يسهر فيها المليونير الانفتاحي.. كان في انتظار فريسته الجديدة راقصة درجة تالتة أخرى.. اتجه السبع رأسًا إلى طاولة الانفتاحي ثم جلس وصب لنفسه كأس كونياك من الزجاجة التي في منتصف الطاولة.. سأله الانفتاحي:

- إنت مين؟

- أبدًا.. جاي أشوفك بتشرب خمرة مغشوشة من اللي استوردتها السنة اللي فاتت!!

- أنا باجيب خمرة مغشوشة.. إنت سكران يا بني!

- طب وصفقتين قطع الغيار اللي هربتهم من الجمرك السنة اللي فاتت واللي قبلها؟

عندها أدرك الانفتاحي أنه يحدث رجلًا يعلم ماذا يقول.. وأنه لا بد لديه مستندات.. فسأله:

- ماذا تريد؟

- أوراق عبد العزيز الراوي.. يا إما سيادتك حتخش السجن ١٠ سنين..

- طب وأوراقي اللي عندك؟

- مالكش ورق عندي..

- طب والضمان؟

- الورق هو الضمان.. لو إديتك الورق.. يا حتقتلني.. يا حتقتل عبد العزيز بك.. وإحنا الاتنين عاوزين نعيش.. الورق ده يضمن لنا إنك تفضل تسكر علشان تنسى الـ ١٠ سنين الجايين..

وافق الانفتاحي على مضض.. كان ثمن هذا المعروف هو زواج سارة الراوي من إبراهيم السبع.. كانت أوراق الراوي أبيها هو مهرها. انتقلت سارة إلى العيش مع إبراهيم في شقة والدته بالضاهر إيجار قديم.. بل ورضيت بأن تخدم والدته في مرضها العضال أول سنتين من زواجهما حتى توفاها الله. مرت السنوات الخمس الأولى من هذه الزيجة في سلام وسعادة غامرة.. كانت ثمرة هذه السنوات الخمس سمر وهاني.. ثم كانت المفاجأة..

«كانت أول مفاجأة ضربتنا بيها الحياة في السنة الثامنة لزواجنا إني اكتشف إن هاني ابني اللي كان عمره أيامها ٣ سنين اتولد بعيب خلقي في القلب ومحتاج يعمل عملية جراحية عاجلة.. كمان اكتشفنا عنده عيب وراثي تاني.. ترتب على الموضوع ده إن عملنا له ٣ عمليات جراحية اتكلفت حوالي ٣٥٠٠٠٠ جنيه مصري.. وده كان أيامها مبلغ مهول سنة ١٩٨٦.. المهم إبراهيم عرف يتصرف واستلف المبلغ من شركة عقارات يملكها أصحابه وكتب على نفسه شيكات وكمبيالات ما ليها أول من آخر. وفي يوم لقينا الباب بيخبط.. قام إبراهيم فتح الباب.. لقينا واحد شكله كريه واقف على الباب برة.. سأله إبراهيم:

- خير؟

- الباشا عاوزك.

- باشا مين؟ ما عبد الناصر الله يرحمه لغى الكلام ده من زمان.

- الباشا صاحب الأمانة اللي عندك من ٨ سنين.. تعالَ بكرة وإنت تعرف مين.. هو هيبقى مستنيك الساعة ٧ بالليل في كافيتريا الشيراتون قدام قسم الدقي..

لبس إبراهيم السبع هدومه تاني يوم.. وراح يقابل الباشا اللي عاوزه.. أول ما دخل كافيتريا الشيراتون.. لقاه هو نفسه.. المليونير رجب النكلاوي.. نفس الانفتاحي الفاسد اللي كان أجبر عبد العزيز بك الراوي على التوقيع على أوراق على بياض من ٨ سنين. رجب النكلاوي.. شخص غير متعلم ويحمل شهادة محو أمية.. بدأ حياته حرامي خزن وهجام شقق.. له ٤ سوابق في هذا المجال الإجرامي.. اتجه بعد ذلك إلى تزوير عقود الأراضي والاستيلاء على أراضي الحكومة.. نجح في الاستيلاء على قطعتين أرض بهذه الطرق غير المشروعة. المهم توجه إبراهيم رأسًا إلى مائدته وقال له:

- أنا من ٨ سنين مش قايل لك مالكش ورق عندي؟

- اقعد يا إبراهيم وخد واجبك اللي إنت ماشربتوش من المرة اللي فاتت.. أولًا لازم تفهم إن شيكاتك وإيصالات الأمانة اللي عليك أنا اشتريتهم من أصحاب شركة العقارات.. يعني أقدر أحطك في السجن الصبح لو عاوز..

- وأنا كمان أقدر أحطك في السجن يا رجب لو أنا عاوز..

- حبيبي أنا عاوزك في شغل.. اقعد علشان نتفاهم..

- شغل إيه؟

- دلوقتي يا رجب.. أنا عندي شقق إيجار في كل حتة في مصر.. العتبة.. شارع عبعزيز.. باب الشعرية.. الساحل.. السبتية.. جسر

السويس.. الجبل الأخضر.. الشقق دي أنا عاملها مخازن.. تلاقي فيها كل ما لذ وطاب.. الحرامية وهجامين الشقق زمايلي القدام بيخزنوا عندي لحين ما يصرفوا البضاعة.. تجار الآثار بيخزنوا عندي.. تجار المخدرات بيخزنوا عندي.. وغيره وغيره..

- فهمت.. النيابة كبست عليك وصادرت البضاعة واتعملت لك قضية وعاوزني أدافع عنك..

- الصبر جميل.. الموضوع أخطر من كده.. دلوقتي الحاجات اللي أنا مخزنها مالهاش سجلات.. وعمالي بيسرقوني.. وما أقدرش أبلغ ضدهم.. طب أبلغ أقول إيه.. سرقوا من عندي مخدرات ولا آثار؟ وأصحاب الحاجة عصابات لو حاجتهم عندي نقصت يطيروا رقبتي.. مطلوب من سعادتك تلجمهم زي ما لجمتني من ٨ سنين.. وإنت في مكتبك زي ما إنت.. ومش عاوز منك الورق.. مرتبك مبدئيًا ١٠٠٠٠ جنيه في الشهر.. والسنة الجاية يا عم حازودك كمان ٥٠٠٠ أو ١٠٠٠٠ جم.. بس إنت شد حيلك معايا..

كان هذا مرتبًا خياليًا بمعنى الكلمة.. بمقاييس سنة ١٩٨٦.. وبدأ إبراهيم مهمته الجديدة.. تلفيق الجنح والتهم لعمال رجب النكلاوي بلا وازع ولا ضمير.. أصبح له جواسيس بين كل عمال رجب النكلاوي يأتونه بالأخبار والتربيطات أولًا بأول.. برع في الكذب والتلفيق بصورة شديدة غير مسبوقة.. كان يقوم بتلفيق التهم والجنح الكاذبة لأي من عمال النكلاوي الذي يتمرد عليه بأسرع من قدرته على التنفس.. أصبح مجرد ذكر اسمه يلقي الرعب في قلوب عمال النكلاوي..

ثم تصاعدت الأمور خطوة أخرى.. وجد رجب النكلاوي في طريقه جمعية تعاونية للعاملين بإحدى شركات القطاع العام، قدروا يحصلوا

على قطعة أرض من الدولة في مرسى علم، لإنشائها مصايف للعاملين في الشركة بأسعار تعاونية زهيدة.. أعضاء الجمعية دفعوا القسطين الأول والثاني فعلًا، لكن الرئيس وأمين عام الجمعية ماقدروش يشرعوا فعلًا في عملية البناء.. وهنا جاء دور السبع.. بدأ يذهب إلى العمال في بيوتهم ويحرضهم على رئيس مجلس إدارة الجمعية.. أوهمهم إن الراجل لم فلوسهم وسرقهم وإنه مش حيبني.. فالعمال عملوا جمعية عامة غير عادية وحلوا مجلس الإدارة، وانتخبوا الأستاذ رجب النكلاوي رئيس لمجلس إدارة الجمعية!! والسيد/ إبراهيم السبع نائب لرئيس مجلس الإدارة!! وبدأ تطفيش المساهمين القدامى بفرض أسعار استثمارية جديدة عليهم.. كل ده كان بتخطيط إبراهيم السبع.. ورجب بك إداله مكافأة قصاد ده كله فيلا دورين في القرية تمنها الحقيقي ٥ مليون جنيه.. لكن إبراهيم أخدها بالسعر القديم بـ ٦٦٠٠٠٠ جم.. وبالتقسيط كمان..

ومن شدة إعجاب رجب النكلاوي بعبقرية إبراهيم السبع، إداله توكيل بإدارة الشركة.. وهنا أبدع إبراهيم السبع أيما إبداع.. أخذ رجب يتفرج من بعيد وهو شايف ملايينه بتزيد.. وشتان ما بين الإدارة الجديدة والقديمة.. إيش جاب رجب الجاهل أبو شهادة محو أمية.. للأستاذ إبراهيم السبع.. المحامي خبرة ٢٧ سنة في كل ألاعيب القانون ودهاليز المحاكم.. عاوزين تتخيلوا حجم المكسب قد إيه.. إبراهيم جوزي بعد ١٨ سنة شغل لوحده.. ١٠ سنين قبل الجواز.. و٦ سنين بعد الجواز.. كان كل اللي بيحتكم عليه شقة الضاهر اللي ورثها عن أمه، ومكتب المحاماة في الزاوية الحمرا.. وفي خلال ٩ سنين شغل مع رجب، بقى يحتكم على ٨ مليون جنيه.. غير فيلا مرسى علم.. والدوبلكس اللي عزلنا علشان نسكن فيه في الشيخ زايد.. والعربية

الهامر بتاعت إبراهيم.. والعربية الموستانج اللي جابهالي هدية في عيد ميلادي. لما إبراهيم عمل ده كله في ٩ سنين.. يبقى رجب عمل كام من ورا إبراهيم؟!

ثم كانت القشة التي قصمت ظهر البعير.. بافتش في موبايل إبراهيم، لقيت نمر ستات كتير.. «مين دول يا إبراهيم؟» قال لي: «دي أرقام الستات بتاعة النكلاوي، ما هو عاملي توكيل عام، أنا اللي باتجوز له، وأنا اللي باطلق بالنيابة عنه».. «يا نهارك أسود يا إبراهيم.. إنت وصلت للمستوى ده؟!» إبراهيم راح مجعر فيها: «مستوى إيه؟.. هو أنا اللي بالعب بديلي.. ياكش تكوني فاكرة يا أستاذة الكام ملطوش اللي بتجيبيهم من أتيلييه الزمالك إنتِ وزمايلك الثوار بتوع زمان هما دول اللي فاتحين البيت ولا بيدفعوا مصاريف العيال في المدارس الأجنبي!» فأنا قلت له: «الثوار يا إبراهيم!! الثوار دول هما اللي هتفوا باسمك في مظاهرة في يوم من الأيام.. فاكرها يا هيما؟!».. رد عليها إبراهيم: «باقولك إيه.. الراجل الكبير (يقصد النكلاوي) احتمال يسافر مع وزير الاستثمار في الوفد اللي رايح الصين.. وأنا احتمال أسافر معاهم.. فاطلعي من دماغي الله يسترك.. أنا مش فايقلك.. خدي الولاد وروحوا فيلا مرسى علم اليومين دول على ما أسافر وأما أرجع من سفرية الصين لينا قعدة وحنتكلم في كله.» استكترتها على نفسي قوي.. حسيت إن الصين ورجب النكلاوي بقوا أهم مني عنده.. ماكدبتش خبر.. لميت الشنط وحطيت له العشا وخدت العيال وسافرت.. قعدت في مرسى علم ٤ أيام.. الجرايد هناك بتوصل متأخرة بعدها بيومين.. بابص في الأهرام لقيت النكلاوي مسافر لوحده في وفد الاستثمار.. الله ده إبراهيم باشا كان بيطرقني بقى.. ليكون ابتدا يلعب بديله هو راخر زي سيده.. بيزيحني من البيت

يومين.. يجيب واحدة على مزاجه من اللي لقيت نمرهم على الموبايل عنده! يا خسارة يا إبراهيم.. بقيت ضبع بعد ما كنت سبع».. قالتها سارة وتنهيدة حارقة تحرق صدرها من الداخل..

حطت الولاد في العربية وقررت تقفشه متلبس.. وصلت الفيلا فعلًا.. دورت المفتاح في الباب.. كل شيء في البيت هادئ ومرتب زي ما هو.. لا يوجد أي علامات إن فيه في البيت أغراب.. طلعت الدور التاني ودخلت أوضة النوم.. لاحظت نور الحمام الملحق بأوضة النوم مولع.. وحنفية الدش مفتوحة.. أمال فين إبراهيم.. طارت على الفرندة.. قعدة إبراهيم المفضلة.. لاحظت فنجان الإسبرسو مكسور وواقع على الأرض.. والموبايل بتاع إبراهيم محطوط في الشاحن ومشحون على آخره.. لقت الدنيا مقلوبة في الفرندة.. الكراسي متكومة على بعضها، وفيه آثار دم في الفرندة.. بدلة إبراهيم والكرافتة الحرير مفرودين على السرير ماحدش لمسهم.. «قلقت قوي.. أمال فين إبراهيم».. بتضرب بعينها من الفرندة.. لقت أبشع منظر ممكن تشوفه في حياتها.. إبراهيم واقع على سقف عربيته الهامر اللي راكنة في ضهر الفيلا، ودماغه مفتوحة وعمالة بتنزف دم إلى أن وافته المنية.. قعدت تحسبها بدماغها، طب حصلت إزاي.. أتاريه طلع من الدش مستعجل بالبرنس علشان يرد على الموبايل على مكالمتها.. قعد يدور على الموبايل زي المجنون علشان يلحق يرد عليها.. لأنه عارف إنه بيصعب عليها لما ما يردش على مكالماتها.. وهو بيدور على الموبايل طرف البرنس شبك في كراسي الفرندة.. راح متزحلق واقع من الفرندة من الدور التاني.. دماغه اتفتحت.. مات..

«الله يرحمك ويسامحك يا إبراهيم.. عملتلنا الحرام ده كله وبعدين خلعت.. ما لحقتش تتمتع باللي عملته».. انفتحت سارة في

نوبة بكاء هستيري على إبراهيم.. لم تستطع أن تتوقف عن البكاء إلا بعدها بساعة أو ساعتين.. لا تدري.. اتخضت من نفسها وهي بتشوف انعكاس وشها على زجاج الفرندة.. لقت نفسها بتبتسم غصب عنها.. ما قدرتش تفهم.. «إيه ده؟.. إيه الهبل ده؟.. معقولة أكون مبسوطة وأنا في عز الحزن!» ابتسمت لما مر في دماغها خاطر عبثي غير معقول.. «إبراهيم السبع مات وهو لسة بيحبني.. مات وأنا لسة الحب الأول والأخير والوحيد في حياته.. من ساعة ما وقع نظره عليَّ لأول مرة من حوالي ١٨ سنة من ورا قضبان غرفة الحجز في قسم قصر النيل.. أنا.. سارة عبد العزيز الراوي.»

تمت بفضل الله..

القاهرة - ديسمبر ٢٠١٨

لعبة الحياة!

بقلم: داليا عاصم

«آمن بنفسك كي يؤمن بك الناس» هكذا تحدث ماجد الروبي عن سر نجاحه في حلقة تلفزيونية أعقبت فوزه بجائزة مرموقة للرواية العالمية.. روايته حققت مبيعات خيالية في العالم العربي أولًا قبل أن يترجمها على نفقته الخاصة متحديًا لجان الجوائز في العالم العربي التي رفضت منحه أي جائزة أو حتى شهادة تقدير.. كان يعلم أنها جميعًا تعمل وفقًا للمحسوبية أو بمنطق «من الشلة».

رفض الروبي أن ينساق وراء القطيع.. كان مؤمنًا بأن المثقف له دور ورسالة ليس من بينها سعيه للجوائز أو رشوة لجانها.ماجد الروبي مثقف عصامي بنى نفسه بنفسه، نحت في الصخر لكي يصنع اسمه الذي يتهافت عليه الآن الصحافيون والمراسلون من مختلف أنحاء العالم ويكرَّم كل يوم في مدن أوروبية تحترم فكره ورسالته.

نشأ ماجد في أسرة من دنيا الطبقة الوسطى، كان أكبر إخوته الخمس، والده تقاعد من عمله مبكرًا لكنه استمر في العمل تارة سائقًا لتاكسي وتارة بائعًا في بقالة كانت مملوكة لتاجر يوناني في العتبة.. لم يخجل

ماجد من عمل والده سوى أمام أسرته الكبيرة، فالخالات كن يتباهين بأزواجهن وأعمالهم ومرتباتهم بينما لم تكن والدته تتحدث بذلك العنفوان الذين يتحدثن به، لم يفهم أبدًا لماذا؟ لكنه كان مؤمنًا بدور والده ولا يخجل منه، لكن هذا التحقير من شأن الوالد مسه حينما فشل أن يجذب أنظار ابنة خالته الحسناء منار التي ولدت في دولة خليجية وعاد والدها محملًا بأموال تغنيه مدى حياته.. فشلت كافة محاولاته، لكنه كان يستعيض عن ذلك بأحلام اليقظة، كان يتحدث عنها مع أصدقائه كأنها تبادله الإعجاب بل وتذوب في غرامه.. كان منطويًا قليل الكلام، لكن حينما يتحدث أصدقاؤه عن محبوباتهم لا يتوقف كلامه عنها أبدًا.. وكلها قصص من وحي خياله البريء لم ولن تحدث أبدًا..

كان يؤمن بداخله أنه يومًا سيتحقق ويلفت نظرها ويجعلها تعجب به.. كان يمضي الوقت في غرفته وحيدًا ساهرًا ليله، يستمع للموسيقى الخفيفة على إذاعة البرنامج الموسيقي.. يكتب اسمها بجوار اسمه.. يكتب خواطره ويعبر عن عشقه لها بكلمات صادقة تنسكب منه على الورق.. ذات يوم استيقظ على صوت أمه وهي تبارك لخالته على خطبة منار، لم يصدق أذنيه، استرق السمع جيدًا فتأكد ما سمع.. ظل شاخصًا ببصره نحو أمه لا يكاد يصدق ما يسمع.. ثم جاءت أمه تطلب منه أن يبارك لخالته على الهاتف.

تعلم ماجد أن يتقبل هزيمة أحلامه.. لم ييأس وكان يتمنى أن تعطيه الحياة الفرصة لردٍّ قوي ليرتبط هو الآخر بفتاة أخرى، لكن لم يحدث ذلك طوال عامين.. فشل في الالتحاق بوظيفة مرموقة وتزوجت ابنة خالته.. أصبح والده قعيدًا وقل دخلهم إلى النصف ولم يعد حتى بمقدوره شراء ملابس جديدة.. توالت عليه انكسارات كثيرة حتى غنه أصبح يستدين لكي يكفل أسرته.

قرر أن يعمل حتى لو ببيع الكتب في سور الأزبكية مع صديق له.. قال إنه سينسى حب عمره.. لكنها عادت تطارده، فهي تقوم ببحث ويرافقها خطيبها لشراء المراجع من مكتبات السور.. شعر بطعنة كبيرة من الدنيا.. ولم يفهم ماذا تريد منه.. فكر لولهة: هل أختبئ فلا تراني؟ وإذا اختبأت اليوم فيمكنها أن تراني غدًا..اهتدى ماجد إلى أنه يجب أن يتماسك ولا يشغل باله بها ولا بخطيبها بل يتعمد الابتسام والذهاب إليهما ليسلم عليهما.. فقد تمرس على التصالح مع الدنيا ومكائدها.. أو هكذا عاهد نفسه ألا يتركها تهزمه وتنتصر.

عاد لمنزله وكأنه طائر جريح يشعر أنه سيظل ابن الروبي سائق التاكسي، لن ينجح أبدًا في أن يخرج من حلقة الطبقة الوسطى. بعد أشهر خاض قصة حب جديدة مع طالبة من نفس مستواه الاجتماعي، لكن بعد عام بالتمام والكمال وحينما حان وقت التخرج لم تعرفه وأغلقت هاتفها ثم غيرت رقمها، لم يعرف كيف يصل إليها وبعد أيام علم من صديقتها أنها خُطبت لزميلها بالجامعة. صفعة أخرى من صفعات الزمن تلقاها ماجد بكثير من الألم لكن بعدها قرر أن يغلق باب الحب بشكل أبدي.

بات ماجد يعمل بكد في الصباح ويقرأ أيضًا كل ما يقع بين يديه، وحينما يحل مساء كل يوم ويستريح سور الأزبكية من زحامه.. نافضًا غبار المارة.. يمسك قلمه وينسج كلمات تتوالى تباعًا.. يملأ الورق بكلمات منمقة، يكتب عن نماذج شخصيات يلتقيها كل يوم.. عن حبه الضائع.. عن القهر الإنساني وعناد الإنسان مع الحياة.. وبين الحين والآخر كان يزين الهوامش بتواقيع له تارة باسمه مكتملًا وتارة برموز.. ولم لا؟ كان يوقن أنه يومًا ما سيكون مشهورًا ومعروفًا تتمنى فيه ابنة

خالته منار لو كان حبيبها.. ليالٍ طوال مع صقيع شتاء القاهرة الذي لا يرحم ويفتك بالعظام.. وهبها ماجد للكتابة.

ظل يجوب يوم أجازته على مكاتب كبار المثقفين يهديهم نسخة من روايته لمساعدته في نشرها، لكنهم كانوا يلقون بها دون أدنى اهتمام.. فلا هو ابن كاتب شهير أو موظف حكومي مرموق أو شخصية من شخصيات المجتمع.. جاب ماجد صالونات القاهرة الثقافية وزار مقاهي الأدباء وتذلل لكافة أدباء مصر دون جدوى، لم يفقد الأمل وتذكر ذات يوم أنه بقي كاتب واحد لم يذهب إليه وهو دائمًا يخرج في اللقاءات التلفزيونية معبرًا عن إيمانه بالشباب.. قرر الذهاب إليه في بيته ربما تكون هناك فرصته!! استقبله الكاتب مخمورًا ورفض حتى أن يخطو عتبة منزله بل وألقى بنسخة العمل في القمامة بكل برود واستهتار.. كانت تلك اللحظة التي انهار فيها ماجد معتبرًا أنه تشبع من الإهانات والأبواب المغلقة في وجهه، وقرر أن يمكث في منزله وترك العمل معلنًا تمكن الإحباط والاكتئاب منه بعد سنوات من العناد.

ذات يوم جاء أحد كبار الناشرين للسور يحاول البحث عن كتب نادرة عليها إهداءات من كتاب كبار، سأل عن ماجد بالاسم بعد أن حظي بثقة عدد كبير من رواد السور، قالوا له إنه ترك العمل.. ذهب الناشر لبيت ماجد طالبًا منه أن يعمل معه ليجمع الكتب النادرة التي تحمل تواقيع كبار المؤلفين في القرن العشرين، فهو يعد مكتبة جديدة في منزله لذلك الغرض ويباهي بها في صالونه الثقافي الشهري.. لم يوافق ماجد في البداية، لكن حاجته للمال دفعته للقبول.. جمع كتبًا بتوقيع نجيب محفوظ وأنور السادات وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس وإحسان عبد القدوس وغيرهم.. بعد أشهر كان قد جمع مبلغًا قيمًا من المال.. فكر لمَ لا؟ ربما تكون تلك الفرصة الذهبية التي

تمنحها له الحياة وعليه اقتناصها.. ففي حياة الجميع فرصة ذهبية تأتي ببريق خاص يشعل بداخلك الشغف ويتوهج معها قلبك.. لم يمر أسبوع وقد طبع روايته على نفقته، وكانت تلك البداية وليست النهاية السعيدة.. فما إن نُشرت الرواية وحققت مبيعات هائلة، حتى هاجمه الوسط الثقافي واتهموه تارة بأنه سارقها وتارة بأنها لا تنطوي على أي إبداع.. حرموه من المشاركة في مؤتمراتهم وندواتهم.. هجوم لم يجد له مبررًا، إلا لكونه لم يرضخ لقوانين اللعبة أن يفرض أحد المخضرمين اسمه عليه ويستحضره ماجد أستاذًا وملهمًا.. ظل طريد الوسط الثقافي، ومع تضييق الخناق عليه ترك البلاد وغادر لدولة عربية، عمل بمجلة ثقافية محررًا ثم عاد لكتابة الروايات، نُشرت أعماله خارج مصر وأصبح بعد ١٠ سنوات اسمًا مهمًّا في عالم الأدب، يُدعى لمناسبات رسمية ثقافية ويرفض تلبية الدعوة.. أصبح مطاردًا من كل الشباب المصري في الدولة التي يعمل بها وتصله عشرات الروايات يوميًّا لكنه كان يتخلص منها ولا يعيرها اهتمامًا.. ذات يوم استيقظ على صوت الخادم يستقبل ضيفًا، ليجد شابًّا ممسكًا بملف ضخم من الورق يبدو مخطوط رواية.. عاد به الزمان للوراء لنفس اللحظة التي مر بها.. ابتسم للشاب برفق ثم ألقى بمخطوطته في القمامة!.

امتلاك

بقلم: داليا عاصم

طفرت الدموع بغزارة من عينيها لم تتمكن من السيطرة عليها منذ أيام، فها هي تفترش الأرض الرخامية في شهر طوبة رافضة كل مظاهر الحياة الرغيدة التي عاشتها طوال أكثر من ٤٠ عامًا.. يخرج منها أنين موجع يتخلله نداء خافت مفعم بالتضرع يرن صداه في أرجاء الشقة بأسقفها العالية.

- يا فؤاد رد عليَّ يا حبيبي.. إنت فين وسايبني!

تحاول سعاد القيام من رقدتها لا تتمكن.. جسدها بات نحيلًا كأنه عظام كسيت جلدًا باهتًا.. تتقلب يمينًا ويسارًا بعينين شاردتين عساها تملأ عينيها من طلة فلذة كبدها فؤاد لكن دون جدوى. تتناول زيتونة سوداء غذاءها اليومي الذي تقتات عليه دون غيره.. تغالبها الدموع التي لا تتوقف دون محاولة منها لتجفيفها.. يبتل رداؤها الأسود من فرط انهمار الدموع.تتوقف سعاد عن مضغ الزيتونة التي مضى على وجودها بفمها ٧ دقائق، تحبو متوجهة لغرفة المعيشة المظلمة، تتوقف عند عتبتها كمن ضل طريقة في صحراء موحشة.

تحدث نفسها:

- سبتني ليه يا حبيبي؟ اوعى تكون زعلان مني.. أنا كنت عايزة مصلحتك..

تنظر خلفها وكأنها وجدت ضالتها، تسمع صوت فؤاد يلومها برفق:

- قضيتي على حياتي..

ترمق الفضاء المظلم حولها:

- أنا؟!!

تصمت قليلًا وتدخل نوبة بكاء هيستيرية تغيب خلالها عن الوعي.

***

ذات الجدران الموحشة منذ ٤ أسابيع في شقة الدكتور رأفت النجدي طبيب الأطفال الشهير الراحل الذي ترك ثروته لابنه الوحيد فؤاد.

فؤاد يصيح بعصبية شديدة معنفًا أمه:

- ليه يا ماما كده.. ليه تصغريني قدام الناس؟

- أنا اللي أقرر مين اللي تنفعك ومين لأ!

- استريحتي؟ آدي الجوازة العاشرة باظت.

- احترم نفسك، انت بتعلي صوتك عليَّ؟!! ولا يعني عشان أبوك مات ومالیش غيرك بتستقوى عليَّ؟!

- أنا بكلمك في إيه وإنت بتكلميني فيه.. حرام عليكي!

- عايزني أسيبك تتجوز الدكتورة المعوجة دي اللي طمعانة في فلوسك؟

يتركها فؤاد ويمسك بالفازة الثمينة المحببة لها التي اقتنتها من

باكـو بأذربيجـان ليقذفهـا باتجـاه بـاب الشـقة.. ينـزوي فـؤاد في حجرتـه بعـد أن أغلـق بـاب الحجـرة بعنـف عهـده الجـيران منـه بعـد كل «عركـة» مـع والدتـه..

بينـما تدخـل سـعاد لحجرتهـا المنمقـة وهـي في سـعادة غامـرة كونهـا نجحـت أيضًـا هـذه المـرة في عرقلـة زواج ابنهـا واتهـام خطيبته المعيـدة معه بالكليـة بالكـذب بإهانتهـا عـبر الهاتـف وأنهـا تريـد حرمانهـا مـن حقهـا في شراء «عفـش» ابنهـا الوحيـد، فـإذا كانـت تعاملهـا هكـذا قبـل إتمـام الـزواج، فكيـف سـتعاملها بعـد أن يصبـح ابنهـا زوجًـا لهـا؟! تمسـك سـعاد بالهاتـف اللاسـلكي وهـي ممـدة عـلى سريرهـا الوثـير محدثـة زميلتهـا في العمـل وفـاء التـي تنتظـر مكالمتهـا كالعـادة بعـد أي مـشروع جـواز لفـؤاد:

- صوتك مبسوط، ها طمنيني قعدتي مع باباها ومامتها؟

- وغلاوتك أنا مافيش جوازة تستعصى عليَّ.

بالرغـم مـن هيئتـه الضخمـة التـي تبـدي عليـه سـنًّا أكـبر بعشر سـنوات مـن سـنه، يبـكي فـؤاد كطفـل مغلـوب عـلى أمـره لا يعـرف التعبـير عـما يعتمـل مـن مشـاعر بداخلـه سـوى بتخريـب كل مـا هـو محبـب لوالدتـه، لا يعـرف لمـاذا؟ ربمـا لأنـه يشـعر بلـذة انتقـام العبـد الذليـل بتخريـب ممتلـكات سـيده. ظـل فـؤاد يقـاوم الأرق محـاولًا النـوم.. قبـض عـلى كتـاب «البدائـع والطرائـف» لجـبران خليـل جـبران، فالوحـدة أنيسـها وجليسـها الكتـاب، وكـم مـن كتـاب آنسـه في أيـام حروبـه مـع أمـه! وقعـت عينـاه عـلى مقالـة شـدت مـن أذره «نفـسي مثقلـة بأثمارهـا».. ووجـد نفسـه يـردد مـع جـبران متنهـدا: «ليتنـي كنـت بـئرًا جافـة والنـاس ترمـي بي الحجـارة، فذلـك أهـون مـن أن أكـون ينبـوع مـاء حـي والظامئـون يجتازوننـي ولا يسـتقون.»

قـرر فـؤاد بعـد يومـين في حجرتـه أن يـترك منـزل والدتـه ويحـاول أن يقيـم عنـد صديـق لـه لحـين عثـوره عـلى شـقة مناسـبة لمـكان عملـه بكليـة الآداب بجامعـة الإسـكندرية، كونـه معيـدًا بالكليـة لا يرغـب في أن يقطـن بعيـدًا عـن الكليـة أو عـن والدتـه أيضًـا، هـو يرغـب فعليًّـا أن ينفصـل عنهـا لا سـيما وقـد أوشـك عـلى أن يتـم عامـه الأربعـين دون أي تغيـير ملمـوس في حياتـه المملـة الرتيبـة.

في أول يـوم لـه بعيـدًا عـن منـزل والدتـه شـعر بوحشـة شـديدة وخـوف مـن عواقـب تصرفـه، لكنـه في صبـاح اليـوم التـالي قبـل بـدء محاضرتـه اقتحمـت غرفتـه فتـاة رقيقـة، منـذ أن رأتهـا عينـاه تبـدل حالـه، شـعر بسـعادة لا يعلـم مصدرهـا وكأنهـا اخترقـت جوانحـه مبدلـة حزنهـا بفـرح.. تعارفـا وطلبـت منـه العـون في مراجـع البحـث المطلـوب منهـا تنفيـذه وتسـليمه.. شـعرت نحـوه بـذات الشـعور.. أريحيـة غريبـة انتابتهـا حينـما تحـدث إليـه وجهًـا لوجـه لأول مـرة.. وجـدت نفسـها تـزوره في اليـوم التـالي بمكتبـه وتستشـيره حـول المراجـع وتطـور الأمـر للحديـث المسـائي تليفونيًّـا. حالـة مـن السـعادة عايشـها فـؤاد وأمـيرة شـعر معهـا أنـه قـد وجـد مهجـة قلبـه وحـب عمـره.

بعد ٣ أسابيع

ذهـب فـؤاد بخطـى مرتعشـة لمنـزل والدتـه ليفاتحهـا في أمـر زواجـه، اسـتقبلته بـلا مبـالاة وكأنـه لم يغـب عـن المنـزل قـط.

- أهلًا.. خير عايز إيه؟

فؤاد يرد مرتبكًا من ردة فعلها:

– وحشتيني يا أمي، وعايز آخد رأيك وموافقتك في موضوع مهم.

– يا دي الجواز وسنين الجواز!

- يا ماما أنا حتم ٤٠ سنة.. هو إنت مش عايزة تفرحي بأولادي ولا إيه؟

- إنت كل اختياراتك فاشلة!

- لا المرة دي أكيد حتوافقي.

تنظر له سعاد بتحدٍّ:

- وإيه اللي أكد لك؟

استمر الجدال بين فؤاد وسعاد لمدة ساعتين كي يتمكن من إقناعها لكي تذهب لزيارة منزل أميرة وأهلها، وبعد محاولات مستميتة من فؤاد انتهت بتوسله لها وتقبيل قدميها والدموع تسيل من عينيه، وافقت سعاد على الزيارة لكن دون وعد بالموافقة على العروس أو طلب يدها «من أولها كده»، إنما ستكون زيارة تعارف فقط.

شعرت سعاد في الطريق لمنزل العروس أن ابنها هذه المرة في حالة سعادة غامرة وأنه بالفعل وقع في الحب، عيناه تلمعان ووجهه يشع بريقًا حالمًا.. لكن ذلك لم يشفع له أو يثنيها عن مخططها.. وقد كان! فرضت عليه ارتداء كرافات أسود قائلة له أنه صيحة موضة هذا العام، لم ينتبه فؤاد المسكين أنه بذلك يترك انطباعًا سيئًا عند أهل العروس.. رفضت أن يشتري أي هدية ولو متواضعة بجانب علبة الشوكولاتة.لم تمر الزيارة الأولى كما كان يتمنى فؤاد وشعر أن أهل العروس قد أغضبهم حديث والدته «البايخ» مع العروس وتعليقاتها على ملابسها.

في المساء عاتبته أميرة في مكالمة هاتفية يُفترض أن تكون سعيدة لكنها كانت محملة بخيبة أمل من موقف والدته المتحفز ضدها.. في حزن عميق أغلق فؤاد الهاتف وأطبق عينيه بقوة فلم يتمكن من النوم..

النوم هو وسيلته للهرب من حالة الغضب المكبل بداخله تجاه والدته التي تحجر على سعادته.. لم يشعر بأنها تحنو عليه إلا ويكون همها هو امتلاكه وإذلاله.. لم يكن له حرية اختيار أصدقائه أو الرياضة التي يمارسها في النادي أو أي وجبة غداء يود أكلها.. كل تفاصيل حياته كانت هي صاحبة القرار فيها، حتى اختيار مكان عمله كان قرارها أيضًا.

عاد فؤاد ليمسك بكتاب جبران يقرأ «قد يكون في استصعابنا الأمر أسهل السبل إليه»، يبتسم ثم تقع عيناه في الصفحة المقابلة: «الحب سعادة ترتعش».. يطوي الكتاب وينام ولم تفارقه الابتسامة؛ فقد اهتدى إلى الحل.

بعد أن ظل فؤاد وفؤاده حائرين ما بين أمه وحبيبته قرر أن يحسم أمره ويتخذ قراره مهددًا والدته في حال رفضها أو عرقلتها الزواج فإنه سيتزوج رغمًا عنها ويقاطعها.. وافقت سعاد على مضض وعلى أمل أن تضع مخططًا طويل الأمد لإفساد الزواج وتعكير صفو حياتهما حتى يعود لها ابنها ولا تستأثر به أي امرأة أخرى.

لكن هل تسير الأمور دائمًا وفق ما نخطط له؟! ربما في بعض الأحيان لكن دائمًا ما تأتي اللحظة التي تأتي فيها الرياح بما لا تشتهي السفن.

***

تهافت المدعوون على القاعة الفخمة بالفندق الشهير على كورنيش الإسكندرية، وقفت سعاد وصديقتها وفاء في استقبال المعازيم لتُجلس كل شخص وفقًا لمزاجها الخاص بحيث يجلس أهل العروس في مؤخرة القاعة بينما حجزت لنفسها ولأقاربها الصفوف الأمامية.. تُهاتف فؤاد كل ٥ دقائق لدرجة توتره الشديد وغلقه الخط في وجهها.. كان يشعر أنه محلقًا في السماء، هو الذي ظن لأيام وليالٍ طويلة أنه سيظل

وحيـدًا.. أخـيرًا سـيكون عـلى موعـد مـع سـعادته التـي حُـرم منهـا، فلـم يكـن أبـدًا الطفـل الوحيـد المدلـل بـل كان الطفـل المذلـول.

أمـيرة كانـت تضـع الرتـوش النهائيـة عـلى إطلالتهـا في ليلـة العمـر في سـعادة غامـرة مزهـوة بخطيبهـا أسـتاذ الجامعـة الـذي سـتتفاخر بـه طـوال العمـر أمـام بنـات خالاتهـا.. في الوقـت ذاتـه وقـف فـؤاد منفـردًا بنفسـه لبرهـة مبتعـدًا عـن أصدقـاء عمـره الذيـن رافقـوه طـوال اليـوم، أخـذ نفسًـا عميقًـا وهـو شـارد ثـم هبـط لقاعـة الفـرح.

تـم كتـب الكتـاب في هـدوء مشـوب بالحـذر، الـكل يترقـب ردود فعـل سـعاد.. هـل سـتترك الفـرح يمـر بسـلام؟!!!! رغـمًا عنهـا ارتفعـت الزغاريـد.. ورقـص فـؤاد رقصتـه الأولى مـع أمـيرة، كانـا يشـعان بالبهجـة والنقـاء، وعدهـا بأعـذب الكلـمات بأنـه سـيكون أميرهـا وسر سـعادتها طـوال حياته.. عقـب الرقصـة ارتفعـت الموسـيقى الصاخبـة، جلـس فـؤاد يحـاول التنفـس بصعوبـة لا يـدري مـا حـدث لـه، نظـر إلى أمـيرة التـي تأخـذ الصـور مـع فتيـات العائلـة، ونظـر لأمـه التـي ترمقـه شـذرًا مـن منضدتهـا، ثـم حلقـت عيناه لثريـات القاعـة الفخمـة.. جمحـت عيناه.. ثـم صمتـت القاعـة عـلى صراخ سـعاد: «فـؤاااد!»

***

مـر شـهر عـلى وفـاة فـؤاد ليلـة زفافـه وأصبحـت سـعاد حديـث الصبـاح والمسـاء في الحـي بمـا فعلتـه في ابنهـا الوحيـد.. لم تقـوَ «سـعاد القويـة» - كـما يطلـق عليهـا أهـل الحـي - عـلى مغـادرة منزلهـا وأصابهـا العجـز والشـيخوخة.. حرمـت نفسـها مـن الأكل والـشرب إلا الزيتـون الأسـود والمـاء حزنًـا عـلى فؤادهـا المأسـوف عـلى شـبابه.. وفي أربعـين وفـاة فـؤاد تـأذى الجـيران مـن رائحـة عفنـة تفـوح مـن شـقة سـعاد عـلى عكـس المعتـاد.. اقتحمـت الشرطـة عريـن سـعاد.. ماتـت سـعاد دون أن تمتلـك فـؤاد!

غفران

بقلم: د. أسامة إبراهيم

«غفران.. تعي هون».. أيقظتني تلك الكلمات من شرودي البعيد.

وأنا جالس في عربة مترو الأنفاق في طريقي للبيت بعد يوم طويل مرهق.

منذ الصباح لم أتذوق طعم الطعام من بعد وليمة الفول من عربة عم عبده الرابضة أمام محطة المترو.

ومنذ الأمس لم أتذوق طعم النوم الهادئ بسبب عاصفة أفكار تدور في رأسي عن العمل ورسالة الماجستير العتيدة العنيدة.

جلست بجوار الشباك لعلي أجد نسمة هواء ترطب حرارة أغسطس ورطوبته الخانقة..

فإذا بالشمس تتسلل إليَّ من بين سنابل الشيش الخشبي.

أشحت بوجهي عنها إلى الجانب الأيسر حيث الظل..

وسرحت بعيدًا.

لم يلفت نظري شيئًا أثناء جلستي.. نفس الوجوه المعتادة.. المرهقة.. المتصببة عرقًا من قيظ الشمس.

لعين هذا الوحش المعدني الذي يذرع الطريق بين حلوان والمرج مارًّا بالنفق

آه.. النفق.. متى يأتي؟ متى ندخل النفق لنستريح من قيظ الشمس. وفجأة أيقظني ذلك النداء.. «غفران.. تعي هون».. نظرت فإذا بامرأة خمسينية ذات ملامح بيضاء متشربة بالحمرة تبدو تركية أو شركسية أو شامية بملابس محتشمة وأنيقة.

أما غفران التي نادتها أمها..

فما إن وقعت عيناي عليها حتى شعرت بلحظة إفاقة مساوية لما شعرت به أذناي من صوت أمها المنادي باسمها.

يا إلهي.. ما هذا الوجه؟ وما تلك العيون؟ لم أستطع إلا أن أحملق في هذا الملاك الجالس أمامي، ثم أفقت من حملقتي على المحطة التالية.. ثمة أشخاص عبروا في الممر بيننا فقطعوا تأملي في الوجه الغض الملائكي.. تنحنحت واعتدلت في جلستي.. أستغفر الله.. ما لك؟ حدثتني نفسي.. ما الذي دهاك يا دكتور؟ نعم هكذا يلقب باحثو الماجستير والدكتوراه أنفسهم باعتبار ما سيكون، ولو أنها تُستخدم للوم والتقريع والسخرية أكثر مما تستخدم لمعناها الأصلي.. ما علينا.. سألت نفسي ما دهاك.. ماذا حل بك.. أين العقل والرزانة.. أين وعودك لنفسك ألا تلتفت يمينًا أو يسارًا وألا تسمح لقلبك أن يخفق حتى تنهي مشروعك الكبير.. أو نصفه: الماجستير على الأقل. مرت لحظات كالدهر وانشغل عقلي لثوانٍ بحديث النفس وقلبي يخفق خوفًا من أن تكون غفران وأمها من الذاهبين.. لكن لا.. انقشعت سحابة النازلين والصاعدين وأسفرت السحابة مجددًا عن البدر الدمشقي أو الحلبي أو الحمصي لست أدري.. نظرت مجددًا على استحياء وقلبي يدعو ألا يكون أحد

الجالسين قد لاحظ نظراتي للبدر الجالس.. لم أتفرس في شيء إلا وجهها، وهذا يكفيني ويشبع روحي.. كانت الشمس قد مالت أكثر وأصبح ضوء الشمس ينير وجه البدر.. ضايقها الضوء فأخرجت نظارتها الشمسية ووضعتها على عينيها. تبًّا لهذه الأشعة الشمسية تلسعني في الخارج وتمنع عني رؤية هاتين العينين بالداخل.

كانت قد مرت ثوانٍ قليلة بين لحظة سقوط الضوء على عيني غفران وارتدائها للنظارة، مكنتني من أن أدرك أن عينيها عسليتان وليستا بنيتين كما تصورت في البداية.. العيون العسلية في ضوء الشمس قصه لا يفهمها إلا من رآها بنفسه.

كنت قلقًا طوال الوقت أن يخرج مني تعبير على وجهي أو ابتسامة أو أن يلحظ أحد نظري إلى غفران من طرف خفي، أخذت أتلفت حولي في براءة مصطنعة لأطمئن، لكني صُعقت من العجوز الذي كنت أجلس بجواره حين وجدته ينظر إليَّ وإليها ويبتسم ونظر إليَّ بابتسامة رجل عجوز خبير ولم ينطق بكلمة.. فقط هز رأسه بعلامة الموافقة ومصمص شفاهه وصدرت عنه آهة مكتومة رغم شفتيه المطبقتين!

لعله تذكر موقفًا من مواقف شبابه حين كان يافعًا يعجب بالفتيات أو حتى يتحسر على شبابه الغابر.. كاد قلبي ينخلع للحظات من تسارع دقاته ثم ما لبث أن هدأ حينما رأيت ابتسامة العجوز وهزة رأسه كأنه يهزها بالموافقة أو بالتسليم بكلمة القدر والعمر الذي يولي بسرعة.

لوهلة بدت لي ابتسامته كابتسامة نجيب الريحاني في نهاية فيلم غزل البنات.. ابتسامة الأستاذ الذي بارك زواج شابين وأخفى غصته في قلبه واكتفى بنصيبه من الدنيا وارتضى حكم القدر!

يـاااه.. إنـك تـشرد بعيـدًا جـدًّا بأفـكارك وتتكلـم ككلام الروايـات.. كل ذلـك بسـبب غفـران؟.. يـاااه اخـرسي يـا سـليطة اللسـان.. هكـذا قلـت لنفـسي التـي لا ترحمنـي مـن لسـانها الـلاذع.

كان كلـما هـدأ القطـار مـن سرعتـه خفـق قلبـي خشـية أن تكـون غفـران وأمهـا مـن بـين النازلـين في المحطـة التاليـة.. حتـى وقـع مـا ليـس منـه بـد.. وصلنـا لمحطـة السـادات ونزلـت غفـران وأمهـا وأكملـت أنـا في طريقـي الطويـل إلى حدائـق القبـة.

مكثـت بقيـة الطريـق وقـد تداعـت سـيول الأفـكار إلى عقـلي، يـا تـرى مـن أيـن أتيتـا وإلى أيـن هـما ذاهبتـان، غفـران وأمهـا؟ لعلهـما ذاهبتـان إلى مجمـع التحريـر حيـث إدارة الجـوازات؟ لعلهـما ذاهبتـان إلى نزهـة في وسـط البلـد؟ لسـت أدري، لكنـي أتمنـى لهـما السـلامة عـلى أي حـال.

كنـت قـد فكـرت لثـوانٍ أن أتهـور ولـو لمـرة واحـدة وأن أتخـلى عـن ثبـاتي المعهـود وأن أتبعهـما لأنتهـز فرصـة تواجدنـا عـلى رصيـف المحطـة وألقـي عـلى والدتهـا التحيـة وأطلـب منهـا عنوانهـما وموعـدًا لأطلـب يـد ابنتهـا.. هكـذا؟ مـرة واحـدة؟ يـا لـك مـن أرعـن.. مـا هـذا الجنـون؟! حدثتنـي نفـسي ثانيـة!

فلتتعقـل يـا دكتـووووور.. هكـذا قلـت لنفـسي بطريقـة عـماد حمـدي في الأفـلام القديمـة.. يـا لـك مـن سـاخر مجنـون.. تحـول كل شيء إلى سـخرية حتـى مـن نفسـك.. طفـرت ابتسـامة عـلى وجهـي دون أن أقصـد، نظـرت بعيـدًا حتـى لا ألفـت نظـر أحـد وخاصـة غفـران وأمهـا.

غفـران.. غفـران.. مالـك تتحـدث عنهـا باسـمها وبألفـة كأنهـا ابنـة الجـيران أو حتـى ابنـة خالتـك؟!.. نفـسي ذات اللسـان السـليط تجلـدني مجـددًا!

قلت لنفسي يا ليتها حقًّا كانت ابنة الجيران أو ابنة خالتي لكنت عرفت عنوانها على الأقل! بدلًا من أن أتركها تغادر هي وأمها دون أن أعرف عنهما شيئًا كالأبله!

فكرت فيما فكرت في بلادهما وما حل بها من دمار والظروف التي أتت بهما إلى هنا.. ليستا سائحتين بالطبع.. أمها تبدو على ملامحها بقايا جمال ونضارة برغم السن وملامح حزن وتجاعيد الزمن غزت وجهها وبقايا هموم.

آه من البشر وحروبهم.. شردوا الملايين وقتلوا الملايين ثم ماذا؟ لا معنى لكل هذا إلا معاناة البشر وقتل الملايين ومعاناة الملايين، من أجل ماذا؟

ما هذا العالم المجنون؟

تبًّا لتلك الأفكار.. ماذا دهاني؟ أهو وقت الفلسفة والتحليل الإنساني للتاريخ، أم أنني أصبت بدوار من إرهاق اليوم، أم إنها سكرة بسبب جمال البدر الذي نزل لتوه من المترو دون وداع ولا أعلم إلى أين؟

ثم أفقت على محطتي وقد اقتربت. قمت ونظرت للعجوز مبتسمًا وبادلني الابتسامة دون كلمة واحدة.. وغادرت عربة المترو وعلى وجهي ابتسامة لا يعرف سببها غيري والعجوز اللئيم الذي كنت أجلس بجواره.

ثم مشيت على رصيف المحطة وما زالت الابتسامة على وجهي وأخذت نفسًا عميقًا فتجدد الهواء الطازج في رئتي من بعد زحام المترو وتجدد أيضًا في قلبي الأمل.

الكلب «مشمش»

بقلم: منى محسن صالح

الكلب «مشمش». كان الكلب بيحب صاحبو «هشام».. في مرة كان بيلعب مع «مشمش». كان في ماتش كورة اتصل صاحب «هشام» بيه قاله:

- فيه ماتش كورة.

قاله:

- ثانية هلعب شوية مع «مشمش» وآجي.

صاحبه قاله:

- ماشي بس ماتطولش لعب مع «مشمش».

صاحبه كل شوية يتصل و «هشام» بيلعب مع «مشمش» ، «فهشام» راح علشان صاحبه مستنيه ومامته تساله:

- أكلت «مشمش».

يقول لها:

-أيوه.

لكن هو ماكلهوش.

راح «هشام» بيقول «لمشمش»:

- شُـفت أخّرتنـي إزاي و «مشـمش» يهوهـو و «هشـام» يزعـق في «مشـمش» وهـو «مشـمش» يهوهـو.

راح « هشـام» يتفـرج عـلى الماتـش ونـسي «مشـمش» في الغرفـة بتاعتـه و «مشـمش» يهوهـو ومامـة «هشـام» بتحـاول تفتـح البـاب لكـن «هشـام» قفـل البـاب بالمفتـاح بالغلـط ومامتـه تقـول:

-بيهوهو ليه مش «هشام» أكّل «مشمش»

وهـي عمالـة تتصـل «بهشـام» ومـش سـامع التليفـون هـو في ماتـش وهـي تـرن وتـرن هكـذا.

«هشـام» لمـا خـرج مـن ماتـش لقـا ٢٠ مكالمـة مـن مامتـه. اتصـل بيهـا قالهـا:

- في إيه؟

قالت له:

- الكلـب «مشـمش» بيهوهـو وانـت نسـيته في غرفتـك وقفلـت الغرفـة بالمفتـاح.

قال هشام:

-ماكانش قصدي أقفل الباب، كنت مستعجل.

طبعًـا «هشـام» بيجـري علشـان يـروح بسرعـة. روّح، بيفتـح البـاب مـش لقى «مشـمش».

«هشام» ومامته بيقولوا بصوت عالي:

- «مشمش»

وكرروها عدة مرات «هشام» بيبص لقى «مشمش» ميت تحت السرير. طبعًا فضِل يعيط وماسامحش نفسه وراح اشترى كلب وسماه «مشمش» وكان مهتم بيه جدًّا. ماكانش بيخرج وبيقعد يلعب معاه.

المقهى

بقلم: منى محسن صالح

كان ياماكان في ولد اسمه «أحمد» وكان شاطر ومتفوق في المدرسة وكان بيطلع من الأوائل كل سنة وكان نفسه جانب المدرسة يشتغل في مقهى لكن باباه ماكانش موافق وقال «لأحمد»

- مش هينفع تشتغل غير لما تخلص دراسة.

وهو» أحمد» كان حزين جدًّا وقال أحمد:

- إشمعنى صاحبي بشتغل في مقهى جنب المدرسة اللي إحنا فيها. أروح أشتغل معاه بدل ما أنا أقاعد في البيت أذاكر ليل ونهار. أروح أشتغل أحسن مع صاحبي شوية يا بابا.

كان رد باباه صعب على أحمد قال:

- لو هتشتغل تروح تعيش في بيت تاني وتصرف على نفسك.

كان رد « أحمد» متوقع قال:

- لأ خلاص بابا مش عايز أشتغل خالص.

وفضِل يفكر في الموضوع وكانت مامته تيجي تقوله:

- الدرس جه.

يقولها:

- هنام شوية.

وكانت تقول له:

- روح المدرسة.

كان يقولها:

- مفيش مدرسين هناك.

كانت بتقول ممكن مابيروحش علشان الامتحانات قربت، وكانت فاكرة الامتحانات كمان إسبوع، لكن الامتحانات كانت بعد بكرة. وهو «أحمد» ماكنش بيذاكر خالص وكان على طول قاعد على الموبايل لحد ماكانت الامتحانات بكرة قال :

- أذاكر شوية.

قال لو جبت درجة وحشة بابا هيشغلني وكان متوقع هذا

قال أحمد:

- أنا مش هذاكر وقفل الكتاب

راح الامتحانات ولما يرجع مامته تقوله:

- عملت إيه؟

يقولها:

- الحمد لله.

و هو أصلاً عارف كل الامتحان بس ماحلّش حاجة هكذا كل يوم لحد لما خلصت الامتحانات وظهرت النتيجة وجاب درجة وحشة وباباه قاله:

- هتعيد السنة ومفيش شغل

« أحمـد» كان خايـف مـن باباه علشـان هـو غلطـان كـمان. ردّ أحمـد وقـال:

- ماشي يابابا.

لكن أحمد كان متوقع رد تاني من باباه هو:

- روح اشتغل بقى.